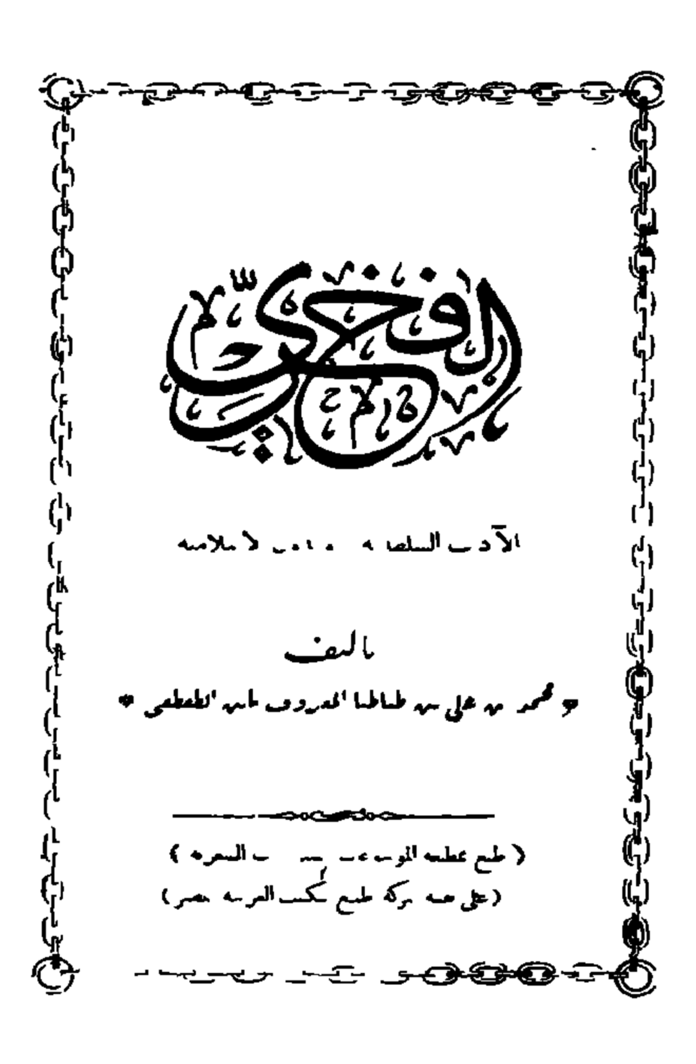


الفخري

في الآداب السلطانية والدول الإسلامية

تأليف

محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى

(طبع بمطبعة الموسوعات [illegible] السعرة)

(على نفقة شركة طبع الكتب العربية بمصر)

فهرست

كتاب ...

صفحة

٣ المقدمة

١ (...) ... ساد ... ١ ... كه

٦٥ (...) ... سكان على ...

٦٥ ... على ... (...)

٦٧ ... مسامة كتاب

٦٧ مسح لسان

٦٨ ... الملك ... مرب

٧ ... ح ...

٧٣ ح ... د ...

٨ ...

٨٥ ... حورج ... ١ه

٨٧ ... لاره

٨٨ ... ل ... ه

٩ ... المؤمنين على ... سلام

٩٣ ... لامه ...

٩٧ كلام ... الـ ... د

٩٩ ... احاق ... ماه ... د

صحيفة

١٠٣ يزيد بن معاويه
١٠٣ مقتل الحسين رضى الله عنه
١٠٦ سبح كعبه وهدمه الحره
١٠٧ غزو الكعبه
١٠٧ معاويه بن يزيد بن معاويه
١٠٧ مروان بن الحكم
١٠٩ أخذ الشيعه بثار الحسين
١١٠ عبد الملك بن مروان
١١٤ الوليد بن عبد الملك بن مروان
١١٥ سليمان بن عبد الملك بن مروان
١١٥ عمر بن عبد العزيز بن مروان
١١٧ يزيد بن عبد الملك
١١٧ هشام بن عبد الملك
١١٩ الوليد بن يزيد بن عبد الملك
١٢٠ يزيد بن الوليد بن عبد الملك
١٢١ ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك
١٢١ مروان بن محمد بن مروان
١٢٢ خروج عبد الله بن معاويه بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب
١٢٣ ابتداء أمر أبى مسلم الخراسانى ونسبه
١٢٦ شرح ابتداء الدوله العباسيه

صحيفة

١٣٠ شرح كيفية الوقعة بالزاب وخذلان مروان وانهزامه
١٣١ شرح مقتل مروان الحمار
١٣٢ * الدولة العباسية *
١٣٣ * أبو العباس بن عبد الله بن محمد السفاح *
١٣٥ شرح حال الوزارة في أيامه
١٣٩ ذكر وزارة خالد بن برمك وشيء من سيرته
١٤١ * خلافة أبي جعفر المنصور *
١٤٣ شرح كيفية الحال في بناء بغداد
١٤٨ ذكر خروج النفس الزكية
١٤٩ ذكر خروج أخيه ابراهيم
١٥٠ قتل أبي مسلم الخراساني
١٥٦ شرح حال الوزارة في أيام المنصور
١٥٦ وزارة أبي أيوب المورياني
١٥٧ ذكر القبض على أبي أيوب سليمان المورياني
١٥٨ وزارة الربيع بن يونس
١٦٠ * خلافة محمد المهدي بن المنصور *
١٦١ ظهور المقنع بخراسان
١٦٣ شرح الوزارة في أيامه
١٦٣ وزارة أبي عبد الله معاوية بن يسار
١٦٦ وزارة أبي عبد الله يعقوب بن داود

صحيفة

١٦٩ ره المنصور ن ى صالح
١٧ (خلافة موسى الهادى)
١٧٤ خ حان ه ه ى ناما
١٧ ه ره ر هيمه ن دكون حرى
١٧ خلافه هارون سد
١٧٦ ـ ح كه ـه حاب ى خروج حى ن د ه ه ن حسن ن ط ن على ن ى طالب
١٧٦ ح لأ ه ن ر ـ ى سه حى ن د لله
١٧٧ ـال مو ى ن جعفر
١٧٨ ح حان ه ره ى اماه
١٧٨ ح حو ن ل اه ال مكه ود ر ه د ها و الها
١٧٩ د كر و ره حى ن خالد ار ـ د
١١٢ ه ه ل اسال ن حى ( )
١٨٦ ـ ه جعفر ن حى الله مكى
١٩ ح لسب ن كه اله مكى وكه حان ى دلك
١٩١ ح ه ل جعفر ن حى ه المنصور على هله
١٩٢ ه ره ى الماس الفضل ن ر ع
١٩٣ (خلافه لامين محمد ن ر د)
١٩ ـ ح الفه ه ن لا ن ه المامون
١٩٧ خلافه د لله المأمون

صحيفة

٢٠١ سرح حال الوزارة ى أيامه
٢٠٢ وزارة دى الرئاستين الفضل ن سهل
٢٠٣ وزارة لحسن ن سهل
٢٠٥ وزارة حالد ن ى أحمد لاحول
٢٠٦ وزارة احمد ن يوسف ن الصبح
٢٠٧ وزره ى عباد ثابت ن يحى ن سار ا رى
٢٠٨ وزارة ى عبد لله محمد ن يزدد ن سويد
٢٠٩ (خلافة المعتصم أبو سحاق محمد)
٢٠٩ فتح عمورية
٢١١ سرح السبب ى ناء سامرا
٢١٢ سرح حال الوزره ى أيامه
٢١٢ وزره أحمد ن عمار ن سادى
٢١٣ وزارة محمد ن عبد الملك ا ات
٢١٥ (خلافة ها ون الو ق ن المعتصم)
٢١٥ (خلافة جعفر المتوكل ن المعتصم)
٢١٦ سرح حال لوزارة ى أيامه
٢١٦ وزارة أبى جعفر محمد ن الفضل لجرجر ى
٢١٦ وزارة عبد الله ن يحى ن خاقان
٢١٧ (خلافة المنتصر ن المتوكل)
٢١٧ وزره أحمد ن لخطيب للمنتصر

صحيفه

٢٠٨ (حلافه ا مں محمد ں ا معىمر)
٢٢ ره ى صالح محمد ں دد
٢٢ (حلافه لمه ناالله ں لمتوكل)
٢٢ ره لا كاں مه
٢٢ و ه ں و ں عى ں رحاں ه
٢٢٢ و ه ں حعر محمد ں ں لا رى
٢٢٢ (حا ه ا ىدى ناالله محمد ں ه ں)
٢٢٣ ه اں ں وهب ں د هدى
٢٢٦ (ح ه ا د على لله محمد ں ا وكل)
٢٢٧ ں ں ح وسه و ں ه ه
٢٢٨ ه ى د لله ں حى ں حاناں د
٢٢٨ ه ح ں ں ح
٢٢٩ و ه ں ح ا ں ں ل
٢٣ ه محمد ں ح ں د ى
٢٣ و ه مد الله ں سليماں ں هب
٢٣ (حا ه لمه عىد الله)
٢٣٢ و ه لعىه ں د الله ں اباں ں وهب
٢٣٣ (حلافه ا كى ناالله ں لمه عىد)
٢٣٣ و ه ىاں ں حس
٢٣ (حلافه لمعىد ناالله ں لمعىصد)

صحيفة

٢٣٤ قتل حسين بن منصور الحلاج
٢٣٦ شرح حال الدولة العلوية و ابتدائها وانتهائها على سبيل الاختصار
٢٣٩ وزارة ابن الفرات للمقتدر
٢٤٠ وزارة الخاقانى
٢٤١ وزارة على بن عيسى
٢٤٢ وزارة حامد بن العباس
٢٤٣ وزارة أبى العباس أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخصيب
٢٤٤ وزارة أبى عبد الله محمد بن على بن مقلة
٢٤٧ وزارة أبى القسم سليمان بن الحسن بن مخلد
٢٤٧ وزارة أبى القسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى
٢٤٧ وزارة الحسين بن القسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب
٢٤٩ وزارة أبى الفضل جعفر بن الفرات
٢٤٩ (خلافة القاهر بن المعتضد)
٢٥٠ شرح حال دولة آل بويه وابتدائها
٢٥٢ (خلافة الراضى بالله بن المقتدر)
٢٥٣ شرح حال الوزارة فى أيامه
٢٥٣ وزارة عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح
٢٥٤ وزارة أبى جعفر محمد بن القسم الكرخى
٢٥٤ وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد
٢٥٥ وزارة أبى الفتح بن جعفر بن الفرات

صحيفة

٢٥٦ (خلافة المتوفى لله أبى سحاق بر هيم بن المقتدر)
٢٥٦ وزارة أبى عبد الله البريدى
٢٥٧ وزارة أبى سحاق محمد بن ابراهيم الاسكافى
٢٥٧ وزارة أبى العباس أحمد بن عبد الله الاصبهانى
٢٥٨ (خلافة المستكفى بن المكتفى بن المعتضد)
٢٥٩ شرح حال الوزارة فى أيامه
٢٥٩ (خلافة المطيع لله بن المقتدر)
٢٦٠ (خلافة القادر أبو العباس بن المقتدر)
٢٦٠ (خلافة أبى جعفر عبد الله القائم بأمر الله)
شرح حال الدولة السلجوقية . سنة ٤٤٧ الى ١٢٠١
٢٦٢ وزارة فخر الدولة بن جهير
٢٦٣ وزارة رئيس الرؤساء على بن حسن
٢٦٤ (خلافة المقتدى بامر الله)
٢٦٥ وزارة عميد الدولة
٢٦٧ (خلافة المستظهر بالله)
٢٦٨ وزارة أبى المعالى هبة الله بن محمد بن المطلب
٢٦٩ (خلافة المسترشد)
٢٧١ شرح حال الوزارة فى أيامه
٢٧٣ وزارة السيد ابى القاسم على بن طراد الزينبى
٢٧٣ وزارة ابى نصر احمد بن الدرو نظام الملك

صحيفة

٢٧٤ وزاره نو سروان بن خالد بن محمد القاشانى

٢٧٥ (خلافه الراشد بالله ابن المسترشد)

٢٧٦ (خلافه المقتفى لامر الله ابن المستظهر)

٢٧٧ وزاره مؤتمن الدوله ابى القاسم على بن صدقة

٢٧٨ وزاره عون الدين ابو المظفر يحيى بن هبيره

٢٨١ (خلافه المستنجد بالله ابو المظفر يوسف)

٢٨٢ وزاره محمد بن يحيى بن هبيره

٢٨٤ (خلافة المستضىء ابى محمد الحسن بن المستنجد)

٢٨٤ شرح حال الوزاره فى أيامه

٢٨٦ وزاره ظهير الدين

٢٨٧ (خلافه الامام الناصر لدين الله بن المستضىء)

٢٨٨ وزاره جلال الدين أبى المظفر عبد الله

٢٨٩ وزاره معز الدين سعيد بن على

٢٨٩ وزاره مؤيد الدين ابى المظفر محمد بن احمد بن القصاب

٢٩٠ وزاره السيد ناصر الدين الخ

٢٩١ وزاره مؤيد الدين محمد الخ

٢٩٤ (خلافه أبى نصر محمد الظاهر بامر الله)

٢٩٤ (خلافة أبى جعفر المستنصر بالله)

صحيفة

٢٩٥ وزارة نصير الدين أبى الازهر الخ
٢٩٧ (خلافة أبى أحمد عبد الله المستعصم بالله . وهو آخر خلفاء بنى العباس)
٣٠١ وزارة مؤيد الدين أبى طالب محمد بن أحمد بن العلقمى



في

الآداب السلطانية والدول الإسلامية

تأليف

محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي

تجاوز الله عنه

طبع بمطبعة الموسوعات بمصر بباب الشعرية

(على نفقة شركة طبع الكتب العربية بمصر)

في سنة ١٣١٧ هجرية



٭ قرّر مجلس ادارة (شركة طبع الكتب العربية في مصر) بجلسته ٭

٭ المنعقدة يوم الثلاثاء (٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣١٧) طبع كتاب ٭

٭ الفخري

٭ في الآداب السلطانية . والدول الاسلامية . ألّف محمد بن علي بن ٭

٭ طباطبا المعروف بابن الطقطقي تجاوز الله عنه . والكتاب من أجل ٭

٭ كتب التاريخ مقداراً . وأسماها اعتباراً . وقد عرف ذلك علماء ٭

٭ أوروبا قبل علماء الشرق فسعوا الى طبعه وجعلوا له ثمناً باهظاً جداً ٭

٭ بحيث يعسر على كثير اقتناؤه فتعميماً للفائدة وخدمة للتاريخ ٭

٭ والادب والعلم الرغبت الشركة المومى اليها بطبعه في مطبعة ٭

٭ الموسوعات والله الموفق لما فيه الخير والصلاح ٭

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مسبب الأسباب، ومفتح الأبواب، ومقدر الأمور،
ومدبر الدهور، واهب الوجود، وخالق الأخلاق والجود، مفيض العقل
وواهب الكل، أقر انه المالك الوجود مملوكا لعظمته، وأشهد انه الفاطر وان
النفس غير مستور لحكمته، وأعوذ بجلال عزه من ذل الحجاب، وبفضل
جوده من نقاش الحساب، وبخالق علمه مما في الكتاب من العذاب، وأصلي
على النفوس العلوية المطهرة من الأدناس، وعلى الاجسام الارضية المنزهة
عن الأرجاس، وأخص من بينهم أفضل الصلوات الزاكيات، وأكمل
التحيات الناميات، من نادى والألسن حداد، وأرشد والاكباد غلاظ
والقلوب جلاد، محمداً النبي الأمي ذا التأييدات الالهية، والتأكيدات
الجلالية، وآله الطيبين، وأصحابه الصالحين، الذين كانوا صدقوه وقد أرسل،
ونصروه وقد خذل، ما سمح جواد، ووري زناد، وبعد فان أفضل ما تنافس
فيه خواص الملوك، وسلكوا اليه أفضل السلوك، بعد تدبيرهم في أمر
الأمة، وقيامهم فيما استودعوه بالحجة، هو النظر في العلوم، والاقبال على
الكتب التي صدرت عن ثواقب الفهوم، فأما فضيلة العلم فظاهرة ظهور
الشمس، عرية من الشك واللبس، فمما جاء من ذلك في التنزيل قوله تعالى
(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ومما جاء في الحديث صلوات

الله وسلامه على من نسب اليه (ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم). وأما فضيلة الكتب فقد قالوا ان الكتاب هو الجليس الذي لا يمل ولا يمل ولا يسأمك اذا جفوته ولا يفشي سرك . وقال المهلب لبنيه يا بني اذا وقفتم في الاسواق فلا تقفوا الا على من يبيع السلاح أو يبيع الكتب وكان الفتح ابن خاقان اذا كان جالساً في حضرة المتوكل وأراد ان يقوم الى المتوضا أخرج من ساق موزته كتاباً لطيفاً فلا يزال يطالعه في ممره وعودته فاذا وصل الى الحضرة الخليفية أعاده الى ساق موزته ٭ أرسل بعض الخلفاء في طلب بعض العلماء ليسامره فلما جاء الخادم اليه وجده جالساً وحواليه كتب وهو يطالع فيها فقال له ان أمير المؤمنين يستدعيك قال قل له عندي قوم من الحكماء أحادثهم فاذا فرغت منهم حضرت فلما عاد الخادم الى الخليفة وأخبره بذلك قال له ويحك من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده قال والله يا أمير المؤمنين ما كان عنده أحد قال فأحضره الساعة كيف كان فلما حضر ذلك العالم قال له الخليفة من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك قال يا أمير المؤمنين

(طويل)

لنا جلساء ما نمل حديثهم	أمينون مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى	ورأياً وأدباً ومجداً وسوددا
فان قلت أموات فلم تعد أمرهم	وإن قلت أحياء فلست مفندا

فعلم الخليفة أنه يشير بذلك الى الكتب ولم ينكر عليه تأخره . وقال الجاحظ دخلت على محمد بن إسحق أمير بغداد في أيام ولايته وهو جالس في الديوان والناس مثول بين يديه كأن على رؤوسهم الطير ثم دخلت اليه بعد مدة وهو معزول وهو جالس في خزانة كتبه وحواليه الكتب والدفاتر

والحاور والمساطر فما رأسه أحسن منه فى تلك الحال . وقال المتنى (طويل)

أعز مكان فى الدنا سرج سابح وخير جليس فى الزمان كتاب

والعلم زين الملوك أكثر مما يزين السوقة واذا كان الملك عالما صار العالم ملكا . وأصلح ما نظر فيه الملوك ما يشتمل على الآداب السلطانية والسير التاريخية المطوية على طرائف الاخبار وعجائب الآثار . على أن الوزراء كانوا قديماً يكرهون أن الملوك يقفون على شئ من السير والتواريخ خوفا أن يعطى الملوك لى سياسة الاجابة الوزراء أن يعطى لها الملوك فطلب المكتفى من وزيره كتبا يلهو بها ويقطع بمطالعتها زمانه فتقدم الوزير الى النواب بتحصيل ذلك فعرضه عليه فقال حمله فى حملته فحصلوا شيئا من كتب التاريخ وفيها شئ مما جرى فى الايام السالفة من وقائع الملوك وأخبار الوزراء ومعرفة الحيل فى استخراج الاموال فلما رآه الوزير قال لنوابه والله لكم أشد الناس عداوة لى انا قلت لكم حصلوا له كتبا يلهو بها ويشتغل بها عنى وعن غيرى فقد حصلتم له ما يعرفه مصارع الوزراء ويجده الطريق فى استخراج المال ويعرفه خراب البلاد من عمارتها ردوها وحصلوا له كتبا فيها حكايات مليحة وأشعار مطربة . وكانوا يكرهون أيضا أن يكون فى الخلفاء والملوك فطانة ومعرفة بالامور بدليل ان المكتفى عزم وزيره على مبايعة عبد الله بن المعتز وكان عبد الله فاضلا لبيبا محصلا فخلا به بعض علماء الكتاب وقال له اى هذا الوزير هذا الرأى الذى قد رآه فى مبايعة ابن المعتز ليس بصواب قال الوزير كيف ذلك قال أى حاجة لك أن تجلس على سرير الخلافة من يعرف الدرع والميدان والاسعار ويفهم الامور ويعرف الفسح من الجنس ويعرف دارك وبساتينك ويمسك الرأى أن تجلس صبيا صغيرا فيكون اسم

الخلافة له ومعناها لك فتربيه الى أن يكبر فاذا كبر عرف لك حق التربية وتكون أنت قد قضيت أوطارك مدة صغره فشكره الوزير على ذلك وعدل عن عبد الله بن المعتز الى المقتدر وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة

وكان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل رحمه الله أكثر مايجرى فى مجلس أنسه إيراد الاشعار المطربة والحكايات الملهية فاذا دخل شهر رمضان أحضرت له كتب التواريخ والسير وجلس الزين الكاتب وعز الدين المحدث يقرآن عليه أحوال العالم ه وهذا التقرير يستدعى شرح حال وذلك أنى حين أحلني حكم القضاء بالموصل الحدباء حللتها غير متعرض لوبلها أو طلها ودخلتها كما قال عز من قائل . (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) وكنت بنيت عزمي على المقام فيها بقدر ماينكسر البرد . وبقل البرد . ثم التوجه بعد ذلك الى تبريز فحين استقررت بالموصل بلغني من عدة جهات مختلفة . ومن ذوى أراء غير مؤتلفة . غزارة فضل صاحبها الاعظم . المولى المخدوم الملك المعظم . أفضل الملوك وأعظمهم . وأكرم الحكام وأحلمهم . (فخر الملة والدين) الممنوح بخصائص لو كانت للدهر لما شكا صرفه حر . ولما مس أحداً منه ضر . ولو كانت للبحر لما كان ماءه ملحا أجاجا . ولا خاف راكبه منه أمواجا . ولو ظفرت بها الاقمار . لما لحقها السرار . (عيسى) الذى أحيى ميت الفضائل . ونشر على الفواضل . وأقام سوق المكارم فى عصر كسد فيه سوقها وأنهض مقعدات المحاسن بعد ماعجزت عن حمل أجسامها سوقها وذب عن الاحرار فى زمان هم فيه أقل من القليل . وملأ أيديهم من عطائه بأياد واضحة الغرة والتحجيل . وأفاء عليهم ظل رأفة لا ينتقل . وخفض لهم جناح رحمة فما ينى يتفضل . عليهم ويتطول . كلما ازداد دولة وتمكينا .

راد بواسعاً ولسا . وكلما بلغ من الملك عايه . رفع للكرم رايه (ابن ابراهيم) أعز الله نصره وأنجد سهمه وأمره الذى أنسى ذكر الاجود ورزانه الاطود وشجاعه الآساد (كامل)

للشمس منه وللرماح والسحا ب وللبحار وللاسود شمائل

الذى هو فى جبهه هذا الدهر غره . وفى قلادته دره . لا يداينها فى لا سادرة . الذى صدق أخبار الماضين وحقق مانسج من مآثر الاولين وقد قال ابن الرومى (طويل)

أطن بأن الدهر مازال هكذا وأن حدث الجود ليس له أصل

وهب انه كان الكرام كما حكوا أما كان منهم واحد وله نسل

فلو شاهده لصدق ما سمع من أخبار أهل الكرم ولما خلجت من حسنه عوارض الهم . الحاكم الذى اذا سلط ذهنه الثاقب وفكره اللطيف . على القضايا لا يوسه . ولامور السلطانيه ذلت له الصعاب . ولانت له الصم الصلاب . وطويت له الخبايا . ويندر أن يقال فى الروايا خبايا . أما قوه العدل عنده فسلمه فو عدها لديه موقعه . فلا تحرعنك همته الموهوبه فان وراءها رأفه بالضعيف ورفقه على الفقير . وحيرا للكسير .

(كامل)

وله من الصفح الجميل حوائد أسر الطليق بها وفك العانى

ولقد حضرت يوماً مجلسه الرفيع وكان يوم عيث وقد تقدم نصابه الناس فلما كثر البحث قال للحجاب من حضر الناس وله حاجه فمرموا بها ثم قال ان أحداً لا يحضر فى مثل هذا الوقت الا لضروره ولا يجوز أن يرد خائباً فالله هل يأتى فى هذا الكتاب الذى يريد أن يكون مشتملا على

محاسن لآثار الا ما هو من حسن هذه الحكاية • و‌أما قوة السياسة عنده فعظيمة . بصيرتها هضبة فلا عرك رقبه و سامة فان ورد ذلك من محصن لها لاسود وشامة تحدرها السد والمسود (طويل)

هو البحر غص فيه إذ كان ساكنا ⁂ وبالك فاحذره إذ كان مزبدا

وأما قوة الذكاء والسعظ فهو فيها كما قال المتنبي (منسرح)

يعرف في عينه حقيقته ⁂ كأنه بالذكاء مكتحل

أشفق عند اتقاد فكرته ⁂ عليه منها أخاف يشتعل

. وأما قوة العقل الغريزي . ليسر الصحيح فاني لأظن ان عقلاء الملوك الماضين لو عاشوا وشاهدوه لتعلموا منه كيف سياسة الجمهور وكيف تدبير لأمة وأما قوة الكرم الذي تجاوز الحد وخرج حديث عن البحر ولا حرج فلو عاش الكرام الذين هم ... لأمثال وعدمت لهم النظائر . لامثال لتعلموا منه عن معنى الكرم وللعفو منه مجالس السمر . لو أصف لتركت وصف هذه القوة من قوة عجز عن لاحاطة بكنه وصفها . فصور عن لساني وجب رصدها ولكني أقول حسب الجهد والطاقة ان حضارة للدنيا حضار لاولياء و مستصغرة لها مستصغار ازهاد فلو جاد بالدنيا . ان تصفها على من مستصغرة به صار يعطي عطاء من من لذكر ومحبة . بعد المال وصفه فيه (طويل)

أعادل ان الجود ليس بمهلكي ⁂ ولا مخلد النفس الشحيحة لومها

ويذكر أخلاق الفتى وعظامه ⁂ مغيبة في القبر بال رميمها

بيته بالسماء وجاورت الجوزاء . ومن هنالك حصل له لانس تعلم النحو فانه جد عليها بالارجاء اليها و لاضرب لا بالحساب والاصطرلاب

طلع السماء علواً فشابهه أسرارها كواكبها . وفرع الافلاك سموا فحدثته أسحارها مشارقها ومغاربها .

(طويل)

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى اجل من الدهر

لا يستغرق في حراثته معاني امواله وليس لها سبب يحفظها سوى سوء سؤاله

(بسيط)

اما اذا احتجت يوماً دراهمنا طلبت الى طرق العلياء تستبق

لا يألف الدرهم المنقوش صرتنا لكن يمر عليها ثم ينطلق

لا يعمل السكر في كرمه لا كما يعمل الصحو في أمطار ديمه

طويل

تجد عطايا سكره عند صحوه لتعلم أن الجود منه على علم

وتسلم في الاحسان من قول قائل تكرم لما خامرته ابنة الكرم

ومن أسرار كرمه أنه منزه عن التدبير . وان كان أكثر من الكثير . لانه موضوع في أحل مواضعه ووقع في أفضل مواقعه في نفس آمل . او عن سائل بادر الى ارفاده مبادرة السيل الى وهاده كامل

عشق المكارم فاستهام بذكرها والمكرمات قليلة العشاق

وأقام سوقا للثناء ولم تكن سوق الثناء تعد في الاسواق

فاذكر صنائعه فلسن صنائعا لكنهن قلائد الاعناق

والثم أنامله فلسن أناملا لكنهن مفاتح الارزاق

وكأني بك أيها الناظر في هذا الكتاب قد استعظمت ما سمعت فان عرض لك الشك فانظر أصحاب هذا العصر تجدهم يتنافسون على الذرة . تجده لا يلتفت الى الذرة . وتجدهم يحرصون على اقتناء الذخائر . وتجده

لايحرص الا على الذكر السائر . والصيت الطائر . وتجدهم قد شغفتهم محبة الاولاد . وتجده قد شغفته محبة السؤال والقصاد . وتجدهم يهربون من المغارم . وتجده يعدها من أفضل المغانم . ثم ارجع البصر تجد المدائح عندهم كاسدة وتجدها عنده نافقة وتأمل تبصر المكارم لديهم جامدة وتبصرها لديه دافقة وانظر بابه تجده عامرا بوفود الثناء غاصا بالادباء والشعراء والفضلاء والفصحاء {خفيف}

يسقط الطير حيث تلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

وتالله ما الدنيا الا دنياه ولا العيش الا عيشه الذى أعطاه الله

{كامل}

ما العيش أن يمسى الفتى متشبعاً ضخم الجزاره
كلفا بشرب الراح مشـــغوفا بغزلان الستاره
العيش ان يشجى الفتى أعداءه ويعز جاره
حتى يخاف ويرتجى ويرى له نشب وشاره
ويروح اما للكتا ئب ســـعيه أو للاماره

رجعنا الى حكاية الحال . واتمام المقال . ظفقت المقادير أن جرى ذكرى من يديه وعرض شئ من أمرى عليه فلمح بذكاء قلبه وصحة حدسه من تلك الانباء حقيقة حالى قبل اللقاء وتقدم بالحضور في خدمته فلما حضرت راعنى ما شاهدت من كمال هيئته . وراقنى ما عاينت من جمال صورته . وشريف سيرته . فكان أول ما أنشدته قول المتنبى {طويل}

وما زلت حتى قادنى الشوق نحوه يسايرنى فى كل ركب له ذكر
وأستعظم الاخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

ثم مالي من الطاقة ما أعرض به وداً وحيّ منه ثناء . وحينئذ رأيت أن
أخدم حضرته بتأليف هذا الكتاب ليكون تذكرة له وتذكرة لي عنده
تذكرني به إذا غبت عن عالي جنابه . وانفصلت عن فسيح رحابه وهذا
كتاب تكلمت فيه على أحوال الدول وأمور الملك وذكرت فيما استطرفته
من أحوال الملوك الفضلا واستغربته من سير الخلفاء والوزراء * ورتبته على
فصلين فالفصل الأول تكلمت فيه على الأمور السلطانية والسياسات
الملكية وخواص الملك التي تميز بها عن السوقة ولي يجب أن تكون
موجودة أو معدومة فيه وما يجب له على رعيته وما يجب لهم عليه ورصعت
الكلام فيه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحكايات المستطرفة
والأشعار المستحسنة والفصل الثاني تكلمت فيه على دولة دولة من مشاهير
الدول التي كانت طاعتها عامة ومحاسنها تامة ابتدأت فيه بدولة الأربعة
أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم على الترتيب الذي وقع ثم بالدولة
التي تسلمت الملك منها وهي الدولة الأموية ثم بالدولة التي تسلمت الملك منها
وهي الدولة العباسية ثم بالدول التي وقعت في أثناء الدول الكبار كدولة بني
بويه وكدولة بني سلجوق وكدولة الفاطميين بمصر على وجه الاختصار فإنها
دول وقعت في أثناء دولة بني العباس ولكنها لم تكن طاعتها عامة أتكلم على
دولة دولة بمجموع ما حصل في ذهني من الجزئيات التي أفادنيها مطالعة
السير والتواريخ فأذكر كيف كان ابتداؤها وانتهاؤها وطرفاً مهماً من محاسن
ملوكها وأخبار سلاطينها فإن شذّ شيء من أحوالها عن ذهني واحتجت إلى
إثباته من حكاية طريفة أو بيت شعر نادر أو آية أو حديث نبوي أخذته من
مظانه ثم إذا ذكرت دولة فدولة تكلمت على كليات أمورها ثم ذكرت

واحداً واحداً من ملوكها وما جرى في أيامه من الوقائع المشهوره. والحوادث المأثوره. فاذا انقضت أيام ذلك الملك ذكرت وزرائه واحداً واحداً وطرائف ما جرى لهم فاذا انقضت أيام الملك ووزرائه ابتدأت بالملك الذي بعده وبما جرى في أيامه وسير وزرائه كذلك الى آخر الدوله الماضيه. * والتزمت فيه أمرين. أحدهما أن لا أميل فيه الا مع الحق ولا أنطق فيه الا بالعدل وأن أعزل سلطان الهوى وأخرج من حكم الشناء والمراء وأفرض نفسي غريباً منهم وأجنبياً عنهم وثانيهما أن أعبر عن المعانى بعبارات واضحه قريبه من الافهام ليفهم بها كل أحد غاية ما في الامكان فان العبارات المستصعبه التى يقصد بها اظهار الفصاحه واثبات البلاغه فطالما رأيت مصنفي الكتب قد اعترضتهم محبة اظهار الفصاحه والبلاغه فخبطت أغراضهم وخافت معانيهم فبطلت الفائده بتصانيفهم. * من ذلك كتاب القانون في الطب لابي علي الحسين بن سينا البخاري فانه حشاه بالعبارات الغامضه والتراكيب المستغلقه فبطل غرضه من الانتفاع بكتابه ولذلك ترى عامة الأطباء قد عدلوا عن كتابه الى الملكى السهل العباره. المفهم الاشاره وهذا كتاب يحتاج اليه من نفوس الجمهور. وتدبير الامور. وان أنفعه الناس أخذوا أولادهم بحفظه وتدبر معانيه بعد أن يدرسوه * فما الصغير بأحوج اليه من الكبير ولا الملك التام الطاعه بأحوج اليه من ملك بذلته ولا ذوو الملك بأحوج اليه من ذوي الأدب فان من نصب نفسه لمفاوضة الملوك ومجالستهم ومذاكرتهم يحتاج الى أكثر مما في هذا الكتاب فعلى أهل الاسلام لا تنسه بركه * وهذا الكتاب إن نظر بعين الانصاف رئي أنفع من الحماسه التى لهج الناس بها وأخذوا أولادهم بحفظها فان الحماسه لا تستفاد منها أكثر من الترغيب في الشجاعه والضيافه وشيء

ـسر من الاحـلاق ى الباب المسمى بـاب الأدب والتأنس بالمـداهب
الشعريه وهدا الكتاب يسـماد مـنه هده الخصال المدكوره ويسـماد مـنه
قواعد السـاسه . وأدوات الرئاسه فهدا مه ما في الحماسه وليس في الحماسه
ما فيه وانه ليمد العقل قوه والدهن حده والبصيره نوراً وهو للخاطر الدكى
عرله المس الحسـد للمولادة وهو أيضاً أنفع من المقامات الى الناس فيها
مقتدون وفي حفظها راغبون إد المقامات لا يسـماد منها سوى التمرن على
الانشاء والوقوف على مداهب النظم والنثر نعم وفيها حكم وامثال وتجارب الا
ان ذلك مما يصغر الهمه اد هو مبنى على السؤال و لاستجداء . والبخل
الشح على تحصـيل النزر الطفيف فان عجب من حاب . ب من حاب
وبعض الناس عموا على هذه من المقامات لحريريه والبديعيه . فضل ناس
الى نهج البلاغه من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليـه السـلام فانه
الكتاب الذى يشتمل منه الحكم والمواعظ و لخطب والتوحيد والشجاعه
والزهد وعلو الهمه وأدنى فوائده الفصاحه والبلاغه . وعدل الناس لى اليمينى
للعتبى وهو كتاب ـ ه مؤلفه لتمى الدوله محمود بن سبكتكين يشتمل على
سير جماعه من الملوك بالبلاد الشرقيه عبر فيه بعبارات حظها من الفصاحه
وافر . وصاحبها ان لم يكن ساحراً فهو كاتب ماهر والعجم مـشغوفون به
مجدون فى طلبه وهو لعمرى كتاب يشتمل على عبارات حكم وبدائع سحر مع
ما فيه من فنون البلاغه وأنواع الفصاحه ولعل قائلا أن يقول لقد بالغ فى
وصف كتابه وحسنا ما شاء فى حرابه والمرء مفتون بابنـه وشعره فان
اعتراه رب فليتأمل الكتب المصنفه فى هـذا الفن فلعله لا يرى فيها كتاباً
أجمع للمعنى الدى قصـد به من هذا الكتاب . وهو اعز الله نصره . و من

بدوام السعادة سره . قد اغناه الله بالذهن القاهر . والفضل الباهر . عن هذا الكتاب وعن أمثاله ولكن مهامه الشريفة ربما أضجرته وأنسته فاذا روح فكره الشريف بالنظر فيه دفع به الملال . وتذكر به ما أنسته الاشغال . ومن ألطاف الله تعالى اسئل ان لا يخلى هذا الكتاب من فائدتين احداهما تخصني وهي ان يقع عنده بموقع الاستصواب فأبرأ من عهدة الخجل والأخرى تخصه وهي أن لا يعدمه الانتفاع به فى القول والعمل انه ولي كل نعمة ومسدي كل عارفة

الفصل الاول

(في الأمور السلطانية . والسياسات الملكية)

أما الكلام على أصل الملك وحقيقته وانقسامه الى رئاسات دينية ودنيوية من خلافة وسلطنة وإمارة وولاية وما كان من ذلك على وجه الشرع وما لم يكن ومذاهب أصحاب الآراء في الامامة فليس هذا الكتاب موضوعاً للبحث عنه وانما هو موضوع للسياسات والآداب التي ينتفع بها في الحوادث الواقعة والوقائع الحادثة وفي سياسة الرعية وتحصين المملكة وفي اصلاح الاخلاق والسيرة * فأول ما يقال ان الملك الفاضل هو الذي اجتمعت فيه خصال وعدمت فيه خصال * فأما الخصال التي يستحب أن توجد فيه فنها العقل وهو أصلها وأفضلها وبه تساس الدول بل الملل وفي هذا الوصف كفاية * ومنها العدل وهو الذي تستغزر به الاموال . وتعمر به الاعمال . وتستصلح به الرجال

ولما فتح السلطان هولاكو بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة أمر

أن يستفتي العلماء أيما أفضل السلطان الكافر العادل أو السلطان المسلم الجائر ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب وكان رضي الدين علي بن طاوس حاضراً هذا المجلس وكان مقدماً محترماً فلما رأى إحجامهم تناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر فوضع الناس خطوطهم بعده * ومنها العلم وهو ثمرة العقل وبه يستنصر الملك فيما يأتيه و يذره ويأمن الزلل في قضاياه وأحكامه وبه يتزين الملك في عيون العامة والخاصة و يصير به معدوداً في جوهر الملوك

قال بعض الحكماء الملك اذا كان خلواً من العلم كان كالفحل الهائج لا يمر بشيء الا حطمه ليس له زاجر من عقل ولا رادع من علم * واعلم انه ليس المراد بالعلم في الملوك هو تصور المسائل المشكلة والتبحر في غوامض العلوم والاغراق في طلبها * قال معاوية ما أقبح بالملك أن يبالغ في تحصيل علم من العلوم * وانما المراد من العلم في الملك هو أن لا يكون له أنس بها لا يمكنه أن يفاوض اربابها فيها مفاوضة يدفع بها الحال الحاضر ولا ضرورة في ذلك الى التعمق * كان مؤيد الدين محمد بن العلقمي وزير المستعصم وهو آخر وزراء الدولة العباسية يفاوض كل من يدخل عليه من العلماء مفاوضة عاقل لبيب محصل ولم يكن له بالعلوم ملكة ولا كان مرتاضاً بها رياضة طالبيه * كان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل لكثرة مجالسة الافاضل وخوضه في الاشعار والحكايات يستنبط المعاني الحسنة ويتنبه على النكت اللطيفة مع انه كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ * وكان عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري رضي الله عنه لمجالسة أهل الفضل ولكثرة معاشرتهم له صار يتنبه على معان حسنة وعلى الألغاز المشكلة أسرع منهم ولم يكن له حظ

من علم وما كان يظهر للناس الا انه رجل فاضل وخفى ذلك حتى على الصاحب علاء الدين قال ابن الكويش الشاعر المصرى عمل بيتين فى الصاحب ونسبهما الى عبد العزيز وهما

وافر

عطا ملك عطاؤك ملك مصر ونحن عبيد دولتك العزيز
تجارى كل ذى نسب بعمر ومثلك من تجارى أو تجير

فأنشدهما عبد العزيز بحضرة الصاحب وادعاهما وخفى الامر على الصاحب وما أدرى من أيهما أعجب أمن الصاحب كيف خفى عنه حال عبد العزيز مع انه السنين الطويلة عاشره فى سفر وحضر وجد وهزل أو من عبد العزيز كيف رضى لنفسه بمثل هذه الرذيلة وأقدم على مثل هذا مع الصاحب وما خاف من تنبه الصاحب و سرقته لعلمه بفضله وتختلف علوم الملوك باختلاف آرائهم فأما ملوك الفرس فكانت علومهم حكما ووصايا وآدابا وتواريخ وهندسة وما أشبه ذلك وأما علوم ملوك الاسلام فكانت علوم اللسان كالنحو واللغة والشعر والتواريخ حتى ان النحو كان عندهم من أخص علوم الملك كانت منزلة الانسان تعلو عندهم بالحكاية الواحدة وبالبيت الواحد من الشعر بل باللفظة الواحدة من اللغة وأما فى الدولة المغولية فرفضت تلك العلوم كلها ونفقت فيها علوم أخر وهى علم الرياضة والحساب لضبط المملكة وحصر الدخل والخرج والطب لحفظ الابدان والامزجة والنجوم لاختيار الاوقات وما عدا ذلك من العلوم والآداب فكاسد عندهم وما رأيته نافقا الا بالموصل فى أيام ملكها المشار اليه مد الله ظله ونشر فضله ٭ ومنها الخوف من الله تعالى وهذه الخصلة هى أصل كل خير ومفتاح كل بركة فان الملك متى خاف الله

أمنه عباد الله * روي أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام استدعى بصوته بعض عبيده فلم يجبه فدعاه مراراً فلم يجبه فدخل عليه رجل وقال يا أمير المؤمنين انه بالباب واقف وهو يسمع صوتك ولا يكلمك فلما حضر العبد عنده قال أما سمعت صوتي قال بلى قال فما منعك من اجابتي قال أمنت عقوبتك قال علي عليه السلام الحمد لله الذي خلقني ممن يأمنه خلقه * وما أحسن قول أبي نواس لهرون الرشيد {كامل}

قد كنت خفتك ثم آمنني من أن أخافك خوفك الله

ولم يكن الرشيد يخاف الله وأفعاله بأعيان آل علي عم وهم أولاد بنت نبيه لغير جرم يدل على عدم خوفه من الله تعالى ولكن أبا نواس جرى في قوله على عادة للشعراء * ومنها العفو عن الذنوب وحسن الصفح عن الهفوات وهذه أكبر خصال الخير وبها تستمال القلوب وتصلح النيات فما جاء في التنزيل من الحث على ذلك قوله تعالى شأنه . (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) *وكان المأمون حليما حسن الصفح معروفاً بذلك هجاه دعبل الشاعر بأشعار كثيرة من جملتها {كامل}

اني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فلما بلغه هذا القول لم يزد على أن قال قاتله الله ما أشد بهتانه متى كنت خاملا وفي حجر الخلافة نشأت وبدرها أرضعت ولما بلغه أن دعبلا قد هجاه قال من أقدم على هجاء وزيري أبي عباد كيف لا يقدم على هجائي * وهذا الكلام ظاهره غير مستقيم وهو يحتاج الى تأويل فانه عكس المعهود فكان ينبغي أن يقول الوزير من أقدم على هجاء الخليفة كيف لا يقدم هجائي ومتى

قول المأمون أن من قدم على هجاء أى صاد مع حدته وهوجه وسرعه وكان أبو صاد كذلك كيف لا اقدم على فى حلمى وسمعى * ولولا خوف الاطاله لذكرت جماعه من حلماء الملوك فى هذا الموضع ولكن ليس هذا الفصل موضوعاً للسمر وسنورد من ذلك ما يمنع إن شاء الله فى الفصل الثانى * ومنهم من يرى أن الحقد خصله محموده فى الملك * قال بزرجمهر يجب أن يكون الملك أحقد من جمل * وأنا أناظره فى هذا القول فأقول كيف قال كذلك والملك متى كان حقوداً فقد فسد نيه رعيته فيهم وقلل الالتفات اليهم النعمه عليهم ومتى أحسوا بذلك تضرب نياتهم له وفسدت بواطنهم وهل يمكن الملك مما يريده من مهمات مملكته وبلوغ أغراضه كما فى نفسه إلا بصفاء قلوب رعيته * وأى حكمه فى ذلك وهل فيه سوى تنغيص عيش الملك وتنغيص رعيته اليه وإيحاشهم منه قال شاعر العرب

طويل

ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

خصوصاً والناس مركوزون على الخطأ مجبولون على شمرّ الطباع فما أكثر ما يصدر منهم موجبات الحقد فلا يزال الملك طول دهره يعانى من السخط والحقد عليهم ما ينغص عليه لذته ويشغله عن كثير من مهام مملكته وما أكثر مارأينا الرعيه أو الجند قد وثبوا على ملوكهم فسلبوهم رداء المملكه بل رداء الحياه فابتدئ من عمر بن الخطاب وقد وثب عليه أبو لؤلؤه عبد المغيره ابن شعبه فقتله * ثم ثنِّ بعثمان بن عفان رضى الله عنه وانظر كيف اجتمع عليه رعيته من كل جانب فحاصروه فى داره أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه والمصحف فى حجره حتى قطرت قطرات من دمه على المصحف * ثم ثلث بعلىّ بن

أبى طالب عليه السلام وقد ضربه عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله بسيفه على أم
رأسه بالكوفة فقتله وكان ابن ملجم من الخوارج * هذا في الصدر الاول
والناس ناس والدين دين ثم سفل دولة فدولة وأتانا فأتانا الى أواسط دولة
بني العباس فانظر من بعد عهد المتوكل الى عهد المستعصم ما جرى على كل واحد
من الخلفاء من القتل والخلع والنهب بسبب تغير نيات جنده ورعيته فهذا
سمل وذاك قتل والآخر عزل * وأسرح طرفك في الدولتين البويهية
والسلجوقية تر من هذا الباب عجباً ثم أرجع البصر الى اونكخان ملك الترك
كيف لما تكبر منه على جنكزخان وحقد عليه أشياء عرضها عليه عبيده
حساده وأراد الوقيعة به وأعلمه بذلك الصبيان فرحل من ليلته فحشد وجمع
ووثب على أونكخان فقتله وملك ممالكه فعلم أن الحقد من أضر الاشياء
للملك وأن أولى الاشياء له الصفح والعفو والغفران والاغضاء وما أحسن
قول القائل　　　　منسرح

اقبل من الناس ما تيسر　　　ودع من الناس ما تعسر
فانما الناس من زجاج　　　إن لم ترفق به تكسر

وقد مدح بعض الشعراء الحقد ولم نسمع من مدح الحقد غير هذا
فقال　　　　طويل

وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى　　　وبعض السجايا ينتسبن الى بعض
فحيث ترى حقداً على ذي إساءة　　　فثم ترى شكراً على سالف القرض
اذا الارض أدت ريع ما أنت زارع　　　من البذر فيها فهي ناهيك من ارض

وهذا قول لا يعرج عليه وإن عرج عليه أحد فليعرج عليه غير الملك
فان الملك أحوج الخلق الى استصلاح الناس واستصفاء القلوب * ومن

الخصال التي يستحب أن تكون في الملك الكريم وهو الأصل في استمالة القلوب وتحصيل النصائح من العالم واستخدام الأشراف. قال الشاعر .

(متقارب)

اذا ملك لم يكن ذا هبه   فدعه فدولته ذاهبه

ومما جاء في الحديث النبوي صلوات الله على صاحبه (تجاوزوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر . وفاتح عليه كلما افتقر) وقال علي عليه السلام الجود حارس الاعراض * واعلم انه لم يتضمن سيره من حكايات الجود مثل مانقل عن قان العادل وهو أوكتاي بن جنكزخان فانه غبر في وجوه جميع كرام الملوك   (رجز)

مناقب تخنق مارقسم   من جود كعب وسماح حاتم

ومن الاتفاقات الحسنة وجوده في عصر المستنصر بالله وكان المستنصر أكرم من الريح ولكن أين يقع جوده من جود قان ومن أين للمستنصر مال يفي بعطايا قان * ومنها الهيبة وبها يحفظ نظام المملكة ويحرس من اطماع الرعية وقدكان الملوك يبالغون في اقامة الهيبة والناموس حتى بارتباط الأسود والفيلة والنمور وبضرب البوقات الكبار كبوق النفير والدبادب والقصع ورفع السناجق وخفق الالويه على رؤسهم كل ذلك لاثبات الهيبة في صدور الرعية ولاقامة ناموس المملكة . وكان عضد الدولة اذا جلس على سريره أحضرت الأسود والفيلة والنمور في السلاسل وجعلت في حواشي مجلسه تهويلا بذلك على الناس وترويعاً لهم

ومنها السياسة وهي رأس مال الملك وعليها التعويل في حقن الدماء وحفظ الاموال وتحصين الفروج ومنع الشرور وقمع الدعار والمفسدين والمنع

من الظالم المؤدى الى الفتنة والاضطراب

ومنها الوفاء بالعهد قال تعالى سلطانه (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا) وهو الأصل فى تمكين القلوب وطمأنينة النفوس ووثوق الرعية بالملك اذا طلب الامان منه خائف أو أراد المعاهدة منه معاهد * ومنها الاطلاع على غوامض أحوال المملكة ودقائق أمور الرعية وعثرات المحسن على إحسانه والمسيء على اساءته * كان أردشير الملك يقول لمن شاء من أشراف رعيته وأوضاعهم كان البارحة من حالك كيت وكيت حتى صار يقال ان أردشير يأتيه ملك من السماء يخبره بالامور وما ذاك الا لفطنته ونصيحته * فهذه عشر خصال من خصال الخير من كن فيه يستحق الرئاسة الكبرى ولو نظر أصحاب الآراء والمذاهب حق النظر وتركوا الهوى لكانت هذه الشروط هى المعتبرة فى استحقاق الامامة وما عداها فغير طائل * وقال بزرجمهر ينبغى أن يكون الملك كالارض فى كتمانه ... وصبره وكالنار على أهل الفساد وكالماء فى لينه لمن لاينه وينبغى أن يكون أسمع من فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاة وأشد حذراً من غراب وأعظم إقداماً من الأسد وأقوى وأسرع وثوباً من الفهد وينبغى للملك أن لا يستبد برأيه وأن يشاور فى المهمات خواص الناس وعقلاءهم ومن يعرف فيه الذكاء والعقل وجودة الرأى وصحة النظر ومعرفة الامور ولا ينبغى أن يمنعه عزة الملك من إيناس المستشار به وبسطه واستمالة قلبه حتى يمحضه النصيحة فان أحداً لا ينصح بالفكر ولا يعطى نصيحته الا بالرغبة وما أحسن قول الشاعر فى هذا المعنى

(طويل)

أهان وأقصى ثم يستنصحوننى ومن ذا الذى يعطى نصيحته قسراً

قال الله تعالى (وشاورهم في الامر) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه دائماً * لما كانت وقعة بدر خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة في جماعة من المسلمين فلما وصلوا بدراً نزلوا على غير ماء فقام اليه رجل من أصحابه وقال يا رسول الله نزولك هاهنا شيء أمرك الله به أو هو من عند نفسك قال بل هو من عند نفسي قال يا رسول الله ان الصواب ان نرحل وننزل على الماء فيكون الماء عندنا فلا نخاف العطش واذا جاء المشركون لا يجدون ماء فيكون ذلك معيناً لنا عليهم فقال رسول الله صدقت ثم أمر بالرحيل ونزل على الماء * واختلف المتكلمون في كون الله تعالى أمر رسوله بالاستشارة مع انه أيده ووفقه وفي ذلك أربعة وجوه * أحدها انه عليه السلام أمر بمشاورة الصحابة استمالة لقلوبهم وتطييباً لنفوسهم . الثاني انه أمر بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل عليه . الثالث انه أمر بمشاورتهم لما فيها من النفع والمصلحة . الرابع انه انما أمر بمشاورتهم ليقتدي به الناس ويهتدي عندي أحسن الوجوه وأصلحها * قالوا الخطأ مع المشورة أصلح من الصواب مع الانفراد والاستبداد * وقال صاحب كليلة ودمنة لا بد للملك من مستشار مأمون يفضي اليه بسره ويعاونه على رأيه فان المستشير وان كان أفضل من المستشار وأكمل عقلا وأصح رأياً فقد يزداد برأي المشير رأياً كما يزداد النار بالدهن ضوءاً ونوراً . قال الشاعر

(طويل)

اذا أعوز الرأي المشورة فاستشر   برأي نصيح أو مشورة حازم

واعلم أن للملك أموراً تخصه تميز بها عن السوقة فمنها أنه اذا أحب شيئاً أحبه الناس واذا أبغض شيئاً أبغضه الناس واذا لهج بشيء لهج به الناس إما

طبعاً أو تطبعاً ليتقربوا بذلك الى قلبه ولذلك قيل الناس على دين ملوكهم .
فانظر كيف كان زيّ الناس في زمن الخلفاء فلما ملكت هذه الدولة أسبغ الله
احسانها وأعلى شأنها غيّر الناس زيهم في جميع الاشياء ودخلوا في زي ملوكهم
بالنطق والملابس والآلات والرسوم والآداب من غير أن يكلفوهم ذلك أو
يأمروهم به أو ينهوهم عنه ولكنهم علموا أن زيهم الاول مستهجن في نظرهم
مناف لاختيارهم فتقربوا اليهم بزيهم وما زال الملوك في كل زمان يختارون زياً
وزياً فيميل الناس اليه ويلهجون به . وهذا من خواص الدولة وأسرار الملك

ومن خواص الملك أن صحبته تورث التيه والكبر وسوء الخلق وتكبر
النفس وليست صحبة غير الملك تفعل ذلك . ومن خواصه انه اذا أعرض
عن انسان وجد ذلك الانسان في نفسه ضعفاً وان لم ينله بمكروه واذا أقبل
على انسان وجد ذلك الانسان في نفسه قوة وان لم تصبه منه خير بل بمجرد
الاعراض والاقبال تفعل ذلك وليس أحد من الناس بهذه المنزلة غير السلطان

وأما الخصال التي يستحب أن تكون معدومة فيه فقد ذكرها ابن
المقفع في كلام له قال ليس للملك أن يغضب لان القدرة من وراء حاجته
وليس له أن يكذب لانه لا يقدر أحد على الزامه بغير ما يريد . وليس له أن
يبخل لانه أقل الناس عذراً في خوف الفقر . وليس له أن يكون حقوداً لان
قدره قد عظم عن المجازاة لأحد على اساءة صدرت منه . وليس له أن يحلف
اذا حدّث لان الذي يحمل الانسان على اليمين في حديثه خلال اما مهانة
يجدها في نفسه واحتياج الى أن يصدقه الناس واما عيّ وحصر وعجز عن
الكلام فيريد أن يجعل اليمين تتمة لكلامه أو حشواً فيه واما أن يكون قد
عرف أنه مشهور عند الناس بالكذب فهو يجعل نفسه بمنزلة من لا يصدق

ولا يعمل قوله الا بالتمس وحينئذ كلما ازداد أساسا ازداد الناس له تمكدساً والملك يعزل عن هذه الدنيا كلها ويضره أكثر من ذلك . ومن الخصال التي يستحب أن تكون معدومة في الملك الحدة فانها ربما أصدرت عنه فعلا يندم عليه حين لا ينفع الندم وأكثر ما يرى الحداد من الرجال سريعي الرجوع ولذلك قال عليه الصلاة والسلام (خير أمتي حدادها)

ومن الخصال التي يستحب عدمها في الملك الضجر والسأم والملل فذلك من أفسد الأمور وأفسدها لحاله

واعلم أن للملك على رعيته حقوقاً وأن لهم عليه حقوقاً فأما الحقوق التي تجب للملك على رعيته فمنها الطاعة وهي الاصل الذي ينتظم به صلاح أمور الجمهور ويتمكن به الملك من الانصاف للضعيف من القوي والعصبة بالحق ومما جاء في التنزيل من الحث على ذلك وهي الآية المشهورة في هذا المعنى قوله تعالى . (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) ومن أمثالهم لا امرة لمن لا يطاع ولم ينقل في تاريخ ولا نصت سيرة من السير أن دولة من الدول رزقت من طاعة جندها ورعاياها مارزقته هذه الدولة القاهرة المغولية فان طاعة جندها ورعاياها لها طاعة لم يرزقها دولة من الدول

فأما الدولة الكسروية فانها على عظمها وفخامتها لم تبلغ ذلك وقد كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة نائباً لكسرى على العرب ومن الحيرة والمدائن التي كانت سرير ملك الاكاسرة فرسخ معدودة والنعمان في كل أيام قد عصا على كسرى واذا حضر عليه سخط وتجرأ على مجاورته وكان متى أراد خلع طاعته دخل البرية فأمن شره . وأما الدول الاسلامية فلا نسبة لها الى هذه

الدولة حتى نذكر منها فأما خلافة الأربعة الأول وهم أبو بكر الصديق
وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم وعليّ بن أبي طالب عليه السلام
فإنها كانت أشبه بالرتب الدينية من الرتب الدنيوية في جميع الأشياء كان
أحدهم يلبس الثوب من الكرباس الغليظ وفي رجله نعلان من ليف وحمائل
سيفه ليف ويمشي في الأسواق كبعض الرعية وإذا كلّم أدنى الرعية أسمعه
أغلظ من كلامه وكانوا يعدون هذا من الدين الذي بعث به النبي صلوات الله
عليه وسلامه فقيل إن عمر بن الخطاب جاءته برود من اليمن ففرقها على
المسلمين فحصل نصيب كل رجل من المسلمين برد واحد ثم حصل نصيب
عمر كنصيب واحد من المسلمين فقيل فصّله عمر ثم لبسه وصعد المنبر فأمر
الناس بالجهاد فقام إليه رجل من المسلمين وقال لا سمعاً ولا طاعة قال لم ذلك
قال لأنك استأثرت علينا قال عمر بأي شيء استأثرت قال إن الأبراد اليمنية
لما فرقتها حصل لكل واحد من المسلمين برد منها وكذلك حصل لك
والبرد الواحد لا يكفيك ثوباً ونراك قد فصلته قميصاً تاماً وأنت رجل طويل
فلو لم يكن قد أخذت أكثر منه لما جاءك منه قميص فالتفت عمر إلى ابنه
عبد الله وقال يا عبد الله أجبه عن كلامه فقام عبد الله بن عمر وقال إن أمير
المؤمنين عمر لما أراد تفصيل برده لم يكفه فناولته من بردي ما تممه به فقال
الرجل أما الآن فالسمع والطاعة . وهذه السير ليست من طرز ملوك الدنيا
وهي بالنبوات والأمور الأخروية أشبه . وأما خلافة بني أمية فكانت قد
عظمت وفخم أمرها وعرضت مملكتها ولكن طاعتهم لم تكن كطاعة
هؤلاء كان بنو أمية في الشأم وكان بنو هاشم بالمدينة لا يلتفتون إليهم وإذا
دخل الرجل الهاشميّ على الخليفة من بني أمية أسمعه غليظ الكلام وقال له

كل قول ضعف * وأما الدولة العباسية فلم تبلغ طاعة الناس لها ما بلغت هذه الدولة مع أن مدتها طالت حتى تجاوزت خمس مائة سنة ومملكتها عرضت حتى إن بعضهم حتى معظم الدنيا وسيقع الاشارة الى ذلك عند الكلام على دولة بنى العباس وحاصل الدنيا فى أيام الرشيد فى جبية خاصة تشتمل عليها كتب التواريخ تدل على ذلك * فأما أوائلهم فحووا شطرا صالحاً من الدنيا وقويت شوكتهم كالمنصور والمهدى والرشيد والمأمون والمعتصم والمعتضد والمتوكل ومع ذلك فلم تكن دولتهم تخلو من ضعف ووهن من عدة جهات منها امتناع الروم عليهم وقيام الحرب بينهم وبين ملوكها النصارى فى كل سنة على ساق ومع ذلك فكانت جانبها مستصعب عليهم وملوكها لا يزالون على الامتناع منهم وقد كان من أمر المعتصم وعمورية ما بلغك ولعل طرفا منه سلف فى هذا الكتاب عند الكلام فى الدولة العباسية * ومن أسباب الوهن الواقع فى دولتهم خروج الخوارج فى كل وقت * فاما المنصور فلم تشرب وتأخروا من ذلك خرج عليه النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب عليهم السلام بالحجاز فحرب بينه وبينه حروب أفضت الى ارسال عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس الى الحجاز لمحاربة النفس الزكية فقتله فوضع قريب من المدينة يقال له أحجار الزيت وذلك فى سنة كذا ولذلك سمى النفس الزكية قتيل أحجار الزيت وخرج عليه أخو النفس الزكية وهو ابراهيم بن عبد الله بالبصرة فلقى المنصور لذلك غاية القلق وقام وقعد حتى توجه اليه عيسى بن موسى فقتله بقرية قريبة من الكوفة يقال لها باخمرى فهو يعرف بقتيل باخمرى رضى الله عنه ومن ههنا حقد المنصور على العلويين وفعل بهم تلك الافاعيل ولعل طرفاً منها سلفت

فى هذا الكتاب اذا انتهيت من الكلام على الدولة العباسية وكذلك جرى أمر الخوارج مع خليفة خليفة حتى كان الرعية لا يأمنون فى بيوتهم آمنين ولا يزالون يتوقعون الفتنة والحرب كما كان حال أهل قزوين فى مجاورة قلاع الملاحدة . حدثنى الملك امام الدين يحيى بن الافتخارى رضى الله عنه قال أذكر ونحن بقزوين اذا جاء الليل حملنا جميع ما لنا من أثاث وقماش ورحل فى سراديب لنا فى دورنا عامضة خفية ولا نترك على وجه الارض شيئاً خوفاً من كبسات الملاحدة فاذا أصبحنا أخرجنا أقمشتنا فاذا جاء الليل فعلنا كذلك ولأجل ذلك كثر حمل القزاوينة للسكاكين وكثر حملهم للسلاح وما زال الملاحدة على ذلك حتى كان من أمر شمس الدين قاضى قزوين وتوجهه الى قاآن واحضاره العسكر وتخريب قلاع الملاحدة ما كان وليس هذا الموضع موضع اثبات الكلام فى هذا فانه عرض وليس بمقصود . وكما جرى للموفق بن المتوكل فى مرابطة الزنج أربع عشرة سنة ما زال يصابرهم من البصرة وواسط طول هذه المدة حتى اباده وكان لطول المدة قد ابتنى فى الزنج هناك مدائن ثم خربت وآثارها الآن باقية

وأما أن حرمة أعنى أواخر خلفاء بنى العباس فقد سلموا غاية الضعف حتى غصب تكريت عليهم وفى ذلك يقول شاعرهم (كامل)

فى العسكر المنصور نحن عصابة من دولة أحسن بنا من معشر
جد علينا من عهدنا فيما مضى من جنة ورقاعة و ورر
بتكريت نحرزنا ونحن نعدنا عصى لنأخذ زبداً من ... ر

وكانوا أعنى المتأخرين من خلفاء بنى العباس قد اقتصروا فى آخر الأمر على مملكة العراق فحسب حتى ان إربل لم تكن فى حكمهم وما زالت خارجة

عن حكمهم الى أن مات مظفر الدين بن زين الدين علىّ كوجك صاحب إربل وذلك فى أيام المستنصر فعين على شرف الدين إقبال الشرابىّ وكان مقدم الجيوش ليتوجه الى إربل لفتحها وجهزه بالعساكر فتوجه الشرابى اليها وأقام عليها أياماً محاصراً ثم فتحها فضربت البشائر ببغداد يوم وصول البشائر بفتحها فانظر الى دولة تضرب البشائر على أبواب صاحبها وبين البلد لأجل فتح قلعة إربل التى هى اليوم فى هذه الدولة من أحقر الاعمال وأصغرها وأهونها بلى قد كان ملوك الاطراف مثل ملوك الشأم ومصر وصاحب الموصل يحملون اليهم فى كل سنة شيأ على سبيل الهدية والمصانعة ويطلبون منهم تقليداً ولا يه بلاده ليحتجوا بذلك على رعيتهم ويوجبون عليهم طاعتهم بذلك السبب ولعل الخلفاء قد كانوا يعوضون ملوك الاطراف عن هداياهم بما يناسبها أو يفضل عنها كل ذلك لحفظ الناموس الظاهر وليكون لهم فى البلاد والاطراف السكة والخطبة حتى صار يضرب مثلا لمن له ظاهر الامر وليس له من باطنه شئ أن يقال فيه فلان من الامر الفلانى بالسكة والخطبة يعنى فيه منه بالاسم دون الحقيقة فهذه جمل من أحوال الدولة العباسية ٭ وأما الدولتان البويهية والسلجوقية فلم يعرض تملكهما مع قوة شوكة ملوكهما كقصد الدولة فى بنى بويه وطغرلبك فى بنى سلجوق ولا تم طاعتها ولم يشمل ملكهما ٭ وأما الدولة الخوارزمشاهية مع أن جريدة السلطان جلال الدين اشتملت على أربع مائة ألف مقاتل فلم يعرض ملكها أيضاً ولا يجاوز النواحى القريبة منها بلى جلال الدين غزا أطراف الهند ٭ ومن الحقوق الواجبة للملك على الرعية التعظيم والتفخيم لشأنه فى الباطن والظاهر وتعويد النفس على ذلك ورياضتها به بحيث يصير ملكه

مسعره و بو سه الاولاد على دلك و بأديهم به لىرى هدا المعنى معهم

وهاهنا موضع حكاية وهى أن سلطان هـذا العصر ثبت الله قواعـد دولته . وبسط فى الخاص طل معدلته . لما ورد الى بغداد فى سنه ثمان وتسعين وستمائه دخل المستنصريه لمشاهدتها والتفرج فيها وكان قبل وروده اليها قد رتب وجلس المدرسون على سددهم والفقهاء بين أيديهم وفى أيديهم أجزاء القرآن وهم يقرؤن منها فاتفق أن الركاب السلطانى بدأ بالاجتياز على طائفه الشافعيه ومدرسها الشيخ جمال الدين عبد الله بن العاقولى وهو رئيس الشافعيه ببغداد فلما نظروا اليه قاموا قياماً فقال للمدرس المذكور كيف جاز أن تقوموا الى وتتركوا كلام الله فأجاب المدرس بجواب لم يقع بموقع الاستصواب فى الحضره السلطانيه أعلى الله فى الدنيا كلمتها . وفى الآخره درجتها . ثم بعد ذلك حكى لى المدرس المذكور صوره السؤال والجواب فأما السؤال فهو ما حكيته وأما جوابه فلم أستصوبه وقلت له قد كان يمكن أن قال فى جواب هذا السؤال ان تركنا للمصحف اذا كان فى أيدينا واشتغالنا بغيره لم يحرم علينا فى دينا ولا حصل علينا فى ذلك حرج ثم إن هـذا المصحف الذى قد تركناه وقمنا بين يدى السلطان قد أمرنا فيه بتعظيم سلاطيننا . ومن الحقوق الواجبه للملك على رعيته النصيحه فقد جاء فى الحديث صلوات الله وسلامه على من نسب اليه قوله صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحه) قيل لمن يارسول الله قال (لله ولرسوله ولجماعه المسلمين) . ومنها ترك اغتياب الملك فى ظهر الغيب قال صلى الله عليه وسلم (لا تسبوا الولاة فانهم ان أحسنوا كانوا لهم الاجر وعليكم الشكر وان أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر) وانما هم نقمه ينتقم الله بها ممن يشاء فلا تستقبلوا نقمه الله بالحميه

والعصب واستعملوها بالاستكانة والتضرع * وأما الحقوق الواجبة للرعية على الملك فمنها حماية البيضة وسد الثغور وتحصين الاطراف وأمن السوابل وقمع الدعار فهذه حقوق تلزم السلطان تجري مجرى الفروض الواجبة وبهذه الأمور تجب طاعته على رعيته * ونحو من هذا احتج الخوارج على أمير المؤمنين علي عليه السلام عقيب انقضاء حرب صفين قالوا له ان فرطت في حفظ هذا الامر حتى نقر الشأم بتحكيمك الحكمين فانت مخطئ مفرط فليس لك علينا طاعة فان اعترفت بهذا الخطاء واستغفرت رجعنا الى طاعتك وقاتلنا معك العدو فعرفهم عليه السلام أنه على رأيه في قصة التحكيم وان التحكيم لم يكن من رأيه فأبوا الا على قولهم ولم يقبلوا ونابذوه وقاتلوه حتى كانت الوقعة المشهورة بالنهروان * ومن الحقوق الواجبة للرعية على الملك الرفق بهم والصبر على بوادر من هفواتهم * قال صلوات الله عليه وسلامه (ما كان الرفق في شيء الا زانه ولا كان الخرق في شيء الا شانه) * وقد روي عنه صلوات الله عليه وسلامه (من الرفق أشياء لا تلقى الا بعقب السوء) * كان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر والشأم كثير الرفق موصوفاً به دخل مرة الى الحمام عقيب مرضه طويلة أصابته وانهكت قوته فأدخل الحمام وهو في غاية من الضعف فطلب من مملوك كان واقفاً على رأسه ماء حارا فأحضر له في طاسة ماء شديد الحرارة فلما قرب منه اضطربت يد المملوك فوقعت الطاسة عليه فأحرق الماء جسده فلم يؤاخذه ولا كلام ثم طلب منه بعد ذلك بساعة ماء بارداً فأحضر له في تلك الطاسة ماء شديد البرد فحين قرب منه اتفق له ما اتفق في المرة الاولى من اضطراب يده ووقوع الطاسة عليه بذلك الماء الشديد البرد فغشي عليه وكاد يموت فلما أفاق قال للمملوك إن

كسب يزيد قبل قرشي ولم يرد على هذه الكلمة رضي الله عنه * قيل تقدم رجل أحمر الى بعض الرؤساء يساوره فقال له سخ عن صد آدمي قال الرجل لا كرامة ولا عزة ما رأساك وقفا بين يديك الا حتى يحتمل منا ما هو أشد من هذا وتصبر منا على ما هو اعظم منه * ومما يجب للرعية على الملك رفع هو يهم عن ضعيفهم وانصاف ذليلهم من عزيزهم واقامة الحدود فيهم واقرار حقوقهم مقارها واعانة ملهوفهم وحماية مستصرخهم والتسوية في حكمه بين الأبعد منهم والأقرب والأذل والأعز * قال عمر بن الخطاب لرجل اني لا أحبك قال فيمنعني من حق شيئاً قال عمر لا قال الرجل فما يفرح بالحب بعد هذا الا النساء

ويجب للملك ان يعرف نعمة الله عليه بأن اصطفاه لهذه المرتبة العلية دون سائر الخلق وبأن جعله يفزع منه كل أحد ولم يجعله يفزع من أحد فلا يزال لها ذاكراً شاكراً فاما الذكر فلامتثال قوله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) وأما الشكر فطلب المزيد لقوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم)

ويجب أن يكون بينه وبين ربه معاملة سرية لا يعلم بها الا الله فتلك المعاملة تقي مصارع السوء وهذه العبارة مقبولة عند جميع أصحاب الملل وعند الحكماء ايضاً هي مقبولة وبعكس بأعلها على هذا المطلوب يجب اعتمادها

ويجب أن يكون له دعوات يناجي بها ربه وهي دعوات تليق بالملوك لا تصلح للعوام ولا بأس أن أثبت في هذا الموضع فصلا من الدعاء الملكي وهذا مما اخترعته أنا ولم اعلم ان احداً سبقني اليه * فصل من الدعاء مختصر * اللهم اني أبرأ اليك من حولي وقوتي وألجأ الى حولك وقوتك احمدك على ان اوجدتني من العدم وفضلتني على كثير من الامم . وجعلت في يدي

رمام حلمك . واستحلفنى على ارصك ، اللهم خذ بيدى فى المصاعب . واكشف لى وجوه الحقائق . ووفقنى لما تحب . واعصمنى من الزلل ولا تسلبنى ستر إحسانك وقنى مصارع السوء واكفنى كيد الحساد . وشماتة الاضداد . والطف بى فى سائر تصرفاتى . واكفنى من جميع جهاتى . يا أرحم الراحمين » ويحسن بالملك الفاضل إكرام فضلاء رعيته واختصاصهم بالبر قال بعض الحكماء لا يجوز ان يكون الفاضل من الرجال الا مع الملوك مكرماً او مع النساك متبتلا كالفيل لا يحسن ان يرى الا فى موضعين اما فى البرية وحشياً واما للملوك مركباً كما قال الشاعر (وافر)

كمثل الفيل ما عند مليك ... وإما فى مراتعه مسيبا

. مما يكره للملك مخالطة الاندال . والسوقة والجهال فان سماع ألفاظهم الساقطة ومعانيهم المرذولة وعاداتهم الدنية مما يحط الهمة ويضع المنزلة ويصدئ القلب ويزرى بالملك ومخالطة الاشراف ومباشرة أفاضل الرجال مما يعلى الهمة ويذكى القلب ويصفى الذهن ويبسط اللسان » وتلك قاعدة مطردة للملوك ما زالوا يدخلون اليهم عوام الرعية ويباشرونهم ويستخدمونهم ولم يخل احد من الخلفاء من مثل هذا وكان لسان حالهم يقول نحن نحلى الكبار كباراً فاذا خصصنا عاماً بوهبا نذكره ونديمناه حتى نصير من الخواص كما اننا اذا أعرضنا عن احد من الخواص أرذلناه حتى نصير من اراذل العوام وكذلك هو فان هذه خاصة من خواص الملك وقد سبق ذكرها وكل هذا مأخوذ من الخواص الالهية فان العناية الالهية اذا صدرت ذرة منها الى المعوس صار ذلك الانسان نبياً أو إماماً او ملكا واذا صدرت فى حين الزمان صار ذلك اليوم يوم العيد الكبير وليلة القدر وايام الحج ولئام

المواسم والزيارات لسائر الامم و دا صدرت ملك الندره في حق المكان صار مثل مكه والبيت المقدس والمشاهد و نحو مع والزيارات والمسعدات مواضع التعريات

وهاهنا موضع حكايه كان ببغداد حال بقال له عبد الغني بن الدروس وصل في ايام المستعصم حتى صار بر حا في بعض أبراح دار الخليفه فما زال يحسن التوصل الى ولد المستنصر وهو المستعصم آخر الخلفاء وكان في زمن ابيه محبوساً فما زال هذا البراح يتعهده بالخدمه طول مده الايام المستنصريه الى أن توفى المستنصر وجلس على سرير الخلافه ولده ابو أحمد عبد الله المستعصم فعرف لهذا البراح حق الخدمه و ... مقدم البراحين وفي آخر الامر استخصه في باطن ... دره و حصه وقدمه حتى بلغ الى انه صار اذا دخل الى الوزير ينهض له ويخلي المجلس من جميع الناس اذ كان ابن الدروس حاضراً وسبب اخلاء المجلس لو يرى عند حضور ابن الدروس لأجل انه يمكن ان يكون قد جاء في مشافهه من عند الخليفه ولقب نجم الدين الخاص وصار من أخص الناس بالخدمه وبلغ من منزلته انه كان ينصب اصحاب الديوان عند الخدمه وكان صاحب الديوان يعرض مطالعاته ومهامه على يد نجم الدين الخاص وكان يده في كل سنه مال طائل حتى يحفظ غيبته ويرى به في الحضره الخليفه

وجرى بيني وبين جمال الدين علي بن محمد ال... سنجردانى رحمه الله كلام في معنى هذا ابن الدروس فصوبت أنا رأى المستعصم في الاحسان اليه وقلت انه خدمه وأنعم عليه حقاً وقد كافأه فلا عيب في هذا وقال جمال الدين رحمه الله ما معناه ان تسلطه لمثل ذلك الأحمق على أعراض الناس

وأموالهم وادخاله فى المملكة حتى كاد ان يولى الوزراء ويدبرهم فيبح من المصطنع دليل على جهله والا فان كان مراده الاحسان اليه مكافأة له على سابق خدمته فقد كان يجب ان يكون ذلك بمال يعطاه او برفع منزلة لا يحل بسببها أمر فى المملكة . ولا يفارق بها قدح فى عقل الخليفة وكان نظر جمال الدين فى هذا المعنى دون من نظرى والحق فى جانبه رحمه الله وكانت هذه المفاوضة بينى وبينه فى كتاب كتبه اليه افضى الحال فيه ذكر هذه القصة وكتب هو الجواب عنه وأعاد كتابى الى لانى الحمت فيه اعادة كتابى والكتابان هناك فى هذا التاريخ عندى بخطى وخطه رحمه الله . ومما يليق بالملك الفاضل ويكمل فضله ان يكون عالى الهمة رحب الصدر محبا للرئاسة معداً لها أسبابها طامح النظر اليها مميلا فكره فى توسيع مملكته وعلو درجته غير مخلد الى السلم ولا جانح الى الترف ولا منهمك فى اللذات . قال بعض حكماء الفرس همم الناس صغار وهمم الملوك كبار . وألباب الملوك مشغولة بكل شىء عظيم . وألباب السوقة مشغولة بأيسر الاشياء . وليعلم الملك ان الرئاسة عروس مهورها الانفس . نظر معاوية الى عسكر امير المؤمنين على عليه السلام فى صفين فالتفت الى عمرو بن العاص وقال من يطلب عظيم الخاطر بعظيم وان نظرت فيما احاول فاذا الموت فى طلب العز احسن عاقبة من الحياة مع الذل قال بعض الشعراء

(طويل)

هى النفس ان مات قصد مات قبلها كرام وان تسلم فللحدثان
اذا النفس لم تسم الى طلب العلى فسيان من الاموات فى الحيوان

ومن الغاية فى هذا المعنى قول امرئ القيس (طويل)

ولو ان ما اسعى لادنى معيشة كفانى ولم اطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل امثالى

ومما يكمل فضيلة الملك ان تكون قوة الاختيار عنده سليمة لم تعترضها آفة فتكون تختار الرجال اختيارا فاضلا . كان الناصر آية الدنيا فى اختيار الرجال فكان من توصلاته الى معرفة الرجل ان اشكل عليه حاله ان يشيع بين الناس انه يريد ان يوليه المنصب الفلانى ثم تمادى فى ابرام ذلك أياما فيملأ البلد بالاراجيف لذلك الرجل فيفترق فيه الناس فقوم يصوبون ذلك الرأى ويصفون فضائل الرجل وقوم يغالطون الخليفة ويذكرون عيوب الرجل وللخليفة عيون وأصحاب أخبار لا تؤبه لهم يخالطون أصناف الناس فيكتب أصحاب الأخبار اليه بما الناس فيه من التقلبات فى ذلك فيعرف بصحة نظره وعيزه أى القولين أرجح وأصوب فان رجح فى نظره تفضيل الرجل ولاه وخلع عليه وإن ترجح عنده قول الطاعنين عليه وتبين له نقصه تركه وأعرض عنه . وفى الجملة فحسن الاختيار أصل عظيم قال الشاعر (بسيط)

من كان راعيه ذئبا فى حلوبته فهو الذى نفسه فى أمره ظلما

يرجو كفايته والغدر عادته ومن يرد خائنا يستشعر الندما

ومما يكره للملوك المبالغة فى الميل الى النساء والانهماك فى محبتهن وقطع الزمان بالخلوة معهن فأما مشاورتهن فى الأمور فجلبة للعجز ومدعاة الى الفساد ومنبهة على ضعف الرأى اللهم إلا أن تكون مشاورتهن يراد بها مخالفتهن كما قال عليه السلام (شاوروهن وخالفوهن) وفى هذا الحديث سؤال وجواب إن قال قائل اذا كان المراد مخالفتهن فى آرائهن فأى فائدة فى الامر بمشاورتهن وقد كان يكفى فى هذا أن يقال خالفوهن فيما يشرن به فالجواب من وجهين أحدهما أن الامر الاول للاباحة والامر الثانى للوجوب

نى اذا شاورعوهن خالفوهن والآخر أن الصواب لا يزال فى خلاف أرائهن فاذا أشكل عليكم الصواب فشاوروهن فاذا ملن الى شئ فاعلموا أن الصواب فى خلافه وفى هذا تظهر فائدة الأمر بمشاورتهن حتى بها يستدل على الصواب * وحدث ان عضد الدولة فناخسرو بن بويه شغفته امرأة من جواريه حبا وغلب عليه فشغل بها عن تدبير المملكة حتى ظهر الخلل فى مملكته فخلا به وزيره وقال له أيها الملك إن هذه الجارية قد شغلتك عن مصالح دولتك حتى لقد تطرق النقص عليها من عدة جهات وماسبب ذلك إلا اشتغالك عن اصلاح دولتك بهذه الأمة والصواب أن تتركها وتلتفت الى اصلاح مافسد من مملكتك قال فبعد أيام خلى عضد الدولة على مشرف له على دجلة ثم استدعى الجارية فحضرت فشاغلها ساعة حتى غفلت عن نفسها ثم دفعها الى دجلة فغرقت وفرغ خاطره من حبها واشتغل باصلاح أمور دولته فاستعظم الناس هذا الفعل من عضد الدولة ونسبوه فيه الى قوة النفس حتى قويت نفسه على قتل محبوبه ، وأنا أستدل بهذا الفعل على ضعف نفس عضد الدولة لاعلى قوتها فانه لو لم يخش من نفسه بالاسترسال العظيم لحبها لما توصل الى عدمها ولو تركها حية ثم أعرض عنها لكان ذلك هو الدليل على قوة نفسه * ولكل صنف من الرعية صنف من السياسة فالافاضل يساسون بمكارم الاخلاق والارشاد اللطيف والاوساط يساسون بالرغبة الممزوجة بالرهبة والعوام يساسون بالرهبة والزامهم الحدد المستقيم وقسرهم على الحق الصريح ، واعلم أن الملك لرعيته كالطبيب للمريض إن كان مزاجه لطيفاً لطف له التدبير ودس له الأدوية المكروهة فى الاشياء الطيبة وتحيل عليه بكل ممكن حتى يبلغ غرضه من برئه وان كان مزاجه غليظاً عالجه

عن الملاح وصرعته وشدته ولذلك لا ينبغي للملك أن يهدد من يكون في تأديبه الاعراض والتعطيب وكذلك لا ينبغي أن يحبس من يكون في تأديبه التهدد كما أنه لا ينبغي أن يضرب من يكون في تأديبه الحبس ولا أن يصل بالسيف من يكون في تأديبه ضرب العصا . وغير هذه الحالات بعضها من بعض أعني معرفة المزح الذي يكون فيه التهدد ولا يحتاج الى الحبس أو يكون فيه الحبس ولا يحتاج الى الضرب يحتاج الى لطف حدس وصحة غير وصفاء خاطر وفطنة تامة وفطانة كاملة فما أشد ما يشبه الاخلاق ويلتبس لامتزجه والطباع . ويجب على الملك أن يتأنى في أمر القتل وازهاق النفس فيعلم أنه الحادث الذي لا حياة للمحو ن بعده في الدنيا وانه لو جهد أهل الارض كلهم على اعادته في الحياة لم يقدروا على ذلك وبحسب هذه الحال يجب أن يكون يتبعه في زهاق النفس وهدم الصورة وبأنه وبروية حتى تقوم الادلة على وجوب القتل فاذا وجب عمله على الوضع المعهود من غير تأنق فيه وتنويع غريب وعمل بالمصول . ورد عن سيد البشر صلوات الله عليه وسلامه (اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله علي بن أبي طالب عليه السلام بالسيف قبض بن ملجم وحبس حتى ينظر ما يكون من أمر علي عليه السلام فجمع علي ولده وخاصته وقال يا بني عبد المطلب لا تخمسوا من كل صوب تقولون قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين لا تقتلوا بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة ولو بالكلب العقور وانظروا اذا أنا مت من ضربتي هذه فاضربوا الرجل ضربة بضربة

ومن فوائد التأني والتثبت في القتل الأمن من الندم حتى لا يحدث الندم فكان أفاضل الملوك والخلفاء يستعملون هذه الخصلة كثيراً فلا

يسرعون الى قتل رجل معروف مشهور خوفاً أن يحتاجوا اليه بعد ذلك فيندر عليهم بل كانوا يحبسونه في غوامض دورهم ويقيمون له كل ما يحتاج اليه من أطعمة شهية وفواكه وثلج وأشربة وفرش وثياب ويحملون اليه كتبا يلهو بها ويقطعون خبره عن الناس حتى يشك في موت أهله وأصحابه أنه قد هلك ثم يستقصى أمواله وأموال أصحابه ويستخرج ذخائره وودائعه ويصير في عداد الموتى فلا يزال كذلك حتى تدعوهم الحاجة اليه فيخرجونه مكرما وقد تأدب وتهذب ، منسرح ؛

من لم تؤدبه والداه   أدبه الليل والنهار

وهاهنا نكتة ربما وقع فيها أفاضل الملوك وهي ان بعض الملوك ربما كان سمحاً بنفسه محباً لأن ينتشر عنه حديث صرامة وشهامة وسياسة قاهرة فيتسرع بالقتل ويسهل أمره ويبادر اليه ويفرضه اثبات الهيبة واقامة السياسة من غير التفات الى ما في تخطى ذلك من ازهاق الانفس التي حرمت الا بالحق وهذا من أخطر الأمور على الملك والصواب أن لا يزال في نفسه كارهاً للقتل صادفاً عنه ما أمكن حتى تدعو اليه ضرورة ليس منها حيلة فحينئذ يقدم عليه بنفس قوية وجنان ثابت فان قتل واحد أصلح من تركه حتى يحتاج الى قتل خمسة وقتل خمسة خير من تركهم حتى يذنب فسادهم حتى تبلغ الحاجة الى قتل مائة ومن أجل ذلك قال الله تعالى (ولكم في القصاص حياة) وقيل : القتل أنفى للقتل . وقال الشاعر (طويل)

سفكت الدما يا جارى تحقن الدما   وبالقتل تنجو كل نفس من القتل

وقال المتنبي (كامل)

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم

أوصى بعض الحكماء بعض الملوك فقال أيها الملك انما هو سيفك ودرهمك فازرع بهذا من شكرك واحصد بهذا من كفرك . جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله انى رأيت محمد الجدي فأعرض عنه رسول الله والتفت الى غيره فدار الرجل حتى حاذاه وأعاد القول فأعرض عليه السلام عنه مرة أخرى فعاود القول والتمس أخذ الجدي منه فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم إزهاق نفسه فقال له كي نعلمه لا تكون قد قلت أو غاضب أو ألمت . لم تفعل قال لا يا رسول الله ولكن رأيت فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل الرجل وأصحابه كي نعلمهم أيضاً الاعذار عنه وقال كأنه مصر في عمله قالوا لا يا رسول الله ما نعرفه الا عاقلا فحدثهم لم ير النبي صلى الله عليه وسلم حيله فأمر باستيفاء الحد منه والمطامير العامضه المجلد فيها عقوبة تمام القتل مع الأمن من التدم المحتمل فيه . وأما أصناف العقوبات فيجب على الملك الكامل أن يمعن النظر فيها أيضاً فكم من عقوبة قد أتت على نفس جنتها المعاقب من غير أن يراد إزهاق نفسه وأصعب ما فيها التعذيب بالنار فهي عقوبة فيها مشاركة لأن العقوبة بالنار مختصة بالله عز وجل فلا يجوز للعبد ان يشاركه فيها والنظر في اصناف العقوبات موكل الى نظر الملك الفاضل وبحسب ما تقتضيه الحال الحاضر ولكن الاصل الكلي فيه ان يكون الملك في نفسه كارهاً لذلك غير متعجل به لا يبادر اليه ولا يقدم عليه الا اذا دعت اليه ضرورة ماسة لا يقضي فيها حق نفسه ولا يشفي بها غيظ صدره وهذا مقام صعب لا يرقى اليه أحد الا من أخذ التوفيق بيده . قيل ان علياً عليه السلام صرع في بعض حروبه رجلا ثم قعد على صدره ليحز رأسه فبصق ذلك الرجل في وجهه فقام عليّ

علىه السلام وبركه فلما سئل عن سبب قيامه وبركه قبل الرحيل بعد التمكن منه قال انه لما نص فى وحقى غطب منه خفت ان افتله فى مكون للغضب والسخط نصيب فى قبله وما كنت أحب أن اقتله الا خالصاً لوجه الله تعالى « قال أبو بكر الملوك يشمون بالافعال لا بالاقوال وتنسب وزن بالايدى لا بالألسن وقد نظم هذا المعنى شاعر العرب فقال (طويل)

ويجهل أبدينا ويحلم رأينا ونشتم بالافعال لا بالتكلم

ومما يكره للملك الانهماك فى اللذات وسماع الاغانى وقطع الزمان به قال الشاعر أبو الفتح البستى (بسيط)

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب

أما ترى الشمس فى الميزان هابطه لما غدا وهو برج اللهو والطرب

وما دخل الخذلان على ملك من طريق اللهو واللعب كما دخل على جلال الدين بن خوارزمشاه فانه لما هرب من المغول بعوه فكان اذا رحل عن بلده نزلوها بعده واذ أصبح فى مكان أمسوا هم فى المكان يرصدون قصده وهو مع ذلك مواصل لشرب الخمر عاكف على الدف والزمر لا ينام لا سكران ولا يصبح الا مخمورا سوان وعسكره فى كل يوم ينقص وامره فى كل يوم يزيد اضطراباً ورأيه فى كل لحظه يضل وجده يميل وهو لا يشعر بذلك ولا يلتفت اليه حتى قال شاعره مخاطبه (دوبيت)

شاها زمى سكران چه خواهد خاست

ورمستى هر زمان چه خواهد خاست

شه مست وجهان خراب ودشمن پس وپيش

پيداست كه آخر ميان چه خواهد خاست

وممن دخل النقص عليه من الملوك بسبب اللهو واللعب محمد بن زبيدة الأمين كان كثير اللهو واللعب منهمكا فى اللذات فيقال انه لعب يوماً هو ووزيره الفضل بن الربيع بالنرد فتراهنا فى خاتميهما فطلب الأمين فأخذ الخاتم وأرسل فى الحال وأحضر صائغاً وكان على خاتمه مكتوب الفضل بن الربيع فقال للصائغ اكتب تحته سكعج فنقش الصائغ ذلك فى الحال ثم أعاد الخاتم الى الفضل بن الربيع وهو لا يعلم ما نقش عليه ثم مضى على ذلك مدة فبعد أيام دخل الفضل بن الربيع عليه فقال له ما على خاتمك مكتوب قال اسمى واسم ابى فناوله الأمين ثم قال له ما هذا المكتوب تحت اسمك فلما قرأه الفضل بن الربيع فهم القصة وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا والله هو الخذلان المبين انا وزيرك ولى اليوم كذ وكذا يوما أحمل الكتب بهذا الى الاطراف وهو على هذه الصفة هذا والله آخر الدولة ودمارها والله لا أفلحت ولا أفلحنا معك فكانت القصة بعد ذلك بيسير وكان المستعصم آخر الخلفاء شديد التكلف باللهو واللعب وسماع الأغانى لا يكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعة واحدة وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التنعم واللذات لا يرعون له صلاحا وفى بعض لأمثال الخاتى لا تسمع صياحاً وكتبت له الرقاع من العوام وفيها أنواع التحذير والقيت وفيها الاشعار فى أبواب دار الخلافة فى ذلك (مجتث)

قل للخليفة مهلا | أتاك ما لا تحب
ها قد دهتك فنون | من المصائب غرب
فانهض بعزم والا | غشاك ويل وحرب
كسر وهتك وأسر | ضرب ونهب وسلب

وفي ذلك يقول بعض شعراء الدولة المستعصمية من قصيدة أولها

(بسيط)

يا سائلي ولحص الحوف رماد | أصبح قصدي شذان واشاد
واصبحه الناس والدين الحسف وما | ملعاه من حادثات الدهر بغداد
هلك وقتل وأحداث نشعب بها | رأس الوليد وبعدت وأصماد

كل ذلك وهو عاكف على سماع الأغاني واستماع المثالث المثاني وملكه قد أصبح وهي المباني • ومما اشتهر عنه أنه كتب الى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعة من ذوي الطرب وفي تلك الحال وصل رسول السلطان هولاكو اليه يطلب منه منجنيقات وآلات الحصار فقال بدر الدين انظروا الى المطلوبين وابكوا على الاسلام وأهله ولعني أن الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي كان في أواخر الدولة المستعصمية ينشد دائما

(خفيف)

كيف يرجى الصلاح من أمر قوم | ضيعوا الحزم فيه أي ضياع
فمطاع ولس فيه سداد | وسديد المقال غير مطاع

قالوا ولا ينبغي للرجل الكامل إلا أن يكون في الغاية القصوى من طلب الرئاسة أو في الغاية القصوى من تركها (وافر)

اذا ما لم يكن ملكا مطاعا | فكن عبدا لخالقه مطيعا
وان لم تملك الدنيا جميعا | كما تهواه فاتركها جميعا

وها هنا موضع حكاية تشتمل على أدوات الرئاسة • قيل ورد أبو طالب المراحي الكاتب ولم يكن في عصره أكتب ولا أفضل منه الى الري قاصداً حضرة ابن العميد فلم يجد عنده قبولا ولا رأى عنده ما يحب فارقه وقصد

أذربيجان وسار الى ملكها وكان فاضلا لبيباً فلما اختبره وعرف فضله سأله المقام عنده وأفضل عليه فأقام لديه على أفضل حال فكتب الى ابن العميد يوبخه على جهل حقه وتضييعه لمثله فى جملة الكتاب حدثنى بأى شئ تحتج اذا قيل لك لم سميت الرئيس واذا قيل لك ما الرئاسة أتدرى ما الرئاسة الرئاسة أن يكون باب الرئيس مصونا فى وقت الصون ومفتوحا فى وقت الفتح وأن يكون مجلسه عامراً بأفاضل الناس وخيره واصلا الى كل احد وإحسانه فائضا ووجهه مبسوطا وخادمه مؤدبا وحاجبه كريما طلقا وبوابه لطيفا ودرهمه مبذولا وطعامه مأكولا وجاهه معرضا وتذكرته مسودة بالصلات والجوائز والصدقات وأنت فبابك لا يزال مقفلا ومجلسك خاليا وخيرك مقنوطا منه وإحسانك غير مرجو وخادمك مذموم وحاجبك هرار وبوابك شرس الاخلاق ودرهمك فى العيوق وتذكرتك محشوة بالقبض على فلان واستئصال فلان وبنى فلان فباقة عليك هل عندك غير هذا ولولا أنا أكون قد دست بساطك وأكلت من طعامك لأشمت هذه الرقعة ولكنى أرعى لك حق ما ذكرت فلا يعلم بها الا الله وأنت ووالله ثم والله ثم والله ما لها عندى نسخة ولا رآها مخلوق غيرى ولا علم بها فأبطلها أنت اذا وقفت عليها وأعدمها (والسلام على من اتبع الهدى) ويجب ان يكون الملك مجازيا على الاحسان بمثله وعلى الاساءة بمثلها لتكون رعيته دائما راجين لبره خائفين من سطوته وما احسن قول النابغة للنعمان بن المنذر فى هذا الباب وهو

(بسيط)

ومن اطاعك فانفعه بطاعته	كما أطاعك وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة	تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

وقالت الفرس فساد المملكة واستجراء الرعية وخراب البلاد بابطال الوعد والوعيد ولا يليق بالملك الفاضل أن تكون افتخاره بزخارف الملك مما حوته يده واشتملت عليه خزائنه من نفائس الذخائر وطرائف المصنفات فان تلك زخارف لاحقائق لها ولا معرج لفاضل عليها ، وكذلك لا ينبغي له أن يكون فخره بالآباء والأجداد وانما ينبغي أن يكون فخره بالفضائل التي حصلها . والأخلاق التي كملها . والآداب التي استفادها . والأدوات التي استجادها

افتخر بعض الأغنياء عند بعض الحكما بالآباء ولأجداد وبزخارف المال المستفاد فقال له ذلك الحكيم ان كان في هذه الاشياء فخر فينبغي أن يكون الفخر لها لا لك وان كان آباؤك كما ذكرت أشرافا فالفخر لهم لا لك *
قال السجدى كان بعض الحكماء اذا وصف عنده انسان يقول هو عصامى أم عظامى فان قيل له هو عصامى سر به وان قيل هو عظامى تكدر منه وقوله عصامى إشارة الى قول القائل (رجز)

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما

وصيرته ملكا هماما

يعنى أنه بعقله ونفسه صار رئيساً وقوله عظامى يعنى أنه يفتخر بالآباء والأجداد والعظام النخرة . قال السجدى لبعض أصحاب ابن العميد ذي الكفايتين كيف رأيت الوزير فقال رأيته بائس الموعود . دميم المردود . سيئ الظن بالمعبود . فقال السجدى أما رأيت تلك الأبهة والصيت والموكب والتجمل الظاهر والدار الجليلة والفرش السنى والحاشية الجميلة فقال ذلك ارجل الدولة غير السودد والسلطنة غير الكرم والحظ غير المجد أين الزوار

والمسحمون وأين الآملون والشاكرون وأين الواصفون الصادقون وأين المصرفون الراصون وأين الهبات وأين المصلات وأين الخلع والعد عاب وأين الهدايا وأين الصافات هيهات هيهات لا تحيء الرئاسه بالرهات ولا تحصل الشرف بالخزعلات اما سمعت قول الشاعر (متقارب)

أبا جعفر ليس فضل الفتى اذا راح في فرط إعجابه
ولا في فراهه برذونه ولا في ملاحه أثوابه
ولكنه في فعال الجميل و لكرم الأسـ ف النابه

ولمؤلف هذا الكتاب أصلح الله شأنه وصانه عما شانه . في هذا المعنى (خفيف)

ليس فضل الفتى على الناس في ثو ب ودر وفضله وحباه
انما الفضل في عقد جار وسيف وصاحب وعلاه

قالوا السياسات خمسة نوع سياسه المنزل والقريه والمدينه والجيش والملك فمن حسنت سياسته في منزله حسنت سياسته في قريته ومن حسنت سياسته في قريته حسنت سياسته في مدينته ومن حسنت سياسته في مدينته حسنت سياسته للجيش ومن حسنت سياسته للجيش حسنت سياسته للملك . وأنا لا أرى هذا لازماً فكم من عاجز حسن السياسه لمنزله ليس له قوه سياسه الأمور الكبار وكم من ملك حسن السياسه لمملكته ليس يحسن سياسه منزله والمملكه تحرس بالسيف وتدبر بالقلم واختلفوا في السيف والقلم أيهما افضل وأولى بالتقديم فقوم يرون ان يكون القلم تابعاً للسيف واحتجوا على مذهبهم بأن السيف يحفظ القلم فهو يجري منه مجرى الحارس والخادم وقوم يرون ان يكون السيف هو التابع واحتجوا بأن القلم

تخدم السيف لانه يحصل لأصحاب السيوف ارزاقهم فهو كالخادم له • وقوم قالوا هما سواء ولا غنى لأحدهما عن الآخر قالوا المملكة تحصن بالسخاء وتسمو بالعدل وتثبت بالعقل وتحرس بالشجاعة وتساس بالرئاسة • وقالوا الشجاعة لصاحب الدولة • ومن وصايا الحكماء احمل قال عدوك آخر حيلتك وانتهز الفرصة وقت امكانها وكل الأمور الى أكفائها ومن ركب ظهر الغفلة لم يأمن الكبوة ومن عادى من لا طاقة له به فالرأي له مداراته وملاطفته والتضرع اليه حتى يخلص من شره ببعض وجوه الخلاص • قالوا وينبغي للملك ملاطفة اعدائه واخوان اعدائه فبدوام الاحسان اليهم تزول عداوتهم وان أصروا على عداوته بعد احسانه كانوا قد بغوا عليه ومن بغى عليه لينصرنه الله • وعظ بعض الحكماء بعض افاضل الملوك فقال

الدنيا دول فما كان منها لك أتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك والسعي محرف ولا يخافه الا الغافل والخير مرجو يطلبه كل أحد وطالما تأتي الخير من ناحية الشر وتأتي الشر من جهة الخير وهذا مأخوذ من قوله عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) • وها هنا موضع حكاية • تقدم نور الدين صاحب الشأم الى أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين يوسف بن أيوب بالتوجه الى مصر لأمر ندبه اليه فقال أسد الدين شيركوه يا مولانا ما أتمكن من هذا دون أن يجيء بصحبتي يوسف بن أخي يعني صلاح الدين قال فتقدم نور الدين الى صلاح الدين بالتوجه بصحبة عمه أسد الدين شيركوه فاستعفاه صلاح الدين من التوجه وقال ليس لي استعداد فتقدم نور الدين بازاحة علته وحتم عليه في التوجه قال صلاح الدين فخرجت مع عمي كارهاً

وأنا كنت قاد الى المذبح فلما وصلنا مصر وأقمنا بها مدة كان مني ما كان من تملك مصر ثم ملكها صلاح الدين وعرضت مملكته وتملك الشأم بعدها وسأنبيك نبأ هذا مفصلا مشروحا عند الكلام على الدولة الصلاحية إن شاء الله تعالى ووفق * قالوا العدو عدوان عدو ظلمك وعدو ظلمته فأما العدو الذي ظلمته فلا تثق اليه واحترز منه معها أمكنك وأما العدو الذى ظلمك فلا تخشه كل الخوف فانه ربما استحيي من ظلمك وندم فرجع لك الى ماتحب منه وان أصر على ظلمك انتصف لك منه من اليه ملجأ المظلومون

وربما نفع العدو وضر الصديق * قال الاسكندر انتفعت بأعدائي أكثر مما انتفعت بأصدقائي لان أعدائي كانوا يعيرونى ويكشفون لى عيوبي وينبهونى بذلك على الخطأ فأستدركه وكان أصدقائي يزينون لى الخطأ ويشجعونى عليه * وقال الشاعر (طويل)

وما ساءنى الا الذين عرفتهم جزى الله خيرا كل من لست أعرف

وقيل للاسكندر بم نلت هذه المملكة العظيمة على حداثة السن قال باستمالة الاعداء وتصييرهم بالبر والاحسان أصدقاء وتعاهد الاصدقاء بأعظم الاحسان وأبلغ الاكرام * قال بعض الحكماء لا يرد بأس العدو القاهر مثل التذلل والخضوع كما أن النبات الرطب يسلم من الريح العاصفة بلينه لانه يميل معها كيف مالت * وما لهج الملوك بشئ أشد من لهجهم بالصيد والقنص وهو الشئ الذى طالما اتفقت فيه النكت العجيبة . والطرف الغريبة . وكان المعتصم ألهج الناس به بنى فى أرض دجيل حائطاً طوله فراسخ كثيرة وكان اذا ضرب حلقة يضايقونها ولا يزالون يحدون الصيد حتى يدخلونه وراء ذلك الحائط فيصير بين الحائط وبين دجلة فلا يكون للصيد مجال فاذا انحصر

فى ذلك الموضع دخل هو وولده وأقاربه وخواص حاشيته وأمعنوا فى القتل وصرحوا فصلوا مافعلوا وأطلقوا الباقى ، وقيل إن المستعصم ذوع بنفسه من حمر الوحش وأطلقهم لانه بلغه أن أعمارها طويلة وها هنا موضع حكاية طريفة عجيبة ، حدثنى صفى الدين عبد المؤمن بن فاخر الارموى قال حدثنى مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير قال خرجنا مرة فى خدمة الخليفة المستعصم الى الصيد وضربنا حلقة قريباً من الخالصة وهى قرية بين بغداد والحلة ثم تضايقت الحلقة حتى صار الفارس منا يصيد الحيوان بيده فخرج فى حلقة حمر الوحش حمار كبير لحيته طويلة وسم فقرأناه وإذا هو وسم المقتصد قال فلما رآه المستعصم وسمه بوسمه وأطلقه وكان بين المقتصد وبين المستعصم حدود خمس مائة سنة ومن ظريف ماسمعت من أمر الصيد ماحدثنى به رجل من أهل الأدب ببغداد قال حدثنى محمد بن صالح البازيارى قال تصيدنا بين يدى السلطان أتابك يوما فطار وبعض من يديه ثلاثة كراكى على سمت مستقيم فأطلقنا شاهيناً فعلا وحط على الأعلى من الكراكى فقطعه ووقع على الثانى فكسره ثم وقعا كلاهما على الثالث فكسراه ووقعت الثلاثة بين يدى السلطان قال فتعجب من ذلك غاية التعجب وخلع علينا خلعة سنية وقال الصاحب علاء الدين فى جهان كشاى ان حلقة جنكزخان كان أمدها مسير ثلاثة شهور

وما أرى هذا الا مستبعداً وما لهج الملوك بالصيد هذا اللهج الشديد ولا كلفوا به هذا الكلف العظيم وأطلقوا للبازيارية الاموال الجليلة وأقطعوهم الاقطاعات السنية وسهلوا عليهم حجابهم وقطعوا معظم زمانهم فيه باطلا ولا عبثا فان الصيد يشتمل على فوائد كثيرة جليلة النفع منها وهو الغرض

لأشرف منه بمرين الصبا كر على الركض والكر والعطف وتعويدهم على فروسيه وادمانهم تارى بالنشاب والضرب بالسيف والدبوس واعتياد العمل والسعك ... المثالات بارقه الدماء وعصب القوس ، ومنها احضار الخيول ومعرفه سمنها وصبرها على دوم الركض ومنها أن حركة الصيد حركه رياضيه تبعث على الهضم وتحفظ صحه المزاج ، ومنها فضل لحم الصيد على باقى اللحوم لانه بعلفه من الحلو والحامض ... يزيد في حرارة الانسان ، قال بعض الحكماء وخير لحم ما أطعمه الجوارح افلاذها ، ومنها الطرف العجيبه التي تقع فيه وقد تقدم ذكر شيء منها وكان يزيد بن معاويه أشد الناس كلفا بالصيد لا يزال لاهيا به وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجه منه ويهب لكل كلب عبداً يخدمه قيل إن عبد الله بن زياد أخذ من بعض أهل الكوفه أربع مائه الف دينار جنايه وجعلها في خزانه بيت المال فرحل ذلك الرجل من الكوفه وقصد دمشق ليشكو حاله الى يزيد وكان دمشق في تلك الايام فيها سرير الملك فلما وصل الرجل الى ظاهر دمشق سأل عن يزيد فعرفوه أنه في الصيد فكره أن يدخل دمشق وليس يزيد حاضراً فيها فضرب خيمته ظاهر المدينه وأقام به ينتظر عود يزيد من الصيد فبينا هو في بعض الايام جالس في خيمته لم يشعر إلا بكلبه قد دخلت عليه الخيمه وفي قوائمها الاساور الذهب وعليها جل يساوى مبلغاً كثيراً وقد بلغ منها العطش والتعب وقد كادت تموت عطشا فعلم أنها ليزيد وأنها قد شذت منه فقام اليها وقدم لها ماء وتعهدها بنفسه فما شعر إلا بشاب حسن الصوره على فرس جميل وعليه زي الملوك وعليه غبرة فقام اليه وسلم عليه فقال له أرأيت كلبه عابره بهذا الموضع فقال

ثم ناموا لا با ها هي في الخيمة قد شرب ماء واستراحت وقد كانت لما جاءت الى ها هنا جاءت على غاية من العطش والتعب فلما سمع زيد كلامه نزل ودخل الخيمة ونظر الى الكلبة وقد استراحت فخدت تحتها لتخرج فشكا الرجل اليه حاله وعرفه ما أخذه منه عبد الله بن زياد فطلب دواة وكتب له برد ماله وخلعة سنية وأخذ الكلبة وخرج فرد الرجل من ساعته الى الكوفة ولم يدخل دمشق ، وكان السلطان مسعود بالغ أيضاً في ذلك ويلبس الكلاب الجلال الأطلس الموشاة ويسورها بالاساور وكان يقول في بعض الوقت لا بعث لي أمير الدولة ابن التلميذ الطبيب النصراني وكان فاضلا ظريفاً فقال (كامل)

من كان يلبس كلبه وشياً ويقنع لي بجلدي
فالكلب خير عنده مني وخير منه عندي

وحدثني الامير فخر الدين تميم بن فسيمر قال ضرب جندي الملك فشمر خلفه للصيد فوقع فيها ثيات فصير جدي كصمر يكون عمره خمس سنين وقد طالت أظفاره وشعر بدنه طولا مفرطا قال فأمسكوه وأحضروه بين يدي الناصر فاستنطقوه فلم ينطق فاحضروا له الطعام فلم يأكل والماء فلم يشرب فاجتهدوا معه بكل ممكن على أن يتكلم وهو صامت لا ينطق بشيء فقال له بعض الحاضرين فأي شيء يريد فلم يتكلم فقال له يريد بطلاقك فحرك رأسه يعني نعم قال فتقدم الناصر باطلاقه فلما أطلق عدا أشد من عدو الغزال ثم دخل البرية ، سئل بزرجمهر عن أردشير فقال أحيى الليل للحكمة وفرغ النهار للسياسة ، وقيل له لأي حال عم كسرى بمعرفة جميع رعيته قال خوفاً ان يموت المستحق ، قيل له فكيف يمكن ان يتم بمعرفة جميع

رعيته قال ثم كان سوى لهم الخير فاذا نوى لهم الخير قصد عمهم عمروفه *
روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال يزع الله بالسلطان أكثر مما
يزع بالقرآن قالوا لأن الناس يخافون من عواجل العقوبة أشد مما يخافون
من آجلها

ومما لا يليق بالملك الكامل لاقامته في مجلسه في وصف الطعام والنساء
لئلا يشارك بذلك العامة لأن العامة قد قنعوا من عيشهم بالقصير وقصروا
عليه وتركوا الأمور الكبار فاذا ارادوا أن يتصوا في حديث لم يكن لهم الا
وصف أنواع الاطعمة ووصف أصناف النساء * قال الأحنف بن قيس
جنبوا مجالسنا ذكر الطعام والنساء فاني أبغض أن يكون الرجل وصافاً لبطنه
مداحاً لفرجه مائلا بشهوته الى النساء . قال أبرويز لابنه لا توسعن على
جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقن عليهم فيضجروا منك وأعطهم عطاء قصداً
وامنعهم منعاً جميلا ووسع عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء * ولما
سمع المنصور هذا الكلام صادف منه موضعاً قابلا لتسبيح القائل عليه فقال
هذا هو الرأي وهذا معنى قول القائل أجع كلبك يتبعك فقام اليه بعض
القواد وقال يا أمير المؤمنين أخاف أن يلوح له غيرك برغيف فيدعك ويتبعه *
قالوا سياسة الرئاسة أشد من الرئاسة كما أن سياسة الخدمة أشد من الخدمة
وكما ان الوقوف بعد شرب الدواء أشد من الدواء وكذلك رب الصنيعة أشد من
الصنيعة وعلى الرئيس أن يصبر على مضض الرئاسة * قال بعض حكماء الترك
ينبغي أن يكون في قائد الجيش عشر خصال من أخلاق الحيوان جرأة
الأسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وغارة الذئب
وحراسة الكركي وسخاء الديك وشفقة الدجاجة على الفراريج وحذر الغراب

وسس تمرو وهى دابة تكون عراساب تسس على السمر والكد * قالوا والعاصل من طلاب الرئاسة هو الذى يكون مطبوعاً على المعرفة مطوقاً فيه صحة التمييز مكتسباً للعلم بما جرى فى الدنيا من تصاريف الدهور وتنقل الدول عارفاً بمداراة الاعداء كتوما لسره اذ كان قطب السياسة عليه يدور وأن يستمد لعقله من عقول العقلاء فان العقل الفرد لا يقوم بنفسه * وينبغي أن يكون ذا رويه عند اشتباه الآراء وعزيمه عند اختلاف الاهواء حتى يكشف * واما الحزم فهو الاصل الذى بنى عليه فى تحصين المملكة وقد كان يجب تقديمه وذكره فى أول الكتاب عند أخواته من الخصال المحموده ولكن الفعل يشتمل عليه ويستلزمه فاكتفى بذكره عنه ولا بأس بذكر نبذه فى هذا الموضع منه * قالوا أحزم الملوك من ملك جده هزله وقهر رأيه هواه وعبر عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده * وكان يقال الحازم من الملوك من يصب العيون على نفسه ويفقدها حتى لا يكون الناس بعيبه أعلم منه بعيب نفسه * وقالوا أحزم الملوك من حمل رعيته على التحلى بأخلاقه والتأدب بآدابه بالرفق والوصل الحسن والرأى اللطيف * وخطر لى فى هذا المعنى سر لطيف وهو ان الرعيه اذا تدرجوا الى التحلى بأخلاق الملك والتأدب بآدابه صاروا مستحسنين لصادرات أحواله وأفعاله لانهم هم يفعلونها ويتعمدونها فلا يصغر أحد منهم نعم سيرته ولا يزري عليه ومتى كانت طباعهم منافية لطباعه واخلاقهم مضادة لاخلاقه اغروا بالازراء عليه والذم لأفعاله وهذا سر لطيف منطو فى قولهم * وقالوا أحزم الملوك من تقدم باحكام الأمر قبل نزول حاجته وتدارك المهم الخطر قبل وقوعه * قيل للاسكندر ما علامة دوام الملك قال الاقتداء بالحزم والجد

فى كل الأمور

فمل شا علامه رواله هال المرل فه * وهال أنوسروان لحرم حمط ما ولس و برك ما كمس * وهال آحر أحرم الملوك من ملك أمره ودبر حصاله وقمع شهوبه وقهر بوارعه * فالوا سمى ان تكون اول امر الملك لحرم فادا وقع الامر فسمى ن تكون حسئد لحد و لاحهاد * فمل لسعص فصلاء الملوك برك دا وقد علمك واقد اطلب عالسه ورعا لا تكون اهلا لدلك فال ان حصمه حال الرحل لا سس فى محلس و محلسس فأنا أطاول عسرته وأحسره فى عده مجالس فان كان فاصلا صطفسه و ن كان ماقصاً بركته * وهال آحر لا سمى لأحد ن دع لحرم اعتمر باله عاحر ولا برعب فى نصسه لكنه دحلت على حارم * فالوا من م مدمه لحرم أحره العحر وفىل لعبد الملك بن مروان ما حرم فال احداع الناس بالمال واسمالتهم به فانهم اساعه أين كان كانوا وكيف مال مالوا * وفال بعص الملوك لبعص الحكماء مى تكون النعمه بالمسدوحرما فال اد ساوريه فى امر هو ثابت وله * وفال مسلمه بن عبد الملك ما فرحت نظفر ىىدأته بحر ولا ندمت على مكروه سدأته بحرم

ومما يحب على الملك الفاصل ممان النطر فى امر لأسرار وصونها وتحصينها وحراستها من لافشاء ولنساع وهد باب يحتاج فيه الى التأنى التام فكم من مملكه حربت وكم من نفس تلفت بسبب ظهور سر وحسد وحفظ السر وكتمانه من افضل ما عنى به لانسان * فما جاء فى ذلك فى الحديث (من كتم سره . ملك امره) * وفال على عليه السلام الرأى تحصين السر أسر بعص الناس الى رحل حديثاً وأمره بكتمانه فلما نقصى الحديث

هال له فهمت هال مل تست . وهال عمرو س العاص اذا أفشت سرى الى صديق هاداعه كان اللوم لى لا له ميل له وكيف دلك هال لانى انا كنت اولى نصيانته منه . ومن اناشيد هذا الباب (طويل)

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه   فصدر الذى يستودع السر أضيق

هالوا لا ينبغى أن تكون سر الملك إلا عند واحد هانه اذا كان عند واحد كان أحرى أن لا تظهر إما رغبة وإما رهبة لانه إن ظهر تحقق الملك أن ظهوره قد كان من جهة دلك الرجل ومتى كان السر عند جماعة ثم ظهر أحال كل واحد منهم على الآخر هان عاقبهم الملك جميعاً كان قد ظلمهم إلا واحداً وان ترك معاقبتهم طمعوا وتطرقوا على افشاء أسراره هال الشاعر (متقارب)

و لك ما كان عند امرىء   سر الثلاثة غير الخفى

هان احتاج الملك الى إفشاء سره لجماعة فأصلح ما له أن يفضى به الى كل واحد منهم على سبيل الانفراد ويوصيه بالكتمان ويوهمه أنه ما أفضى الى غيره به فذلك أحذر لأن يكتم السر . شاور بعض ملوك الفرس وزراءه فى أمر فقال واحد منهم لا ينبغى للملك أن يستشير بأحدنا إلا خالياً به فانه أكتم للسر وأحزم فى الرأى وأحذر بالسلامه وأعفى لبعضنا من غائلة بعض

وما اعجب دولة تحصين الأسرار والمبالغة فى حفظها كالدولة العباسية هان لها من هذا الباب عجائب وكم من نعمة أزالوها عن أربابها ومن أرهقوها بسبب كلمة منقولة أو حكاية معقولة . جرى فى أيام الناصر قصة طريفة لا بأس بذكرها ها هنا

كان للناصر ولدان هما ولدا ولده فكان قد أقطعهما بلاد خورستان

وتوجها اليها وأقاما بها في بعض الليالى أفكر الناصر في أمرهما واشتاقهما وخاف عليهما من حادث يحدث بتلك الناحية فأرسل في الحال الى وزيره القمىّ وقال له أرسل في هذه الساعة اليهما من يأمرهما بالوصول الى بغداذ ولا تشعر بهذا مخلوقاً فأحضر الوزير نجاباً في ذلك الحال وكان جماعة من النجابين يبيتون في كل ليله بباب الديوان ميت أحدهم وتحت رأسه راحلته وزاده ونفقته وقد ودّع أهله فان عرض فى الليل مهم توجه فيه فلما حضر النجاب بين يدى الوزير شافهه بالمراسله وقال له تخرج فى هذه الساعة واياك أن يعلم هذا أحد فيكون عوضه نفسك ثم تقدم الوزير بحمل مفتاح باب من أبواب السور له فلما مضى ليخرج اجتاز ببعض الدروب وامرأتان فى منظرتين متقابلتين تحدثان فقالت إحداهما للأخرى نرى هذا النجاب الى أن يمشى فى هذا الوقت فقالت لها الأخرى يمشى الى دسر لاحضار أولاد الخليفة فانه قد خاف عليهما وقد اشتاقهما لانّ مدتهما هناك قد طالت فلما سمع النجاب ذلك رجع من ساعته الى الديوان واستأذن على الوزير فلما علم الوزير برجوعه انزعج لذلك وأحضره وسأله عن سبب عوده فقال له يامولانا جرى الساعة فى الدرب الفلانىّ كيت وكيت وخفت أن أتوجه وينتشر هذا الحديث فما تكون فى أنى أنا الذى أظهرته فيكون ذلك سبب هلاكى فقال له الوزير قد عرفنا ذلك اخرج وتوجه فى أمان الله فان الشياطين تنقل عظائم الاخبار * ومما يجرى هذا المجرى ما حدثنى به بعض أهل بغداذ قال حدثني صديق لى قال كنا نمشى فى دولاب بستان البقل وقد أمعنا فى الدخول الى أقصاه فسمعنا صوت قائل يقول مات أباقا قال فنظرنا فلم نبصر أحداً ثم اننا أرّخنا اليوم فلما فشا الخبر كان كما قال * قيل إن صاحب الموصل وأظنه بدر

الدين قال لمجد الدين بن الأثير الجزري أريد أن تعين لي في هذه الساعة على رجل دين أمين تكون موصفاً للسر حتى أجعله مشافهة سري الى الخليفة وتوجهه في هذه الساعة فأفكر ابن الاثير ساعة ثم قال يا مولانا ما أعرف أحداً بهذه الصفة إلا أخي قال نعم وعرفه ذلك وأرسله الى داره وحكى لأخيه ما جرى عند السلطان وقال له يا أخي والله ما شهدت لك إلا بما اعرفه منك فوجه الى خدمة السلطان وامتثل ما تشير به فحضر ابن الأثير عند السلطان وشافهه بالمراسلة وقال له توجه في هذه الساعة فحضر ابن الاثير الى داره ليودع أخاه فوجده قائماً في الدهليز ينتظره فقال له شافهك السلطان بالحديث قال نعم قال فما هو قال يا أخي الساعة شهدت لي عنده بالدين والأمانة وحفظ السر فكيف اني أكذبك في الحال قال لي شيئاً ما أقوله إلا لمن أمرني بأن أقوله له قال فبكى مجد الدين أخوه ودعا له ، ومن الأشعار المقولة في ذلك قول الحماسي

(طويل)

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم ... على سر بعض غير أني جماعها

لكل امرىء شعب من القلب فارغ ... وموضع نجوى لا يرام اطلاعها

يظلون شتى في البلاد وسره ... الى صخرة أعيى الرجال انصداعها

ومن جيد ما قيل في ذلك

(بسيط)

لا تسألي القوم ما مالي وكثرته ... وسائلي القوم ما مجدي وما خلقي

هل أطلب الطيبة الحلاء عن عرض ... وأكتم السر فيه ضربة العنق

ومن جيده قول الصابي

(طويل)

فقل لصديق كن على السر آمناً ... اذا لم تكن مني ومنك ثالث

وقول الآخر (وافر)

وانك كلما استودعت سراً   أنم من النسيم على الرياض

ولمؤلف هذا الكتاب في ذلك من جملة أبيات (طويل)

وما احتفر الاصحاب للسر حفرة   كصدري ولو جاوالتراب على عقلي

وله في ذلك أيضاً (وافر)

وان يكن الزجاج نم طبعا   فصدنا أنم من الزجاج

ومن الامور التي يجب تدقيق الفكر فيها والتثبت التام والتأني في تأملها حديث السعايات والنمائم فكم من نمام أو ساع قد شفى غيظه بايقاع مسكين بين يدي ملك قاهر في تهمة هو بريء منها ثم اشتبه الامر على الحاكم فأهلك الرجل البريء بغير ذنب ثم لما علم بصورة الحال ندم حين لا ينفع الندم فعم الضرر بذلك الثلاثة الساعي والمسعيّ اليه لانهما أهلكا دونهما بما فعلاه والمسعيّ به لتعجله العقوبة فعم الضرر الثلاثة ، ومما جاء في ذلك في التنزيل (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)

ومما جاء في الحديث (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفعن الينا عورة أخيه المسلم) رفع إنسان الى يحيى بن خالد بن برمك قصة يقول فيها إنه قد مات رجل تاجر غريب وقد خلف جارية حسناء وولداً رضيعاً ومالاً كثيراً والوزير أحق بهذا فكتب يحيى بن خالد على رأس القصة أما الرجل فرحمه الله وأما الجارية فصانها الله وأما الطفل فرعاه الله وأما المال فثمره الله وأما الساعي الينا بذلك فلعنه الله ، قيل لما تولى عبدالعزيز بن مروان دمشق ولم يكن في بني أمية ألبّ منه وكان حدث السن طمع فيه أهل دمشق

وقالوا صبي لا علم له بالأمور وسيسمع كل ما يقول له فقام اليه رجل وقال أصلح الله الأمير نصيحة فقال ليت شعري ما هذه النصيحة التي قد ابتدأتني بها من غير يد سبقت مني اليك هات نصيحتك قال لي جار وهو عاص خالع للطاعة وذكر له عيوباً فقال له عبد العزيز انك أيها الرجل ما اتقيت الله تعالى ولا أكرمت اميرك ولا حفظت جوارك إن شئت نظرنا فيما تقول فان كنت صادقاً لم ينفعك ذلك عندنا وإن كنت كاذباً عاقبناك وإن استقلتنا اقلناك فقال بل أقلني أيها الأمير قال اذهب حيث شئت لاصحبك الله اني أراك شر رجل

كان الوزير علي بن محمد بن الفرات وزير المقتدر يبغض السعاة فكان اذا رفع أحد اليه قصة فيها سعاية بأحد يخرج حاجبه الى الباب والناس على طبقاتهم وقوف فيقول أين صاحب هذه السعاية قد قال لك الوزير كذا وكذا فيفتضح ذلك الرجل في ذلك الجمع فترك الناس السعايات في أيامه * قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من عرف فاحشة فأفشاها كان هو الذي اتاها كتب قباذ الملك لابنه كسرى عهداً قال فيه يا بني لا تدخل في مشورتك بخيلا فانه يقصر بك عن غاية الفضل ولا جباناً فانه يضيق عليك الأمور عند انتهاز الفرصة * يا بني لكن أبغض رعيتك اليك أكثرهم تكشفاً لمعايب الناس فان في الناس عيوباً أنت أحق من سترها وكره ما كشف من غائبها فانما اليك الحكم على ما ظهر والله يحكم فيما غاب فاكره للرعية ما تكره لنفسك واستر العورة يستر الله عليك ما تحب ستره ولا تعجل الى تصديق ساع فان الساعي غاش وإن قال قول النصيح وأعط الناس من عفوك مثل ما تحب أن يعطيك من فوقك * ومن مليح ما قيل في ذلك قول مهيار يخاطب بعض الوزراء

(كامل)

ما سمف نصرى والمهند مامى ... ورم دهرى والرمان مصاف
ومممد أناى على مداسا ... سمناً وهى على الأنام محاف
أحلامك الدر السحانا مالطا ... حملعدى الواسن وهى سلاف
والاطك فى مرآه رأتك ما له ... محو وأب لحوهر السماف

ومن مليح دلك مول العائل

(نسط)

سمى اللك فى الواسى هلم ترى ... أهلا لىكدس ما ألى من الحر
ولو سمى ملك عدى فى الذكرى ... طمف الخيال لمس النوم مالسهر

احلموا فى الملك العاهر السوف والملك المصصد الصمف ممصلوا العاهر السوف واحتحوا مأن العوى السوف نكف الاطماع عن رعسه ويحمهم من عمره معوسه وله أمه نصصم من سر عمره فىكون ر سه عاماه من كى ـ حمع الناس واسلى سه وحد وأما المه صد الصمم مهمل رعسه وسلط لىهم كل أحد وىدوسهم كل حاىر فىكوىون ىاه من كى سر واحد واسلى ىسر حمع الناس و ىى الحالىن ىون ىعىد

وقال ىعص الحكماء سلطان ىخافه الرعىه حىر من سلطان ىخافها ىه قال اوىش وان عدى لمن عرص دمه سمكه ولمن حاور حده معوىه ولمن عدى طوره ىمه . قال ىعص الحكماء أمران حاىلان لا ىصلح أحدهما الا مالىمرد والاستىداد ولا ىصلح الآخر الا مالاشراك فأما الدى لا ىصلح الا مالامراد فالملك مىن وقع ىه الاشراك فسد وأما الدى لا ىصلح الا مالاشراك فالرأى مىن وقع فىه الاشراك وىىق ىه مالصواب ، ولا ىحور للملك أن ىصىر فى ىفسه أمر عدوه وان كان صعيراً فى ىفس الأمر ولا ىحور لحلساء الملك أن

نصمروا أمر عدوه عـنده فانهم ان صمروه حتى طفر به العدو كان وهناً له
د مد عليه عدو صمر وان ظفر هو بالعدو لم يكن قد صنع طائلا ٭ لما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقعة بدر ومعه الاسرى والمغانم وقد فصل
الله رؤس المشركين تلقاه الناس من ظاهر المدينة عن أميال فخلوا يهنؤنه بالفتح
وجعل الناس يسئل بعضهم بعضاً عن هلك وسلم فقال بعض الصحابة والله
ماقتلنا الا عجائز صلعا فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم باللوم ولم يزل
كالمعرض عنه ثم قال له أولئك ناس أخي الملا

ومن مليح مارأيت في هذا المعنى قول حكيم الهند لبعض ملوكهم
لاتحقرن أمر الاعداء وان صغروا فان الزناد جرم حقير يخرج منه جمر يسد به
الفتيل المشتعل ٭ وإصابة الرأى من الامور المهمة وأجود الرأى ما وقع فيه
التأنى والتثبت وبذلك تؤمن زلل الرأى ٭ قال الاحنف بن قيس لاصحاب
على عليه السلام أعطوا الرأى من إصابته يكشف لكم عن محضه

واستشير بعض العقلاء في أمر فسكت فقيل له لم لا تتكلم فقال ماأحب
الخبر الا باثا ٭ ولما عزم الخوارج على مبايعة عبد الله بن وهب الراسبي
أرادوه بالرأى فقال ماأنا والرأى الفطير والكلام المقتضب فلما فرغوا من البيعة
قال اتركوا الرأى يغب أى يأتى عليه يوم وليلة وكان يحمد الله من الرأى
الفطير ٭ فالوا امرّ الحارث بن زيد بالاحنف بن قيس فقال له لولا أنك
عجلان لشاورتك وهذا دليل على كراهتهم للرأى الفطير ٭ وكانوا لايشاورون
الجائع حتى يشبع ولا الاسير حتى يطلق ولا الطالب حتى يبلغ حاجته ولا
العطشان حتى يروى ولا الضال حتى يهتدى ولا الحاقن حتى يخفف ماعنده
وقال بعض الشعراء يصف عاقلا

(طويل)

علم بأعقاب الامور كأنما | تخاطبه من كل أمر عواقبه

وما أعرف أحسن من قول ابن الرومي في تفضيل الرأي المختمر

الرأي المطير (بسيط)

نار الروية نار جد منضجة | وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لعاجلها | لكنه عاجل يمضي مع الريح

ومما يوجبه العقل الصحيح أن لا نسان لا يدخل في أمر يعسر الخروج

منه قال الشاعر (خفيف)

ما من الحزم أن تقارب أمراً | تطلب العذر منه بعد قليل

فاذا ما هممت بالشيء فانظر | كيف منه الخروج بعد الدخول

قالوا وأفضل من ذلك أن لا نسان لا يدخل بنفسه في أمر يحتاج في

الخروج منه الى فكرة قال معاوية لعمرو بن العاص رضي الله عنهما ما بلغ من

دهائك قال ما دخلت في أمر الا وأحسنت الخروج منه فقال معاوية لكني أنا

ما دخلت في أمر أحتاج في الخروج منه الى فكرة ومن الامور المهمة للملك

حسن نظره في ارسال الرسل فالرسول يدل على حال المرسل قال بعض

الحكماء اذا غاب عنكم حال الرجل ولم تعلموا مقدار عقله فانظروا الى كتابه

ورسوله فهما شاهدان لا يكذبان ويجب أن يكون في الرسول خصال منها

العقل ليعبر به الامر المهم من التلويح والامانة والعفاف لئلا يخون مرسله

فكم من رسول يرغبه تارة طمع من جهة من أرسل اليه فيحط جانبه ويترك

جانب مرسله ارسل معاوية رضي الله عنه الى ملك الروم رسولا من أقاربه

كان يعتمد عليه لعقد أمر الهدنة واشترط معاوية شروطاً عظيمة فلما حضر

الرسول عنـد ملك الروم اجتهد به على تخفيف تلك الشروط فلم يقبل فخلا به وقال له بلغني أنك فقير وأنك اذا أردت الركوب الى معاوية تستعير الدواب قال كذلك هو قال فما أراك تعمل لنفسك شيئاً وهذا المال الذى عندنا كثير فخذ منه ما يغنيك الى الابد ودع معاوية وأحضر له عشرين الف دينار فأخذها وخفف له الشروط وأمضى أمر الهدنة ثم رجع الى معاوية فلما نظر معاوية في الكتاب علم بالحال فقال له ما أراك عملت الا له وعزم على مؤاخذته فقال له يا أمير المؤمنين أقلني قال قد أقلتك وأعرض عنه * وفيما فعل كمال الدين محمد بن الشهرزورى حين أرسله أتابك زنكي صاحب الموصل الى بغداد لتقرير أمر الراشد منبهة على وجوب تدقيق النظر فى اختيار الرسل وذلك أنه لما خلع الراشد الخليفة ببغداد فارقها وحضر الى الموصل مستنجداً بأتابك زنكى وخلا به ووعده ومناه أنه ان عاد الى الخلافة أن يفعل معه ويصنع فتهوس أتابك زنكى بذلك وضمن له صلاح الحال مع السلطان مسعود ثم ان أتابك زنكي عزم على مراسله الديوان ببغداد فى هذا المعنى فاختار للرسالة كمال الدين بن الشهرزورى قاضى الموصل فأرسله ووصاه بالاحتجاج والمبالغة في تقرير أمر الراشد ونقض ما أبرموه من خلافة المقتفى فتوجه كمال الدين الى بغداد .

قال ابن الأثير صاحب التاريخ حكى لى والدى قال حكى لى كمال الدين المذكور قال لما حضرت بالديوان قيل لى تبايع أمير المؤمنين فقلت أمير المؤمنين عندنا بالموصل وله فى أعناق الخلق بيعة متقدمة قال وطال الحديث في ذلك وعدت الى منزلى فلما جاء الليل جاءتنى عجوز سرّا واجتمعت بى وأبلغتنى رسالة من المقتفى مضمونها المعاتبة لى على ما قلت واستنزالى عنه

فقلت غداً أخدم خدمة تظهر أثرها فلما كان الغد حضرت بالديوان وقلت لى ن معنى النعمة فقلت أنا رجل نفسه قاس ولا يجوز لى أن أبايع الا بعد أن ثبت عندى خلع المقتدر فأحضروا الشهود فشهدوا عندى بفسق الراشد فقلت هذا ثابت لا كلام فيه ولكن لا بد لنا فى هذه الدعوى من نصب لان أمير المؤمنين المقتفى حصلت له خلافة الله فى أرضه والسلطان قصد استراح ممن كان بصدده فبحث أى شىء يرجع فرفع الامر الى المقتفى فأمر أن يعطى أتابك زنكى صرفين ودرب هرون وحربى ملكا فاتصف المقتفى وقد حصل لى مال صالح وتحف وهدايا وما أدرى والله من أى حالته أعجب من فعله هذا وجاسه لمرسله وتسويد وجهه مع من استجار به فانه لم يكن الفائدة من إرسال كمال الدين الا تقوية أمر الله فى وما أكد خلع الراشد أو من حكاية عن نفسه مثل هذه الفعلة

وكذلك ما جرى لعميد الملك الكندرى وزير السلطان طغرلبك أرسله السلطان طغرلبك ليخطب له امرأة فعصى الكندرى وخطبها لنفسه وتزوجها عصى على طغرلبك فلما ظفر به طغرلبك لم يقتله ولكن خصاه واستبقاه فى خدمته احساناً الى كفاءته وفى ذلك يقول الباخرزى الشاعر وكان صاحب الكندرى (كامل)

قالوا محا السلطان عنه بعزبه	سمة الفحول وكان قرماً صائلا
قلت اسكتوا فالآن زاد فحوله	لما غدا من أنثييه عاطلا
والفحل يأنف أن يسمى بعضه	أنثى لذلك جذها مستأصلا

ومن الاشعار المقوله فى ذلك قول القائل (متقارب)

اذا كنت فى حاجة مرسلا فأرسل حكيماً ولا توصه

وأجود من هذا المعنى وأكمل قول الآخر (وافر)

اذا أرسلت فى أمر رسولا فافهمه وأرسله أديبا

فان ضيعت ذاك فلا تلمه على أن لم يكن علم الغيوبا

ومما زين الملك اصطناع العوارف الى أشراف رعيته فبذلك تميل أعناقهم اليه ويدخلون بذلك فى زمرة خدمه وحاشيته وما زال أفاضل الملوك يلحظون هذا المعنى فيفضلون دائما على أشراف رعيتهم أنواع الافضال ليسترقوهم بذلك * كان معاوية رضى الله عنه أشد الملوك لهجا بهذا المعنى كان يعطى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وعبدالله بن العباس رضي الله عنهما في سنة جملا طائلة من المال وكفاك من ذلك أن عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه فارق أخاه على بن أبى طالب عليه السلام وقصد معاوية مستميحاً وما ذاك لشح عند أمير المؤمنين عليه السلام فانه كان صلوات الله عليه وسلامه يبارى الريح جوداً وكرما وكان جميع ما يدخل له من املاكه يخرجه في الصدقات والمبرات ولكن عقيلا كان يريد من مال المسلمين أكثر من حقه وما كان دين أمير المؤمنين عليه السلام يقتضى ذلك * وكان معاوية رضى الله عنه يعطى لأجل مصلحة الدنيا ولا يفكر فيما كان يفكر فيه أمير المؤمنين عليه السلام * وانظر الى كمال الدين حمزة بن عبد الله الحسيني الموصلي وكان شيخ أهله ومقدمهم سناً وزهداً وفضلا وورعا كيف استماله صاحب الموصل بدر الدين بما أسداه اليه من الانعام حتى مدحه وانخرط في زمرة شعرائه فمن شعره فيه (طويل)

هنيئاً بمجد ساعدتك سعوده وتم له يوم التفاخر عيده

وبشرى باقبال أهل بشيره كما وفدت عند الهناء وفوده

وأنى لبدر الدين ذى الفخر والعلى ندبد وكلا ان يصاب نديده

ومع انه صار من شعرائه وانخرط في زمرة مداحه كان بدر الدين بعد موت كمال الدين يحذره اذا اختار على تربته وهي تربة مفرده ظاهر الموصل حوشه قبلة برك العسكر ويدخل اليه ويزوره ويدعو له عند قبره رحمهما الله تعالى

الفصل الثاني

في الكلام على دولة دولة

لقد تم الكلام على الأمور السلطانيه والسياسات الملكيه وعلم بذلك سيره الملك الفاضل المستحق للرئاسه وخواص الملك التي تميز بها عن الرعايا والحقوق الواجبة للملك على رعيته والحقوق الواجبه لهم عليه واندرج في أثناء ذلك الكلام على كثير من أحوال الدول على سبيل الاجمال وكل ما مضى في هذه الاوراق من اللطائف والمحاسن فمن الله تعالى منه حفظ المولى الملك الفاضل خلده الله تعالى بأنواع ألطافه وبلغه أقصى الغايات من إسعاده واسعافه لان الله تعالى هداه بسابق عنايته الى محاسن الشيم وفضله بحقائق لطفه على كثير من الامم

وهذا أوان الشروع في الكلام على دولة دولة أما الدولة الاولى وهي دولة الاربعة فان ابتداءها كان بعد قبض رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وبويع أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه وذلك في سنة احدى عشرة من الهجرة وانتهاؤها حين قتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذلك في سنة أربعين من الهجرة واعلم انها دولة لم تكن من طرز دول الدنيا وهي بالامور النبويه والاحوال الاخرويه أشبه والحق في هذا أن زيها قد كان زي الانبياء وهديها

هدى الاولياء وصوحبا صوح الملوك الكبار فأما زيها فهو الخشونة فى العيش والتقلل فى المطعم والملبس كان أحدهم يمشى فى الاسواق راجلا وعليه القميص الخلق المرقوع الى نصف ساقيه وفى رجليه تاسومة وفى يده درة فمن وجب عليه حد استوفاه منه . وكان طعامهم من أدنى أطعمة فقرائهم ضرب أمير المؤمنين عليه السلام المثل بالعسل والخبز النقى فقال فى بعض كلامه ولو شئت لاهتديت الى مصفى هذا العسل ولباب هذا البر . واعلم أنهم لم يفعلوا فى أطعمتهم وملبوسهم فقراً ولا عجزاً عن أفضل لباس وأشهى مطعم ولكنهم كانوا يفعلون ذلك مواساة لفقراء رعيتهم وكسرا للنفس عن شهواتها ورياضة لها لتعتاد أفضل حالاتها وإلا فكل واحد منهم كان صاحب ثروة ضخمة ونخل وحدائق وغير ذلك من الاسباب ولكن أكثر خرجهم كان فى وجوه البر والقرب كان لأمير المؤمنين على عليه السلام ربع طائل من أملاكه يخرجه جميعه على الفقراء والضعفاء ويقنع هو وعياله بالثوب الغليظ من الكرباس وبالقرص من خبز الشعير . وأما فتوحها وحروبها فإن خيلها بلغت إفريقية وأقاصى خراسان وعبرت النهر فإن عبيد الله بن العباس تولى إمارة سمرقند وبها مات وفيها قبره . فأول حروبها قتال أهل الردة . شرح كيفية الحال فى ذلك على سبيل الاختصار . لما قبض رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ارتد ناس من الأعراب عن الاسلام وامتنعوا من أداء الزكاة وقالوا لوكان محمد نبيا لما مات فوعظهم ذوو اللب والعقل وقالوا لهم أخبرونا عن الانبياء عليهم السلام هل تعرفون منهم قالوا نعم قالوا فهل ماتوا قالوا نعم قالوا فما الذى تنكرونه من موت محمد عليه السلام فلم ينفع القول فيهم فجهز أبو بكر رضى الله عنه الى كل طائفة منهم جيشا فوجهت الجيوش اليهم وقاتلتهم

وكانت الطلعة للجيوش الاسلامية فأبادتهم قتلا وأسرا ورجع من بقي منهم الى الاسلام وأدى الزكاة

ومن وقائعها فتنة مسيلمة الكذاب * شرح ذلك على وجه الاختصار طريق أيام أبي بكر رضي الله عنه رجل يقال له مسيلمة ادعى أنه نبي وأن الوحي ينزل عليه من السماء واجتمع اليه ناس كثيرون من قبيلته وغيرهم ثم ظهرت امرأة من العرب اسمها سجاح ادعت ايضا انها نبية وان الوحي ينزل عليها واسمها سو تميم وهم قبيلتها ثم سارت لقتال مسيلمة وكانت جموعها أكثر من جموعه فلما علم مسيلمة بمسيرها اليه قال لاصحابه ما الرأي قالوا نسلم الامر اليها فلا طاقة لنا بها وعن منها فقال مسيلمة دعوني انظر في امري فكر وكان داهية فأرسل اليها وقال ينبغي ان نجتمع انا وانت في موضع ونتدارس ما نزل الينا من الوحي فمن كان على الحق تبعه الآخر فأجابته الى ذلك وعزم مسيلمة ان يضرب قبة من ادم وتبخر فيها من العود وقال ان المرأة اذا شمت ذكرت الباءة ثم اجتمع بها في القبة وخدعها وواقعها فلما قام عنها قالت ان مثلي لا تجرى مهرها هكذا ولكن اذا خرجت اعترفت لك بالحق وخطبني الى قومي فانهم يزوجونك ثم اعود اليك ثم مضت فلما خرجت قالت انه قرأ علي ما نزل عليه من الوحي فوجدته حقا وقد سلمت الأمر اليه ثم خطبها فزوجوه وجعل مهرها إعفاءهم من صلاة العصر قالوا فبنو تميم بالرمل الى الآن لا يصلون العصر ويقولون هذا مهر كريمة فلما بلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه جهز اليهم جيشاً أمره خالد بن الوليد فاقتتلوا أشد قتال رآه المسلمون ثم كانت الغلبة للجيش الاسلامي فقتل مسيلمة ومن معه وجها الكفار مع النساء

شرح كيفية ذلك * لما كانت سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهي السنة

الى توفى فيها أبو بكر ورجع أبو بكر رضى الله عنه من الحج شرع فى تجهيز الجيوش الى الشأم فبعث عسكراً كثيراً جعل على كل قطعة منه اميراً وسمى لكل امير بلداً إن فتحه واستولى عليه كان له ثم امدّهم بخالد بن الوليد رضى الله عنه فى عشرة الف فتكمل بالشأم ستة وأربعون الف مقاتل وجرت بينهم وقائع وحروب اشتدت الى ان مات ابو بكر وبويع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فعزل عمر خالد بن الوليد رضى الله عنهما عن إمارة الجيش وكان قد أمر ثم أمر على الناس ابا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فورد رسول عمر الى الجيش بالشأم بكتاب عمر الى ابى عبيدة بتوليته وعزل خالد واخفى وصول الرسول وهم مشغولون بالحرب فجعل الناس يسألون الرسول عن سبب قدومه فأخبرهم بالسلامة ووعدهم ان ورآءه مدداً لهم وكتم عنهم موت ابى بكر ثم وصل الى ابى عبيدة بن الجراح فأخبره سراً بموت بكر وناوله كتاب عمر بتوليته وعزل خالد فاستحى ابو عبيدة من خالد وكره ان يعلمه بالعزل وهو قد بذل جهده فى القتال فكتم ابو عبيدة الخبر عن خالد وصبر حتى تم الفتح وكتب الكتاب باسم خالد ثم اعلمه بموت ابى بكر وبعزله عن امارة الجيش . وكان فتح دمشق فى سنة اربع عشرة من الهجرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وفى الدولة المذكورة كان فتح العراق وخذ الملك من الاكاسرة . تشرح مبدأ الحال فى انتقال الملك من الاكاسرة الى العرب . ان الله تعالى تعالى علمه وبالغ حكمته وعزة قدرته اذا اراد امراً هيأ اسبابه وقد وصف نفسه عز وجل بقوله (قل اللهمّ مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء

قدير) * ولما اراد حل شأنه . وهز سلطانه . نقل الملك عن فارس الى العرب اصدر من المقدرات بذلك ما ملأ به قلوبهم وقلوب اوليائهم رعباً فأول ذلك ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات منه وذلك عند ميلاد الرسول عليه افضل الصلوات وخمود نار فارس ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام وذلك فى عهد أنوشروان العادل فلما رأى أنوشروان سقوط الشرفات وانشقاق الايوان غمه ذلك ولبس تاجه وجلس على سريره وأحضر وزراءه وشاورهم فى ذلك فبى تلك الحال وصل كتاب من فارس بخمود النار فازداد كسرى غما الى غمه وفى تلك الحال قام الموبذان وقص الرؤيا التى رآها قال رأيت أصلح الله الملك كأن إبلا صعاباً تقود خيلا عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فقال له كسرى فأى شىء يكون تأويل هذا قال أصلح الله الملك حادث يحدث من جهة العرب وفشا الحديث بذلك بين العجم وتحدث به الناس فسكن الرعب قلوبهم وسبب هيبة العرب فى نفوسهم ثم تتابعت أمثال هذه المقدرات الخوادل الى آخر الأمر فان رستم لما خرج لمحاربة سعد بن أبى وقاص رأى فى منامه كأن ملكا قد نزل من السماء وجمع قسى الفرس وختم عليها وصعد بها فى السماء ثم نضم الى ذلك ما كانوا يشاهدونه من سداد منطق العرب وطمأنينة نفوسهم وشدة صبرهم على الشدائد ثم ما جرى فى آخر الامر من اختلاف كلمتهم بعد موت شهريار وجلوس يزدجرد على سرير المملكة وهو صبى حدث ضعيف الرأى ثم الطامة الكبرى وهى انعكاس الريح عليهم فى حرب القادسية حتى أعمتهم بالغبار . وعمتهم بالدمار . ومنها قتل رستم واصل جنسهم فانظر الى هذه الخوادل واعلم أن لله أمراً هو بالغه . شرح الحال فى تجهيز الجيش الى العراق واستخلاص الملك

من فارس . كان ثغر فارس من أشد الثغور على العرب وأعظمها فى نفوسهم وأكثرها هيبة وكانوا يكرهون غزوه ويتحامون عنه استعظاما لشأن الاكاسرة ولما هو مشهور من تدوخهم الامم حتى كان آخر أيام أبى بكر رضى الله عنه فقام رجل من الصحابة يقال له المثنى بن حارثة رضى الله عنه وندب الناس الى قتال فارس وهون عليهم الأمر وشجعهم على ذلك فانتدب معه جماعة وذكر الناس ما كان رسول الله صلوات الله عليه يعدهم به من فتح كنوز الاكاسرة ولم يتم فى ذلك أمر فى خلافة أبى بكر حتى كانت أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وكتب اليه المثنى بن حارثة يخبره باضطراب أمور الفرس وجلوس يزدجرد بن شهريار على سرير الملك وتصغير سنه وكان قد جلس على السرير وعمره احدى وعشرون سنة فقوى حينئذ طمع العرب فى غزو الفرس فخرج عمر رضى الله عنه وعسكر ظاهر المدينة والناس لا يعلمون أين يريد وكانوا لا يتجاسرون على سؤاله عن شيء حتى ان بعضهم سأله مرة عن وقت الرحيل فزجره ولم يعلمه فكانوا اذا أعضل عليهم أمر وكان لابد لهم من استعلامه منه استنابوا عليه عثمان بن عفان أو عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما واذا اشتد الامر عليهم ثلثوا بالعباس رضى الله عنه فقال عثمان لعمر يا أمير المؤمنين ما بلغك وما الذى تريد فنادى عمر رضى الله عنه الصلوة جامعة فاجتمع الناس اليه فأخبرهم الخبر ووعظهم وندبهم الى غزو الفرس وهون عليهم الامر فأجابوا جميعا بالطاعة ثم سألوه أن يسير معهم بنفسه فقال أفعل ذلك الا ان يجىء رأى هو خير من هذا ثم بعث الى أصحاب الرأى واعيان الصحابة وعقلائهم فأحضرهم واستشارهم فأشاروا عليه بأن يقيم ويبعث رجلا من كبار الصحابة ويكون هو من ورائه يمده بالأمداد فان كان فتح فهو المطلوب وان هلك الرجل أرسل

رجلا آخر فلما انعقد إجماعهم على هذا الرأى صعد عمر المنبر وكانوا اذا ارادوا يكلمون الناس كلاما عاما صعد أحدهم المنبر وخاطب الناس عما يريد فلما صعد عمر قال أيها الناس انى كنت عازما على الخروج معكم وان ذوى اللب والرأى منكم قد صرفونى عن هذا الرأى وأشاروا بأن أقيم وأبعث رجلا من الصحابة يتولى أمر الحرب ثم استشارهم فيمن يبعث وفى تلك الحال وصل اليه كتاب من سعد بن ابى وقاص وكان غائبا فى بعض الاعمال فأشاروا على عمر بسعد رضى الله عنهما وقالوا انه الأسد عاديا ووافق ذلك حسن راى من عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سعد بن ابى وقاص فاستحضره وولاه حرب العراق وسلم الجيش اليه فسار سعد بالناس فسار عمر بن الخطاب رضى الله عنه معهم فراسخ ثم وعظهم وحثهم على الجهاد وودعهم وانصرف الى المدينة وتوجه سعد فجعل ينتقل فى البرية الى بين الحجاز والكوفة ويستعلم الأخبار ويرسل عمر أنه وكتبه تترى عليه فيها بالرأى بعد الرأى وعده بالجنود بعد الجنود حتى استمر رأيه على قصد القادسية وهى كانت باب مملكة الفرس فلما نزل سعد بالقادسية احتاج هو ومن معه الى الأقوات فبعث ناسا وامرهم بتحصيل شىء من الغنم والبقر وقد احتفل اهل السواد قدامهم فوجدوا رجلا فسألوه عن الغنم والبقر فقال لا علم لى بذلك واذا هو الراعى وقد ادخل الدواب فى اجمة هناك قالوا فصاح ثور منها كذب الراعى ها نحن فى هذه الأجمة فدخلوا اليها واستاقوا منها عدة واحضروها الى سعد فاستبشروا بذلك وعدوها نصرة من الله تعالى والثور ان لم يكن قد نطق بحروف يكذب بها الراعى فان صياحه فى تلك الساعة حتى يستدل بصياحه على الدواب عند شدة الحاجة اليها تكذيب صريح للراعى وهو من

الاتفاقات العظيمة الدالة على النصر والدولة والاستبشار به واجب ، وحين ورد الخبر الى العجم بوصول سعد بالجيش نادوا له رستم فى ثلاثين الف مقاتل وكان جيش العرب من سبعة الف الى ثمانية الف ثم اجتمع اليهم بعد ذلك ناس فالتقوا فكان العجم يضحكون من نبل العرب ويسموها بالمغازل

وها هنا موضع حكاية ناسب ذلك لا بأس بايرادها حدثنى فلان بن محمد بن أبدمر قال كنت فى عسكر الدويدار الصغير لما خرج الى لقاء التتر بالجانب الغربى من مدينة السلام فى وقعتها العظمى سنة ست وخمسين وستمائة قال فالتقينا بنهر بشير من أعمال دجيل فكان الفارس منا يخرج الى المبارزة وتحته فرس عربى وعليه سلاح تام كأنه وفرسه جبل العظيم ثم يخرج اليه من المغول فارس تحته فرس كأنه حمار وفى يده رمح كأنه المغزل وليس عليه كسوة ولا سلاح فيضحك منه كل من رآه ثم ما تم النهار حتى كانت لهم الكرة فكسرونا كسرة عظيمة كانت مفتاح الشر ثم كان من الامر ما كان ، ثم ترددت الرسل بين رستم وسعد فكان البدوى يأتى الى دست رستم وهو جالس على سرير الذهب وقد طرحت له الوسائد المنسوجة بالذهب وفرش له الفرش المنسوج بالذهب وقد لبس العجم التيجان وأظهروا منهم وأقاموا الصيانة فى حواشى المجلس فيجئ البدوى وفى يده رمحه وهو مقلد سيفه متنكب قوسه فيربط فرسه قريباً من سرير رستم فيصيح العجم عليه ويهمون بمنعه فيمنعهم رستم ثم يتقدم ويمشى اليه متكئاً على رمحه يطأ به ذلك الفرش وتلك الوسائد فيخرقها بزج رمحه وهم ينظرون فاذا وصل الى رستم واجهه الحديث فكان رستم لا يزال يسمع منهم حكما وأجوبة تروعه وتهوله

فمن ذلك أن سعداً رضي الله عنه كان يبعث في كل مرة رسولا فقال رستم
لبعض من أرسل إليه ثم بعثوا إلينا صاحبنا بالأمس قال لأن أميرنا يعدل بيننا
في الشدة والرخاء وقال يوماً لآخر ما هذا المغزل الذي في يدك يعني رمحه فقال إن
الجمرة لا تضرها قصرها وقال مرة أخرى لآخر ما بال سيفك أراه رثاً فقال
رثّ الكسوة حديد المضرب ثم وقع رستم بما رأى من أمثال هذه وقال لأصحابه
انظروا فإن هؤلاء لا يخلو أمرهم من أن يكونوا صدقاً وكذباً فإن كانوا
كاذبين فإن قوماً يحفظون أسرارهم هذا الحفظ ولا يختلفون في شيء وقد
تعاهدوا على كتمان سرهم هذا التعاهد بحيث لا يظهر أحد منهم سرهم لقوم في
غاية الشدة والقوة وإن كانوا صادقين فهؤلاء لا يقف أحد لهم فصاحوا
حوله وقالوا لله لله أن يتركك ما أنت عليه لشيء رأيته من هؤلاء الكلاب بل
صمم على حربهم فقال رستم هو ما أقول لكم ولكني معكم على ما تريدون ثم
قاتلوا أياما كان في آخرها تكاثر الزحام عليهم حتى عماء النهار فقتل رستم
وانفل الجيش وعمت الهزيمة فولوا وحمل الفرس يطلبون مخاضات دجلة ليعبروا
إلى الجانب الشرقي وتبعهم سعد وقعد لهم بالمخاضات وقتل منهم مقتلة عظيمة أخرى
فخلوا البلاد وغنم أموالهم وأسر [illegible] ثم كتب سعد إلى عمر رضي الله عنهما
بالفتح وقد كان عمر في تلك الأيام شديد التطلع إلى خبر الجيش فكان في كل
يوم يخرج إلى ظاهر المدينة راجلاً يتسمع الأخبار لعل أحداً يصل فيخبره بما
كان منهم فوصل البشير من عند سعد بالفتح فرآه عمر فقال له من أين جئت
قال من العراق قال فما فعل سعد والجيش قال فتح الله عليهم كل ذلك والرجل
سائر على ناقته وعمر يمشي في ركابه وهو لا يعلم أنه عمر فلما جمع الناس وسلموا
على عمر بإمرة المؤمنين عرفه البدوي فقال هلا أعلمتني رحمك الله أنك أمير

المؤمنين قال لا بأس عليك يا أخي ثم كتب عمر الى سعد فقف مكانك ولا تتبعهم واتخذ للمسلمين دار هجرة ومدينة يسكنونها ولا تجعل بيني وبينهم بحراً فاتخذ لهم سعد الكوفة واختط بها المسجد الجامع واختط الناس المنازل ومصر ها سعد ثم حكم في المدائن ومات الكنوز والذخائر ذكر طرف مستملحة وقعت حينئذ ، منها أن بعض العرب ظفر بجراب فيه كافور فأحضره الى أصحابه فظنوه ملحاً فطبخوا طعاماً ووضعوا فيه كافورا فلم يروا له طعماً ولم يعلموا ماهو فرآه رجل يعرف مافيه فاشتراه منهم بقميص خلق يساوي درهمين . ومنها أن بدوياً ظفر بحجر من الياقوت كبير يساوي مبلغاً عظيماً فلم يدر قيمته فرآه بعض من يعرف قيمته فاشتراه منه بألف درهم فبعد ذلك عرف البدوي قيمته ولامه أصحابه وقالوا له هلا طلبت منه أكثر من ذلك قال لو علمت ان وراء الالف عدد أكثر من الالف لطلبته . ومنها أن بعضهم كان يأخذ في يده الذهب الاحمر ويقول من يأخذ الصفراء ويعطيني البيضاء يرى أن الفضة خير من الذهب ذكر ما آلت اليه حال يزدجرد

ثم إن يزدجرد هرب الى خراسان وما زال أمره يضعف حتى قتل في سنة احدى وثلاثين من الهجرة بخراسان وهو آخر ملوك الاكاسرة . وفي الدولة المذكورة دونت الدواوين وفرض العطاء للمسلمين ولم يكونوا قبل ذلك يعرفون ما الديوان

شرح كيفية تدوين الدواوين . كان المسلمون في الجهاد وكان قتالهم لأجل الدين لا لاجل الدنيا وكان لا يزال منهم دائماً من يبذل شطراً صالحاً من ماله في وجوه البر والقرب وكانوا لا يريدون على اسلامهم ونصرهم

لنبيهم صلوات الله عليه وسلامه سواء إلا من عند الله تعالى ولم يفرض
النبي صلوات الله عليه وسلامه ولا أبو بكر رضي الله عنه لهم عطاء مقرراً
ولكن كانوا اذا غزوا وغنموا أخذوا نصيباً من الغنائم فريضة الشريعة
لهم واذا ورد الى المدينة مال من بعض البلاد أحضر الى مسجد الرسول
صلوات الله عليه وسلامه وفرق فيهم حسب ما رآه صلى الله عليه وسلم وجرى
الامر على ذلك مدة خلافة أبي بكر رضي الله عنه فلما كانت سنة خمس
عشرة من الهجرة وهي خلافة عمر رضي الله عنه رأى أن الفتوح قد توالت
وأن كنوز الاكاسرة قد ملكت وأن الحمول من الذهب والفضة والجواهر
النفيسة والثياب الفاخرة قد تتابعت فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق
تلك الأموال فيهم ولم يكن يعرف كيف يصنع وكيف يضبط ذلك وكان
بالمدينة بعض مرازبة الفرس فلما رأى حيرة عمر قال له يا أمير المؤمنين إن
للأكاسرة شيئاً يسمونه ديواناً جميع دخلهم وخرجهم مضبوط فيه لا يشذ منه
شيء وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يتطرق عليها خلل فتنبه عمر رضي الله
عنه وقال صفه لي فوصفه المرزبان ففطن عمر لذلك ودوّن الدواوين وفرض
العطاء فجعل لكل واحد من المسلمين نوعاً مقرراً وفرض لزوجات الرسول
صلوات الله عليه وسلامه ولقرابته وأقاربه حتى استنفد الحاصل ولم يدخر في
بيت المال شيئاً قالوا فقام اليه رجل وقال يا أمير المؤمنين لو تركت في بيوت
الاموال شيئاً يكون عدة لحادث ان حدث فزجره عمر وقال كلمة ألقاها الشيطان
على فيك وقاني الله شرها وهي فتنة لمن بعدي اني لا أعد للحادث الذي يحدث
سوى طاعة الله ورسوله فهي عدتنا التي بها بلغنا ما بلغنا ثم إن عمر رأى أن
يجعل العطاء على حسب السبق الى الاسلام والى نصرة الرسول عليه الصلاة

والسلام في مواطن حروبه ثم استخدم الكتاب في الدواوين وأمرهم بترتيب الطبقات وبسط العطاء فقالوا بمن نبدأ يا أمير المؤمنين فأشار ناس من الصحابة عليه بأن يبدأ بنفسه وقالوا أنت أمير المؤمنين وبعدك يقال فكره عمر ذلك وقال ابدأوا بالعباس عم رسول الله صلوات الله عليه وبني هاشم ثم من بعدهم طبقة بعد طبقة وضعوا آل الخطاب حيث وضعهم الله عز وجل فاستمد ما أشار به وجرى الأمر على ذلك مدة خلافته وخلافة عثمان رضي الله عنهما ثم في آخر خلافته خطر له بعد هذا الرأي وأن يفرض لكل واحد من المسلمين أربعة آلاف وقال ألف يجعلها في نفقته لعياله إذا خرج إلى الحرب وألف يجهز بها وألف يصحبها معه وألف يرفق بها فمات عمر رضي الله عنه قبل تمام هذا الرأي ومن وقائعها المشهورة وقعة الجمل ... وقعة الجمل وكيفية الحال في ذلك . لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه اجتمع الناس وقصدوا منزل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وسألوه تولي أمرهم فأبى عليهم وقال لا حاجة لي في أمركم فألحوا عليه إلحاحاً شديداً وجمعوا إليه من كل صوب يسألونه ذلك حتى أجاب فبايعه الناس فسار فيهم بسيرة الحق لا يأخذه في الله لومة لائم وكانت حركاته وسكناته عليه السلام جميعها لله وفي الله لا يحصى بها حق أحد وكان لا يأخذ ولا يعطي إلا بالحق والعدل حتى إن أخاه عقيلاً وهو ابن أبيه وأمه طلب من بيت المال شيئاً لم يكن له بحق فمنعه عليه السلام وقال يا أخي ليس لك في هذا المال غير ما أعطيتك ولكن اصبر حتى يجيء مالي وأعطيك منه ما تريد فلم يرض عقيل هذا الجواب وفارقه وقصد معاوية رضي الله عنه بالشام وكان لا يعطي ولديه الحسن والحسين عليهما السلام أكثر من حقهما فانظر إلى رجل حمله ورعه على هذا الصنيع بولديه وأخيه من أبويه

فلما سار فيهم هذه السيرة ثقل على بعض الناس فعله وكرهوا مكانه فخرج الزبير وطلحة رضي الله عنهما بعد ما بايعاه الى مكة وكانت عائشة زوجة الرسول صلوات الله عليه وسلامه بمكة قد خرجت اليها لليالي حوصر عثمان بن عفان رضي الله عنه فاجتمعا معها على عدم الرضى بامارة علي وعلى الطلب بدم عثمان ونسبوا عليًّا عليه السلام الى انه الب الناس على عثمان وحرضهم على قتله وما زال علي عليه السلام من اكثر المساعدين له بان يذب عنه وما زال عثمان لجأ اليه في دفع الناس عنه فيقوم عليه السلام في دفعهم عنه المقام المحمود وفي آخر الامر لما حوصر عثمان ارسل الى عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام لنصرة عثمان رضي الله عنه فقال ان حسن بن علي عليه السلام استقتل مع عثمان وكان عثمان يسأله ان يكف فيقسم عليه وهو يحمل نفسه في نصرته وأما طلحة رضي الله عنه فانه كان من اكثر المساعدين على عثمان وتشهد بذلك جميع التواريخ * وأما عائشة رضي الله عنها فانها كانت قد خرجت من المدينة الى مكة لليالي حوصر عثمان بن عفان ثم رجعت من مكة الى المدينة فلقيها في الطريق بعض أخوالها فقالت له ما وراءك قال قتل عثمان قالت فما صنع الناس بعده قال بايعوا عليًّا قالت ليت هذه تطبق على هذه إن تم الأمر لصاحبك ثم رجعت الى مكة وهي تقول قتل والله عثمان مظلومًا والله لأطلبن بدمه فقال لها الرجل لم والله إن أول من أمال حرفه لأنت والله لقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر وكان ذلك لقبا لعثمان فقالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الاخير خير من قولي الاول * ولما رجعت الى مكة اجتمعت مع الزبير وطلحة على ما ذكرناه من الطلب بدم عثمان وسخط امارة عليّ واجتمع معهم مروان بن الحكم وهو ابن عم

عثمان وقالوا للناس ان الغوغاء من أهل الامصار وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المسكين يعني عثمان فقتلوه ظلما وعدواناً فسفكوا الدم الحرام في البلد الحرام في الشهر الحرام ثم استمالوا أناساً وعزموا على قصد البصرة واستمالة أهلها والتقوّي بها على قتال عليّ عليه السلام فلما انتهى ذلك الى أمير المؤمنين قام فخطب الناس وأعلمهم الحال وقال انها فتنة وسأمسك الامر ما استمسك بيدي ثم بلغه ما تم فيه من الخروج والتصميم على الحرب فنهد اليهم في جيش من المهاجرين والأنصار . وقد كانت عائشة رضي الله عنها في توجهها الى البصرة اجتازت بماء فنبحت عليه كلاب فقالت للدليل ما اسم هذا الموضع قال الحوأب فصرخت بأعلى صوتها وقالت ردوني (انا لله وانا اليه راجعون) سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول عند نسائه (أيتكن تنبحها كلاب الحوأب) ثم عزمت على الرجوع فقالوا لها ان الدليل كذب ولم يعرف الموضع وقالوا لها ان لم تسيري من هذا الموضع ولا أدركنا علي بن أبي طالب فيه فيهلكنا فسارت وسار علي عليه السلام فالتقى الجمعان بظاهر البصرة وجرت خطوب وحروب في بعضها التقى علي عليه السلام وطلحة والزبير فقال علي عليه السلام لطلحة يا طلحة تطلب بدم عثمان فلعن الله قاتله عثمان يا طلحة أخبئت عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت أما بايعتني قال بايعتك والسيف على عنقي فقال علي عليه السلام للزبير يا زبير ما أخرجك قال أنت ولا أراك أهلا لهذا الأمر ولا أولى به منا فقال علي عليه السلام لقد كنا نعدك من بني عبدالمطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا يعني عبد الله بن الزبير وذكره علي أشياء وقال له أتذكر لما قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه لعابلك وأنت ظالم له قال

لهم نم ولو دكرت لما سرت مسيرى هذا وواللّه لا أقاتلك أبداً فانصرف أمير المؤمنين عليه السلام الى أصحابه وقال أما الزبير فقد أعطى اللّه عهداً أن لا يقاتلكم ثم ان الزبير عزم على ترك الحرب فخدعه ابنه عبد اللّه وما برح به حتى كفر عن يمينه وقاتل ولما تراءى الجمعان كان عسكر عائشة وطلحة والزبير رضي اللّه عنهم ثلاثين ألفاً وكان عسكر علي عليه السلام عشرين ألفاً فقبل أن تنشب الحرب وعظهم أمير المؤمنين عليه السلام وندبهم الى الصلح وبذل لهم كل ما ليس عليه فيه غضاضة من جهة الدين فمالوا شيئاً الى الصلح وباتوا على ذلك ثم في الغداة نشب القتال بين الفئتين وحربت مناوشات وحروب قصت الى نصر جيش أمير المؤمنين عليه السلام فأما الزبير فانه لما رأى النصر عليهم رد رأس فرسه ومر فتبعه رجل من عرب البصرة فتبعه عمير بن جرموز فقتله بوادي السباع وأتى الى علي عليه السلام بسيفه فقال للحاجب استأذن لقاتل الزبير فقال علي عليه السلام بشر قاتل ابن صفية بالنار وصفية أم الزبير وهي عمة أمير المؤمنين عليه السلام ولما رأى سيفه قال سيف طالما جلا الكروب عن وجه رسول اللّه صلوات اللّه عليه * واما طلحة فجاءه سهم غائر في رجله فأعطبه فدخل البصرة ردفاً لغلامه وقد امتلأ خفه دما وهو يقول اللهم خذ لعثمان مني حتى يرضى فمات فدار جريه من دور البصرة وقبره اليوم بالبصرة في مشهد يحترم عندهم اذا اعتصم به خائف أو طريد لا يجسر أحد كائنا من كان على اخراجه منه ولأهل البصرة في طلحة اعتقاد عظيم الى يومنا

وقيل ان الذي قتل طلحة مروان بن الحكم * وأما عائشة رضي اللّه عنها فانها كانت على جمل في هودج وقد ألبس هودجها الدروع والصفائح الحديد فلما

اشـد القتال واملت جنودها عرقب الجمل فوقع ورمى ووضع هودجها حملا ووضع في مكان بعيد عن الناس وكان أخوها محمد بن أبي بكر من أصحاب عليّ عليه السلام وابن زوجته أسماء بنت عميس رضي الله عنها فأمره عليّ عليه السلام أن يمضي الى أخته ويظر هل هي سليمة أم اصابها شيء من جراح فمضى اليها فرآها سليمة ثم ادخلها ليلا الى البصرة ثم ان أمير المؤمنين عليه السلام أذن للناس في دفن القتلى وكانوا عشرة آلاف من المسلمين ثم امر عليه السلام بجمع الأسلاب وأدخلها الى المسجد الجامع بالبصرة ونادى في الناس من عرف شيئاً من متاعه فليأخذه ثم ان أمير المؤمنين عليه السلام احسن الى عائشة غاية الاحسان وجهزها بكل ما ينبغي لمثلها وأذن لها في الرجوع الى المدينة وبعث معها كل من نجا ممن خرج معها الا من أحب المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء اهل البصرة المعروفات لاجل مؤانستها في الطريق وسيرها صحبة أخيها محمد بن أبي بكر مكرمة محترمة فلما كان يوم رحيلها جاء عليّ عليه السلام وحضر الناس فقالت عائشة رضي الله عنها يا بنيّ وانما قالت ذلك لان نساء النبي عليه السلام هن أمهات المؤمنين كذلك قال الله تعالى ورسوله صلوات الله عليه لا يعتب بعضنا على بعض انه والله ما كان بيني وبين علي في القديم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها وانه على معتبتي لمن الأخيار وقال عليّ عليه السلام صدقت والله ما كان بيني وبينها الا ذلك وانها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ثم سارت وشيعها عليه السلام أميالا وارسل بنيه معها مسيرة يوم وتوجهت الى مكة واقامت بها الى أيام الحج ثم حجت وانصرفت الى المدينة * وكانت وقعة الجمل في سنة ست وثلاثين من الهجرة * من وقائعها المشهورة وقعة صفين شرح كيفية الحال في ذلك * لما

انصرف أمير المؤمنين عليه السلام من وقعة الجمل أرسل الى معاوية رضي الله عنه يعرفه اجتماع الناس على بيعته ويعلمه ما كان من وقعة الجمل ويأمره بالدخول فيما دخل فيه المهاجرون والانصار وكان معاوية رضي الله عنه أميراً بالشأم من قبل عثمان رضي الله عنه وكان ابن عمه فلما ورد الى معاوية رضي الله عنه رسول أمير المؤمنين علي عليه السلام خاف معاوية رضي الله عنه من عليّ عليه السلام وعلم أنه متى استتبّ الامر له عزله ولم يستعمله وقد كان ابن عباس والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما أشارا على أمير المؤمنين عليه السلام أن يقر معاوية رضي الله عنه بالشأم مدة حتى يبايع الناس ويتمكن ثم يعزله بعد ذلك فلم يطعهما عليه السلام وقال إني إن أقررته على إمارته ولو يوماً واحداً كنت عاصياً في ذلك اليوم لله تعالى ولم يكن الخدع والحيل من مذهب عليّ عليه السلام ولم يكن عنده غير مرّ الحق فحين ورد الرسول الى معاوية رضي الله عنه طاوله ثم استشار بعمرو بن العاص رضي الله عنه وكان أحد الدهاة وكان معاوية رضي الله عنه قد ألفه واستماله ليقوى برأيه ودهائه فأشار عمرو بن العاص على معاوية رضي الله عنهم أن يظهر قميص الدم الذي قتل فيه عثمان بن عفان وأصابع زوجته رضي الله عنهما ويعلق ذلك على المنبر ثم يجمع الناس ويبكي عليه ويقص قتل عثمان بعلي رضي الله عنهم ويطالبه بدمه ليميل اليه أهل الشأم ويقاتلوا معه فأخرج معاوية رضي الله عنه القميص والأصابع وعلقه على المنبر وبكى واستبكى الناس وذكرهم بمصاب عثمان رضي الله عنه فانتدب أهل الشأم من كل جانب وبذلوا له الطلب بدم عثمان رضي الله عنه والقتال معه على كل من آوى قتلته * ثم كتب معاوية رضي الله عنه الى أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً نذكر منه ذلك فحينئذ ظهر

علىّ عليه السلام للقتال وكان الناس ليحجموا معه وكذلك صنع معاويه
رضى الله عنه ثم التقوا بصفين من أرض الشأم فحرب بينهم مناوشات
وحروب كان أولها أن معاويه وأصحابه رضى الله عنهم سبقوا الى شريعة الماء
فملكوها ومنعوا أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من الماء ولم يكن هناك
شريعه غيرها فلما أخبر على عليه السلام بذلك أرسل الى معاويه رضى الله عنه
رسولا يقول له إن من مذهبنا أن لا نبدأ كم بقتال حتى نحتج عليكم ونظر
فيما جئنا له وتنظرون وقد منع أصحابك الناس من الماء فانصف حتى يخلوا
سبيل الماء وان شئتم أن نترك ما جئنا له ويكون مقاتلنا على الماء فيكون
الغالب هو الشارب فلما ذلك قال معاويه رضى الله عنه لأصحابه ما ترون
قال قوم من بنى أميه نرى أن نمنعهم الماء حتى يموتوا عطشاً أو يرجعوا الطلب
الماء فيكون هزيمة فقال عمرو بن العاص رضى الله عنه أرى أن يخلى لهم
سبيل الماء فان القوم لا يعطشون وأنت ريان فأخر معاويه رضى الله عنه
الجواب وقال سأنظر فاقتتل الناس على الماء وأمدّ علىّ عليه السلام أصحابه
وأمد معاويه رضى الله عنه أصحابه ونشبت الحرب والتحم القتال فملك
أصحاب علىّ عليه السلام الشريعه فأرادوا منع أصحاب معاويه رضى الله
عنه فأرسل اليهم علىّ عليه السلام وقال خذوا حاجتكم من الماء ولا تمنعوه
منه ودام على ذلك مده حتى كاد عسكر علىّ عليه السلام أن يغلبوا وظهرت
أمارات الفتح خاف عمرو بن العاص رضى الله عنه من الهلاك فأشار
على معاويه رضى الله عنه برفع المصاحف على الرماح والدعاء الى ما فيها
من أمر الله عز وجل فلما رفعت المصاحف فتر أكثر الناس عن الحرب
وجاؤا الى أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا يا علىّ أجب الى كتاب الله

عز وجل فوالله إن لم تفعل لنحملنك مكارهاً الى معاويه رضى الله عنه أو لنفعلن بك كما فعلنا بابن عفان رضى الله عنه فقال لهم على عليه السلام يا قوم إنها خدعه منهم وإنهم ليس فيهم من يعمل بهذه المصاحف أولسم على بينه من ربكم فامضوا الى شأنكم وقاتلوا عدوكم فلم يقبلوا وغلبوه فأجاب الى ترك القتال ثم أرسل الى معاويه رضى الله عنه رسولا يقول له ما الذى يريد برفع هذه المصاحف قال نحكم منا رجلا ومنكم رجلا ونقسم على الرجلين أن ينصحا الامه ويعملا بما فى كتاب الله عز وجل وما لم يجداه فى كتاب الله حملاه على السنه والجماعه فأى شىء حكما به قبلناه فتراضى الناس جميعاً بذلك الا أمير المؤمنين عليه السلام فانه رضى كارهاً مغلوباً وقد أشار عليه من بطانته كالاشتر وابن عباس رضى الله عنهم وغيرهما بالقعود والامتناع عن تحكيم رجلين فأما أهل الشام فاجمعوا على أن يكون الحكم من جهتهم عمرو بن العاص رضى الله عنه داهيه العرب وأما أهل العراق فطلبوا أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه وكان شيخاً مغفلا فلم يستصلحه أمير المؤمنين عليه السلام للتحكيم وقال ان كان ولا بد من التحكيم فدعونى أرسل عبد الله بن عباس فقالوا لا والله هو أنت وأنت هو قال فالاشتر قالوا فهل سعر الا ... الاشتر قال فقد أبيتم الا أبا موسى قالوا نعم قال فافعلوا ما شئتم فاتفق الناس على أبى موسى وعمرو بن العاص رضى الله عنهما وتواعدوا الى ... ورد وسكنت الحرب وانصرف الناس الى أمصارهم ورجع معاويه رضى الله عنه الى الشام وأمير المؤمنين عليه السلام الى العراق ثم بعد شهور سار الحكمان لحينهما بدومه الجندل وكانت مقدار الحكمين وسار ناس من الصحابه ليشهدوا ذلك المقام وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد أرسل صحبه أصحابه

عبد الله بن العاص رضي الله عنه فلما اجتمع الحكمان قال عمرو بن العاص لأبي موسى الاشعري يا أبا موسى ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوماً قال أشهد قال ألست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه قال بلى قال عمرو فما يمنعك منه وبيته في قريش كما قد علمت فان خفت أن يقول الناس ليست له سابقة فقل وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السياسة والتدبير وهو أخو أم حبيبة زوج النبي صلوات الله عليه وكاتبه وقد صحبه وعرض عمرو لأبي موسى بولاية ووعده عن معاوية بأشياء فأبى أبو موسى وقال معاذ الله أن أولي معاوية وأن أقبل في حكم الله رشوة فقال له عمرو فما تقول في ابني عبد الله وكان لعمرو بن العاص ابن سمه عبد الله من خيار الصحابة رضي الله عنهم فأباه أبو موسى وقال لعمرو إنك غمسته معك في هذه الفتنة ولكن هل لك في خيار بن عمر بن الخطاب وبدنيه ابن عبد الله بن عمر فأباه عمرو فلما ... فقال له عمرو يا أبا موسى فأي شيء هو رأيك قال أبو موسى رأى أن تخلع عليا ومعاوية رضي الله عنهم من هذا الأمر ويريح الناس من هذه الفتنة وندع أمر الناس شورى فيختار المسلمون لأمرهم من يجمعون عليه قال عمرو رضي الله عنه نعم ما رأيت وأنا معك على ذلك ولاح وجه الحيلة وكان قد عود أبا موسى الأشعري أن يقدمه في الكلام يقول له أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر سناً فيعود أبو موسى أن يتكلم قبل عمرو فيقدم أبو موسى وقال إني وعمرا قد اجتمعا على أمر نرجوا فيه صلاح المسلمين فتقدم عمرو وقال صدق وبر فتقدم يا أبا موسى وأعلم الناس بما اجتمعا عليه فقام ابن عباس وقال لأبي موسى ويحك إني لأظنه قد خدعك وقد أوهمك انه اتفق معك على ما تريد ثم قدمك ليعرف به

فاذا اعترف ابكرنا فانه رجل غادر فان كنا قد اتفقنا على شيء فقدمه لقوله ذلك فقال أبو موسى انا قد اتفقنا ثم قال انا قد اتفقنا على أن نخلع عليا ومعاوية وندع أمر المسلمين شورى يختارون من أجمعوا عليه وانى قد خلعت عليا ومعاوية من الخلافة كما نخلع الخاتم من الاصبع فتقدم عمرو بن العاص رضى الله عنه وقال أيها الناس قد سمعتم ماقال وانه قد خلع صاحبه وانا أيضا قد خلعته منه وأثبت صاحبى معاوية فانكر أبو موسى وقال انه غدر وكذب وما على هذا اتفقنا فلم يسمع منه وتفرق الناس ومضى عمرو بن العاص وأهل الشأم الى معاوية وسلموا عليه بالخلافة ومضى ابن عباس وأصحاب على عليه السلام الى أمير المؤمنين وأخبروه بما جرى وأما أبو موسى فان أهل الشأم طلبوه فهرب الى مكة وعلى ذلك انفصل أمر صفين فكان بدؤه فى سنة ست وثلاثين وانقضاؤه فى سنة سبع وثلاثين حديث الخوارج وما كان منهم وما آل بهم الحال اليه * لما جرى أمر التحكيم على الوجه المتقدم خرج عاد الذين أشاروا بالتحكيم وألزموا أمير المؤمنين عليه السلام الرضى به يندمون عليه ونفروا وأبوا علياً عليه السلام وقالوا لاحكم الا لله قال على عليه السلام لاحكم الا لله قالوا فانك قد حكمت الرجال قال انى لم ارض بقضية التحكيم وأنتم الذين رضيتموها وانى أعلمتكم أنها مكيدة من أهل الشأم وأمرتكم بقتال عدوكم فأبيتم الا التحكيم وغلبتمونى على رأيى فلما لم يكن بد من التحكيم شرطت وشرطت على الحكمين أن يعملا بكتاب الله عز وجل وأن يحييا ما أحيى الكتاب ويميتا ما أمات فخالفا وخالفا كتاب الله وعملا بالهوى فنحن على الرأى الاول فى قتالهم قال الخوارج أما نحن فلا نرتاب انا رضينا بالتحكيم فى أول الامر لكنا ندمنا عليه وعلمنا انا كنا مخطئين فتاب ان أقررت

على نفسك بالكفر واستغفرت الله من خطيئتك وتبت وتحكيمك الرجال
رجعنا معك الى قتال عدوك وعدونا والا فنحن قد نابذناك فوعظهم بكل
قول وبصرهم بكل وجه فلم يرجعوا واجتمعوا أيضا من أهل البصرة والكوفة
وغيرهم وقصدوا النهروان وكان رأيهم ان يأتوا بعض المدن الحصينة فيتحصنوا
بها ويقاتلون منها وصدرت منهم أمور متناقضة تدل على ان يخبطوا خبط
عشواء * منها أن رطبة سقطت من نخلة فتناولها رجل ووضعها في فيه فقالوا
له أكلتها غصبا وأخذتها بلا ثمن فألقاها * ومنها ان خنزيرا لبعض أهل القرى
مر بهم فضربه أحدهم بسيفه فعقره فقالوا هذا فساد في الارض فمضى الرجل
الى صاحب الخنزير وأرضاه * ومنها أنهم كانوا يقتلون النفس التي حرمت الا
بالحق فقتلوا عبد الله بن خباب رضي الله عنه وكان خباب من كبار الصحابة
وقتلوا عدة نساء وسبوا وفعلوا أفاعيل من هذا القبيل * فلما بلغ عليا عليه السلام
أمرهم وقد كان خطب الناس في الكوفة وندبهم الى قتال أهل الشأم واعادة
الحرب جذعة قالوا ياأمير المؤمنين أن نمضي وندع هؤلاء الخوارج يخلفونا
في عيالنا وأموالنا سر بنا اليهم فاذا فرغنا من قتالهم رجعنا الى قتال أعدائنا
من أهل الشأم فسار عليه السلام بالناس الى الخوارج فلقيهم على النهروان
وأبادهم فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا * كرامة لامير المؤمنين صلوات
الله عليه * لما التقى الخوارج بالنهروان أجفلوا قدامه الى ناحية الجسر فظن
الناس أنهم قد عبروا الجسر فقالوا لعلي عليه السلام ياأمير المؤمنين انهم قد
عبروا الجسر فالقهم قبل أن يعبروا فقال أمير المؤمنين عليه السلام ماعبروا وان
مصارعهم دون الجسر ووالله لا يقتل منكم عشرة ولا يبقى منهم عشرة فشك
الناس في قوله فلما اشرفوا على الجسر رأوهم لم يعبروا فكبر أصحاب أمير المؤمنين

عليه السلام وقالوا له هو كما قلت يا أمير المؤمنين قال نعم والله ما كذبت ولا كذبت فلما انفصلت الوقعة وسكنت الحرب اعتبر القتلى من أصحاب علي عليه السلام فكانوا تسعة وأما الخوارج فذهبت طائفة منهم قبل أن تنشب الحرب وقالوا والله ماندري على أي شيء نقاتل علي بن أبي طالب سنأخذ ناحيته حتى ننظر الى ماذا يؤول الامر وأما الباقون فثبتوا وقاتلوا فهلكوا جميعهم ثم ان أمير المؤمنين عليه السلام لما انقضى أمر الخوارج رجع الى الكوفة وندب الناس الى قتال أهل الشام فتثاقلوا فأعاد القول عليهم ووعظهم وحثهم على الجهاد فقالوا يا أمير المؤمنين كلت سيوفنا ونفدت نبالنا وملالنا من الحرب فأمهلنا نصلح أمورنا ونتوجه وكان قد عسكر ظاهر الكوفة فأمهلهم وأمرهم أن يوطنوا نفوسهم على الحرب ونهاهم عن عصيان أحوالهم حتى يرجعوا من الشام فصاروا يتسللون ويدخلون الكوفة حتى خلا المعسكر منهم فبطل رأيه عليه السلام وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين * وفاة الأربعة * وفاة أبي بكر رضي الله عنه * أول من مات منهم أبو بكر مات بالمدينة حتف أنفه في سنة ثلاث عشرة * وكان مرضه خمسة عشر ليلة الجمعة الى ليلة ليلة الغار ودفن عند النبي صلوات الله عليه وسلامه في بيت عائشة ابنته رضي الله عنها زوج الرسول وكان الرسول صلوات الله عليه لما قبض قبض في بيتها فدفن أبو بكر عنده وعهد الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستخلفه على الأمة بعده * مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه * لما وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخراج اغتاظ من ذلك أبو لؤلؤة رضي الله عنه غلام المغيرة بن شعبة لانه كان قد وضع الخراج على مولاه وكان عمر بن الخطاب لقي أبا لؤلؤة رضي الله عنهم فقال له اصنع لي رحى فقال أبو لؤلؤة لأصنعن

لك رحى تدور مع الدهر فقال عمر يهددنى العبد فطعنه وهو فى الصلاة فبقى ثلاثة أيام ومات ودفن فى تربة النبى عليه السلام وذلك فى سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وأما أبو لؤلؤة فاجتمع الناس عليه فقتل منهم جماعة ثم أخذ وقتل * ذكر الشورى وصفة الحال فى ذلك * لما طعن عمر اجتمع اليه الناس وسألوه عمن يولى الأمر بعده فجعل الأمر شورى والشورى فى اللغة هى المشاورة ومعنى هذا أن عمر لما أحس بالموت نظر فيمن يعهد اليه ويوليه أمر الأمة فلم يصح رأيه فى رجل واحد فجعلها فى ستة من أكابر الصحابة وهم أصحاب الشورى أمير المؤمنين علىّ عليه السلام وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم وقال كل من هؤلاء صالح للأمر بعدى وأمرهم أن يشاوروا ثلاثة أيام ثم يجمعوا على واحد من هؤلاء الستة وكان طلحة رضى الله عنه غائباً فقال عمر إن قدم طلحة فى الايام الثلاثة وإلا فامضوا أمركم وأقام عليهم رجلا من الأنصار وقال ان الله أعزّ بكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الأنصار واستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا وقال إن اجتمع خمسة ورضوا واحداً منهم وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤسهما وان رضى ثلاثة منهم رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر يعنى ابنه فأى الفريقين حكم فليختاروا رجلا منهم وكان قد أمر بحضور ابنه فى ذلك المقام مشيراً ولم يجعل له من الأمر شيئاً فان لم يختاروا بحكم عبد الله ابن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس فلم يخرج مما قال شىء بل لما مات بويع عثمان بن عفان وكان من الامر ما كان * مقتل عثمان بن عفان وسببه * ان ناساً من

المسلمين نقموا عليه مجاوزته لطريقة صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهم
من التقلل والكف عن أموال المسلمين وكان هو قد فرق جملة منها على أقاربه
ووسع على عياله وأهله فمن جملة ما فعل به أعطى عبد الله بن خالد بن أسيد
خمسين ألف درهم وأعطى مروان بن الحكم خمسة عشر ألفاً ولم يكن المسلمون
عادوا مثل هذا التبذير وعهدهم قريب بضبط أبي بكر وعمر رضي الله عنهما
فنفروا من ذلك وجرت بينهم وبينه مخاطبات ومقاولات فاعتذر إليهم بأن
أبا بكر وعمر رضي الله عنهما منعا أنفسهما وأهلهما احتساباً لله وتركا حقوقهما
فيهما وأما صاحب مال فقد بذلت فوسعت علي وعلى أهلي بشيء من
هذا المال فإن استعظم هذا فأمري لأمركم تبع فقالوا أأحسنت وأأصبت
قد أعطيت عبد الله بن خالد خمسين ألفاً ومروان خمسة عشر ألفاً قال فإني
أستعيد ذلك منهما واستعاد ما أعطاهما وكان قد عابوه على تصرفات أموره
التي حمله عليها وحسنها له مروان بن الحكم لتدبيره وطرقه لهم ما ينقمون
به عليه ويقبح أمره وفشا الأمر فاجتمع ناس من أهل الأمصار على حربه
منها أهل مصر وناس من كل صقع وعزموا على قتله فخرج ليلاً وجاء إلى
أمير المؤمنين عليه السلام وقال له يا ابن عم إن لي عليك حقاً وقد قصدتك وقت
شدة هؤلاء القوم بمنزله وهم يقتلون قومك وقد ترى جرأتهم علي فاخرج
إليهم وردهم عني فركب علي عليه السلام ورد الناس عنه وضمن لهم عنه حسن
السيرة فرجعوا ثم أعضل الخطب وزين له مروان بن الحكم أموراً نقمها
الناس فاجتمعوا عليه من كل صوب وأحاطوا به وحصروه في داره فأرسل إلى
عليّ عليه السلام يستنصره فأرسل له ابنه الحسن عليه السلام فقاتل عنه قتالاً
شديداً حتى كان يسكنه وهو يقاتل عنه ويبذل نفسه دونه وتكاثر الناس

عله فدحلوا علــه الدار وحطوه بالسـوف وهو صائم والمصحف ى حجره وهو يقرأ فيه فوقع المصحف بين يديه وسال الدم عليــه فصاحت زوجته نائلة لتلقى عنه الضرب بيدها فأصاب السيف أصابعها فأبانها وهى الأصابع التى كان علقها معاويه رضى الله عنه على منبر الشأم مع قميص عثمان ليرى الناس بذلك فولت المرأة دهشه فنظر صارمها أوراكها وقال بها لكثرة العجز ثم قتل عثمان رضى الله عنه واحتزوا رأسه فوقع نساؤه عليه وصحن وبكين فقال بعضهم دعوه فتركوه ثم داس رجل من أهل الكوفه يقال له عمـر بن ضابئ البرجمى أضلاعه فكسرها ثم نهب داره حتى أخذ ما على النساء ثم حمل فى تابوت بعد أيام ليدفن فقعد جماعه على الطريق يريدون رجمه فأرسـل أمير المؤمنين علىّ عليــه السلام اليهم فردهم عن ذلك ودفن فرسخا من البقيع ثم بعد ذلك اشترى معاويه رضى الله عنه ما حول قبره وصرحه بمقابر المسلمين وأباح للناس الدفن حوله فكان ذلك فى سنه خمس وثلاثين من الهجرة وسمى يوم قتله يوم الدار لانهم هجموا عليه فى داره وقتلوه بها

﴿ مقتل أمير المؤمنين على عليــه السلام ﴾

نقل من عده جهات أن أمير المؤمنين عليه الســلام كان يقول دائما ما يمنع أشقاكم أن يخضب هذه من هـذا يعنى لحيته بدم رأسه وكان اذا رأى عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله ينشد (وافر)

أريد حبــاءه ويريد قتــلى عذيرك من خليلك من مراد

وكان يقال له اذا جرى على لفظه مثل هذا يا أمير المؤمنين هلا تقتله فيقول كيف أقتل قاتلى وهـذا يدل على أن رسول الله صــلى الله عليه وسلم أعلمه بذلك فى جملة ما أعلمه به ومما يؤكد هـذا ما روى عن أنس بن مالك

رضي الله عنه قال مرض علي عليه السلام فدخلت عليه أعوده وعنده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فجلسنا عنده ساعة فأتى رسول الله صلوات الله عليه فنظر في وجهه فقال له أبو بكر رضي الله عنه يا نبي الله إنا نراه لمائت فقال لن يموت هذا الآن ولن يموت حتى يملأ غيظاً ولن يموت إلا مقتولا وكان علي عليه السلام دائما يحبس الى ابن ملجم لعنه الله قالوا فلما دخل شهر رمضان من سنة أربعين كان علي عليه السلام يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار عليهم السلام فاذا أكل لا يزيد على ثلاث لقم ويقول انما هي ليلة أو ليلتان و يأتي أمر الله وأنا خميص فلم يمض إلا ليال قلائل حتى قتل عليه السلام

وقيل انه قتل في شهر ربيع الآخر والاول أصح وهو المعول عليه

﴿ وأما كيفية قتله عليه السلام ﴾

فانه خرج من داره بالكوفة أول الفجر فجعل ينادي الصلاة يرحمكم الله فضربه ابن ملجم لعنه الله بالسيف على أم رأسه وقال الحكم لله لا لك يا علي وصاح الناس وهرب ابن ملجم فقال أمير المؤمنين لا يفوتكم الرجل فشد الناس عليه فأخذوه واستناب علي عليه السلام في صلاة الصبح بعض أصحابه وأدخل داره فقال أحضروا الرجل عندي فلما حضر عنده قال له يا عدو الله ألم أحسن اليك قال بلى قال فما حملك على هذا قال شحذته أربعين صباحا وسألت الله أن يقتل به شر خلقه فقال أمير المؤمنين لا أراك إلا مقتولا به ولا أراك الا من شر خلق الله ثم قال عليه السلام النفس بالنفس إن هلكت فاقتلوه كما قتلني وإن بقيت رأيت فيه رأيي يا بني عبد المطلب لا تخوضوا في دماء المسلمين تقولون قتل امير المؤمنين ألا لا تقتلن بي

إلا قاتلى ثم التفت الى ابنه الحسن عليه السلام وقال انظر يا حسن اذا انا مت من ضربتى هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثل بالرجل فانى سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور ، ثم وصى بتقوى الله تعالى وباقامة الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء وغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه فى الدين والتثبت للامر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجتناب الفواحش ثم كتب وصيته ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض صلوات الله عليه وسلامه فلما قبض بعث الحسن عليه السلام الى ابن ملجم فأحضره فقال للحسن هل لك فى أمر انى والله قد اعطيت الله عهداً أن لا اعاهد عهداً إلا وفيت به وانى عاهدت لله عند الحطيم ان اقتل علياً ومعاوية او اموت دونهما فخل بينى وبين معاوية حتى اقضى واقتله ولك عهد الله علىّ انى ان لم اقتله او قتلته وسلمت ان اجئ اليك حتى اضع يدى فى يدك فقال الحسن لا والله حتى تذوق النار ثم قدمه فقتله وأخذه الناس فأدرجوه فى بوارىّ وأحرقوه بالنار

وأما مدفن أمير المؤمنين عليه السلام فانه دفن ليلا بالغرىّ ثم عمى قبره الى أن ظهر حيث مسجده الآن صلوات الله عليه وسلامه

وأما السبب الذى حمل ابن ملجم لعنه الله على قتله فهو أن ابن ملجم كان أحد الخوارج فاجتمع برجلين من الخوارج وتذاكروا من قتل أمير المؤمنين عليه السلام منهم بالنهروان وقالوا ما فى الحياة بعد أصحابنا نفع وتواعدوا على أن يقتل كل واحد منهم واحداً من ثلاثة علىّ ابن أبى طالب ومعاوية وعمرو بن العاص رضى الله عنهم فقال ابن ملجم أنا أكفيكم علياً وقال

الآخر أنا أكفيكم معاوية وقال الآخر أنا أكفيكم عمرا فأما ابن ملجم لعنه الله فإنه رأى امرأة جميلة من بنات الخوارج فرغبها فخطبها فقالت له أريد كذا وكذا وأريد أن تقتل علي بن أبي طالب فقال لها ما جئت الا لقتله والعزم لها أنه يقتله ثم قتله وقتل بعده . وأما الآخر فإنه مضى الى معاوية فقصد له حتى خرج فضربه بالسيف على طرف اليته فلم يصنع طائلا فطلب لها معاوية فبرئ وقتل الرجل وقيل لم يقتله . وأما الآخر فمضى الى مصر ليقتل عمرو بن العاص فقصد له فاتفق أن عمرو عرض مزاحه في تلك الليلة فلم يخرج في صبحتها الى الصلاة واستناب بعض أصحابه فلما طلع اعتمده الرجل عمرا فضربه فقتله فمسكوه واحضروه الى عمرو فلما رأى الناس يسلمون عليه بالامارة قال من هذا قالوا الامير عمرو بن العاص قال فمن قتلت قالوا نائبه وكان اسمه خارجة فقال الرجل لعمرو بن العاص ما والله يا فاسق ما اردت غيرك فقال عمرو أردتني واراد الله خارجة ثم قدمه عمرو فقتله . ولما بلغ عائشة رضي الله عنها قتل علي عليه السلام قالت (طويل)

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

﴿ الدولة الاموية ﴾

(وهي في سياسة الملك من الدولة الاولى)

لما قتل أمير المؤمنين صلوات الله عليه بايع الناس الحسن بن علي عليهما السلام فمكث شهوراً حتى اجتمع هو ومعاوية فصالحا للمصلحة الحاضرة التي كان الحسن عليه السلام أعلم بها وسلم الخلافة اليه وتوجه نحو المدينة وبويع معاوية رضي الله عنه بالخلافة العامة ودعي بأمير المؤمنين وذلك في

سنة أربعين من الهجرة ﴿ ذكر شئ من سيرة معاوية ووصف طرف من حاله ﴾ هو معاوية بن ابى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كان أبوه ابو سفيان أحد أشياخ مكة أسلم في السنة التي فتح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيها مكة وأسلم معاوية وكتب الوحي في جملة من كتبه بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكانت أمه هند بنت عتبة شريفة في قريش أسلمت عام الفتح وكانت في وقعة أحد لما صرع حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وآله من طعنة الحربة التي طعنها جاءت هند فشقت بطنه وأخذت قطعة من كبده فمضغتها حنقاً عليه لأنه كان قد قتل رجالا من أقاربها فلذلك قيل لمعاوية بن آكلة الاكباد

ولما فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة حضرت اليه متنكرة في جملة نساء من نساء مكة أتين لتبايعه فلما تقدمت هند لتبايعه اشترط صلوات الله عليه وآله شروط الاسلام عليها وهو لا يعلم أنها هند فأجابته بأجوبة قوية على جودتها منه فيما قال لها وقالت قال لها صلوات الله عليه وآله وسلم تبايعني على أن لا تقتلن أولادكن وكانوا في الجاهلية يقتلون الاولاد فقالت هند أما نحن فقد ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً يوم بدر فقال وعلى أن لا تعصيني في معروف قالت ماجلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك قال وعلى أن لا تسرقن قالت والله ما سرقت من عمري شيأ اللهم الا أني كنت آخذ من مال أبي سفيان شيأ في بعض الوقت وكان ابو سفيان زوجها حاضراً فعند ذلك علم رسول الله صلى الله عليه وآله أنها هند فقال هند قالت نعم يا رسول الله فلم يقل شيئاً لأن الاسلام جب ما قبله ثم قال وعلى أن لا يزنين قالت وهل يزني الحرة قالوا فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله الى العباس رضي الله عنه وتبسم

«وأما معاوية رضي الله عنه فكان عاقلا في دنياه لبيباً عالماً حليما ملكا قويا جيد السياسة حسن التدبير لأمور الدنيا عاقلا حكيما فصيحاً بليغاً يحلم في موضع الحلم ويشتد في موضع الشدة إلا أن الحلم كان أغلب عليه وكان كريماً باذلا للمال محباً للرئاسة مشغوفاً بها كان يفضل على أشراف رعيته كثيراً فلا يزال أشراف قريش مثل عبد الله بن العباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر الطيار وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وأبان بن عثمان بن عفان وناس من آل أبي طالب رضي الله عنهم يفدون عليه بدمشق فيكرم مثواهم ويحسن قراهم ويقضي حوائجهم ولا يزالون يحدثونه أغلظ الحديث ويجبهونه أقبح الجبه وهو يداعبهم تارة ويتغافل عنهم أخرى ولا يعيدهم الا بالجوائز السنية والصلات الجمة قال يوماً لقيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه وهو رجل من الانصار يا قيس والله كنت أود أن لا تنقضي الحروب التي كانت بيني وبين علي عليه السلام وأنت حي فقال قيس والله اني كنت أكره أن تنقضي تلك الحروب وأنت أمير المؤمنين فلم يقل له شيئاً وهذا من أحمل ما كانوا يخاطبونه به

وبعث الى رجل من الأنصار بخمس مائة دينار فاستقلها الأنصاري وقال لابنه خذها وامض الى معاوية فاضرب بها وجهه وردها عليه وأقسم على ابنه أن يفعل ذلك فجاء ابنه الى معاوية ومعه الدنانير فقال يا أمير المؤمنين ان أبي فيه حدة وسرعة وقد امرني بكيت وكيت وأقسم علي وما اقدر على مخالفته فوضع معاوية يده على وجهه وقال افعل ما امرك ابوك وارفق بعمك فاستحيى الصبي ورمى بالدراهم فضاعفها معاوية وحملها الى الأنصاري وبلغ الخبر يزيد ابنه فدخل على معاوية غضبان وقال لقد افرطت في الحلم حتى خفت ان يعد ذلك منك

صعقاً وحساً فقال معاوية اى بنى انه لا يكون مع الحلم ندامة ولا مذمة فامض لشأنك ودعنى ورأيى وبمثل هذه السيرة صار خليفة العالم وخضع له من ابناء المهاجرين والانصار كل من يعتقد انه أولى منه بالخلافة وكان معاوية رضى الله عنه من أدهى الدهاة . روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لجلسائه تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية . ومن دهائه ما اعتمده من استمالة عمرو بن العاص وكان عمرو بن العاص احد الدهاة وكان ولى ما يسبب الفتنة من أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية مضمر لا للفرض فرأى معاوية ان يستميله ويقوى برأيه ودهائه ومكره فاستماله ووصل حبله بحبله وولاه مصر ودخل معه فى تلك المداخل وفعل فى صفين تلك الافاعيل ولم يكن بينهما مع ذلك مودة قلبية وكانا يتناقضان سراً وربما ظهر ذلك على صفحات وجوههما وفلتات السنتهما طلب أمير المؤمنين عليه السلام فى صفين من معاوية ان يخرج الى مبارزته فقال له عمرو بن العاص رضى الله عنه قد انصفك ولا يحسن بك النكول عن مبارزته فقال له معاوية غششتنى وأحببت قتلى ألست تعلم ان ابن ابى طالب لا يبرز له احد الا قتله وقال معاوية يوما لجلسائه ما اعجب الأشياء فقال يزيد اعجب الأشياء هذا السحاب الراكد بين السماء والارض لا يدعمه شئ من تحته ولا هو مربوط بشيء من فوقه وقال آخر أعجب الأشياء حظ ناله جاهل وحرمان ناله عاقل وقال آخر أعجب الاشياء ما لم ير مثله وقال عمرو بن العاص أعجب الاشياء ان المبطل يغلب المحق يعرّض بعلىّ عليه السلام ومعاوية فقال معاوية بل اعجب الاشياء ان يعطى الانسان ما لا يستحق اذا كان لا يخاف يعرّض بعمرو ومصر فنفث كل منهما بما فى صدره من الآخر

وعلم ں معاويه كان مرں دول وسائس مم وری ممالك سكر ى لدوله
سباء م سمه حد الىها ٠ ا ىه ٠ ںمں وصع حسم للملولـ ورمع حرب
ں ىد سه ووصع المصو ٥ ل صلى لملك ٠ لد مه ا ى لحامع ٠ رد
٠ ں الناس ٠ دلك لحوفه ممـا حـ ى لأ ٠٠ لمؤ ں عليه لسلام ٥صار ىصلى
٠ مرد ى ٠ مصوره ماد ىحد مام د ں على سه ىاسـه ٯ ٠هه وں
٥ ں وصع له ىد ٠ سوں لا حا ر ىـ عه

كلام ى ٠ مى له د

له ىد ں عمل حسں مصر ں ى سده ما ں ماد ٠ صار صاحب حه
لمسع ى مكان ٥ ا وىد مں مرسه رکب ه ٥ مرسا مسه محاً وكدلك
معل ں لمكان لآحر ٠ لآحر حى ىصل لد عه وىما معناه للعوى
ماله ىا هو ا ع ٠ ىلا وص ں له ىه الى كاه مدره ها ىں ىرىد وىرىد
هى هـد لمد ٠ مال لصاحب علا لدں عصا ملك ى حهان كـساى ٥ ں
حمله لاسـا وصعه ٥ ىد كل مكان صلىا حعص لامور وىـ عه ٠ صور
لاحا ٠٠ حـدد ں لاحور ٠ ا رں ه ىد مائده سوى عـه ٠ صور
لاحار مأىا حعص لامور ماى ىعلى له ىدىك

ومـا حرع معاوىه رصى لله ه مں مه الملك د ٥ ں حام وهد دوں
مىر ٠ ں كا لدو وں ٥ ں لـسـه حرىه ىه ں وسعه دوله ى العباس
مأسعط و ٠٠ اه ں ىكوں دو ں ٠ ىه ٥ ں ماد مىد وقع ٠ ں حدمه ىاصر
٠ ـں لامور حصه الوصع ى دلك له و ں ٥ ىدں ىسحه مىه وحرىه
ىحط وحم سىع كما معل ى هد ا ىاں ىكىب العصاه وحم عامه صاحب
دلك لدو ں

وكان الذى حمل معاوية رضى الله عنه على اختراع هذا الديوان أنه أحال رجلا على زياد بن أبيه أمير العراق بمائة ألف درهم فمضى ذلك الرجل وقرأ الكتاب وكانت تواقيعهم تصدر غير مختومة فجعل المائة مائتين فلما رفع زياد حسابه الى معاوية رضى الله عنه أنكر معاوية ذلك وقال ما أحلته إلا بمائة ألف ثم استعادها منه ووضع ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه مختومة لا يدرى أحد ما فيها ولا يتمكن أحد من تغييرها

وكان معاوية رضى الله عنه مصروف الهمة الى تدبير أمر الدنيا يهون عليه كل شىء اذا انتظم أمر الملك فانظر الى وصف عبد الملك بن مروان له فانه لخط فيه هذا المعنى * قالوا إن عبد الملك بن مروان مر بقبر معاوية رضى الله عنه فترحم عليه فقال له رجل قبر من هذا يا أمير المؤمنين قال قبر رجل كان والله فيما علمته ينطق عن علم . ويسكت عن حلم . كان اذا أعطى أغنى . واذا حارب أفنى . ووصفه أيضاً عبد الله بن العباس وكان من النقاد فقال ما رأيت أليق من أعطاف معاوية بالرئاسة والملك * وقال له بعض بنى أمية والله لو قدرت أن تستكثر بالزنج لاستكثرت بهم لينتظم لك أمر الملك

وكان معاوية رضى الله عنه نهماً شرهاً عند الطعام على كرمه وسماحته قالوا إنه كان يأكل فى كل يوم خمس أكلات آخرهن أغلظهن ثم يقول يا غلام ارفع فوالله ما شبعت ولكن مللت * وروى أنه أصلح له عجل مشوى فأكل معه دستاً من الخبز السميد واربع فراخ وجدياً حاراً وآخر بارداً سوى الالوان ووضع بين يديه مائة رطل من الباقلى الرطب فأتى عليه * وأما شحه على الأكل فان ابن أبى بكرة دخل عليه ومعه ابنه فجعل ابنه يأكل أكلا مفرطاً ومعاوية يلحظه وفطن ابن ابى بكرة لحنق معاوية واراد

أن ينهى ابنه عن كثرة الأكل فلم ينته له ذلك وخرجا من عند معاوية رضى الله عنه فى الغد فحضر الابن وليس معه أبوه فقال له معاوية ما فعل أبوك قال يا أمير المؤمنين اتخم فمات فقال قد علمت أن تلك الأكلة ما كانت تتركه حتى تهيضه . وههنا موضع حكاية حسنة تدل على كرم ومروءة وبيانه كان بعض الوزراء مشغوفاً بالأكل ويحب كل من يأكل معه وكل من كان أكثر أكلا كان أقرب الى قلبه فاتفق انه قصد بعض الأكابر من العلويين وكل عليه وجوهاً من خراج وضمان وغير ذلك وطالبه بها فوكل عليه فى حبس داره أعنى دار الوزير فى بعض الايام مد السماط بين يدى الوزير فقال العلوى للموكلين به إنى جائع فهل تأذنون أن أخرج الى السماط وأهجم معى فآكل وأعود الى هذا الموضع وكان العلوى قد فطن لطبع الوزير فى ذلك فاستحيوا منه وأذنوا له فى ذلك فخرج وجلس فى أخريات السماط وجعل يأكل بنهم فلحظه الوزير وهو مقبل على الأكل فاستدناه ورفعه الى صدر المجلس وقدم اليه من أطايب ذلك الطعام وكلما بالغ فى الأكل زادت بشاشة الوزير وطلاقته فلما رفع الطعام استدعى الوزير كانوناً فيه نار وأحضر الحساب الذى وقع على الرجل به وقال أيها السيد قد أرحتك الله من هذا المال وأنت فى حل منه ووالله وحق جدك صلوات الله عليه ليس عندى بهذا الحساب ولا فى الديوان به غير هذه النسخة ثم ألقاها فى الكانون فاحترقت وأفرج عنه وأذن له فى الرواح الى منزله * ومما عظم على الناس عامة وعلى بنى أمية خاصة قصة الاستلحاق وهى ان معاوية رضى الله عنه استلحق زياد بن أبيه وجعله أخا له ليستكثر به ويتقوى برأيه ودهائه

﴿ شرح كيفية الاستلحاق على وجه الاختصار ﴾

كانت سمية أم زياد بغياً من بغايا العرب ولما زوج اسمه عبيد فادعى أن أبا سفيان وهو أبو معاوية نزل بخمار فقال له ابو مريم فطلب ابو سفيان منه بغياً فقال له ابو مريم هل لك في سمية وكان ابو سفيان يعرفها فقال هاتها على طول ثديها ودفر بطنها (والعهر الصنان ونتن الريح) فأتاه بها فوقع ابو سفيان عليها فعلقت منه بزياد ثم وضعته على فراش زوجها عبيد فلما نشأ زياد تأدب وبرع وتقلب في الاعمال فولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عملا فاحسن القيام به فحضر يوماً مجلس عمر وفيه اكابر الصحابة وأبو سفيان في جملة القوم فخطب زياد خطبة بليغة لم يسمعوا مثلها فقال عمرو بن العاص لله در هذا الغلام لو كان ابوه من قريش لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان والله إني لاعرف أباه الذي وضعه في رحم أمه وعني نفسه فقال له أمير المؤمنين علي عليه السلام يا ابا سفيان أسكت فانك لتعلم أن عمر لو سمع هذا القول منك لكان اليك سريعاً فلما ولي علي عليه السلام الخلافة استعمل زيادا على فارس فضبطها وحمى قلاعها فاتصل خبره بمعاوية رضي الله عنه فساءه أن يكون من أصحاب علي عليه السلام رجل مثل زياد وأراد ه لنفسه فكتب اليه كتاباً يهدده ويعرض له بولادة أبي سفيان ويقول له انت أخي فلما قرئ زياد اليه وبلغ الخبر امير المؤمنين علياً عليه السلام فكتب الى زياد إني وليتك ما وليتك وانا أراك له اهلا وقد كانت من أبي سفيان فلتة من أماني الباطل وكذب النفس لا توجب لك ميراثا ولا تحل له نسباً وإن معاوية رضي الله عنه يأتي الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام . فلما قتل علي عليه السلام جد معاوية في استصفاء مودة زياد واستمالته وترغيبه الى الانخراط في زمرته فنشأ بينهما حديث

ولاده ابي سفيان واتمما على الاستلحاق وحضر شهود مجلس معاوية رضي الله عنه فشهدوا بان زيادا ولد ابي سفيان فمن جملة الشهود ابو مريم الخمار الذي أحضر سمية الى ابي سفيان وكان هذا ابو مريم قد أسلم وحسن اسلامه فقال له ما تشهد يا ابا مريم فقال أشهد أن ابا سفيان حضر عندي وطلب مني بغيا فقلت له ليس عندي الا سمية فقال ائتني بها على قذرها ووضرها فأتيته بها فخلا معها ثم خرجت من عنده وانها لتقطر منيا فقال له زياد مهلا يا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فاستلحقه معاوية رضي الله عنه قالوا وكان هذا الاستلحاق أول ما ردت به احكام الشريعة علانية فان رسول الله صلوات الله عليه قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر وقد عيب قوم لمعاوية أن قالوا ما جاز استلحاق معاوية زيادا لان انكحة الجاهلية كانت أنواعا فمن جملتها أن الجماعة كانوا يأتون البغايا ومن ولدت لاب الذي ألحقته الولد عن شاءت منهم والقول في ذلك قولها فلما جاء الاسلام حرم هذا النكاح الا انه اقر كل ولد على نسبه الى الاب الذي عرف به من أي نكاح كان من انكحتهم ولم يفرق الاسلام بين شيء من ذلك

قال آخرون ينقض هذا لكن معاوية رضي الله عنه توهم أن ذلك على هذه الصورة ولم يفرق بين ما يستلحق في الجاهلية والاسلام فان زيادا لم يكن يعرف في الجاهلية بابي سفيان وانما كان منسوبا الى عبيد فكان يقال زياد بن عبيد و من الصور بن يونس وقال الشاعر مشيرا الى هذه القصة

(وافر)

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زاني

فأصبح ن رحمك من زياد كريم الفعل بين ولد الانان

(الرحم القرابة) ثم صار زياد من رجال معاويه وأعضاده فولاه البصره وخراسان وسجستان وأضاف اليه الهند والبحرين وعمان وأضاف اليه فى آخر الأمر الكوفه وكتب زياد على كتبه من زياد بن ابى سفيان وكانوا قبل ذلك يقولون له زياد بن عبيد وتاره زياد بن سميه ومن يتحرى الصدق يقول زياد بن ابيه وكان زياد أحد الدهاة عظيم السياسه قوى الهمه صحيح العقل سديداً شهماً فطناً ملماً * وكانت وفاة معاويه رضى الله عنه فى سنه ستين من الهجره * ولما أدركته الوفاه أوصى ابنه يزيد وصيه تدل على عقله ولبه وخبرته بالامور ومعرفته بالرجال فلم يعمل يزيد بشئ منها وقد أثبتنا هاهنا لحسنها وسدادها

قالوا لما مرض معاويه رضى الله عنه مرضه الذى مات فيه دعى ابنه يزيد فقال له يا بنى إنى قد كفيتك الشد والترحال ووطأت لك الأمور وذللت لك الأعداء وأخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك مالم يجمعه أحد فانظر أهل الحجاز فانهم أصلك فأكرم من قدم عليك منهم وتعهد من غاب وانظر أهل العراق فان سألوك ان تعزل كل يوم عاملا فافعل فان عزل عامل أيسر من أن تشهر مائه سيف وانظر أهل الشأم وليكونوا بطانتك فان رابك من عدوك شئ فانتصر بهم فاذا أصبتهم فاردد أهل الشأم الى بلادهم فانهم إن أقاموا بها تغيرت أخلاقهم وإنى لست أخاف عليك أن ينازعك فى هذا الامر إلا أربعه من قريش الحسين بن علىّ وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنهما فأما ابن عمر فرجل قد وقذته العباده واذا لم يبق أحد غيره بايعك وأما الحسين بن علىّ

فهو رجل خفيف ولى تركه أهل العراق حتى تخرجه فان خرج وظفرت به فاصفح عنه فان له رحما ماسة وحقا عظيما وقرابة من محمد صلوات الله عليه وسلامه وأما ابن أبي بكر فان رأى أصحابه صنعوا شيأ صنع مثله ليس له همة إلا في النساء واللهو وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد ويروغ روغان الثعلب فان أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فان هو وثب عليك فظفرت به فقطعه إربا إربا واحقن دماء قومك ما استطعت

وفي هذه الوصية دليل على ما سبق من وفور رغبته في تدبير الملك وشدة كلفه بالرئاسة

ثم ملك بعده ابنه يزيد فكان موفور الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء والشعر وكان فصيحا كريما شاعرا مفلقا قالوا بدئ الشعر بملك وختم بملك إشارة الى امرئ القيس واليه في شعره (بسيط)

جاءت بوجه كأن البدر برقعه	نورا على مائس كالغصن معتدل
إحدى يديها تعاطيني مشعشعة	كخدها عصفرته صبغة الخجل
ثم استبدت وقالت وهي عالمة	بما تقول وشمس الراح لم تمل
لا ترحلن فما أبقيت من جلدي	ما أستطيع به توديع مرتحل
ولا من النوم ما ألقى الخيال به	ولا من الدمع ما أبكي على الطلل

كانت ولايته على أصح القولين ثلاث سنين وستة أشهر ففي السنة الأولى قتل الحسين بن علي عليهما السلام وفي السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ثلاثة أيام وفي السنة الثالثة غزا الكعبة

فلنبدأ بشرح قتل الحسين عليه السلام

﴿ شرح كيفية الحال في ذلك على وجه الاختصار ﴾

هذه قصة لا أحب بسط القول فيها استفظاعاً لها واستبشاعاً فإنها قصة
لم يجر في الاسلام أعظم فحشاً منها ولعمري إنّ قتل أمير المؤمنين عليه السلام
هو الطامة الكبرى ولكن هذه القصة جرى فيها من القتل الشنيع والسبي
أو التمثيل ما تقشعر له الجلود وكففت أيضاً عن بسط القول فيها لشهرتها فإنها
أشهر الطامات فلعن الله كل من باشرها وأمر بها ورضي بشيء منها ولا قبل
الله منه صرفاً ولا عدلاً وجعله من (الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في
الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) وجملة ما جرى في ذلك أن
يزيد لعنه الله لما بويع لم يكن له هم إلا تحصيل بيعة الحسين رضي الله عنه
والنفر الذين حذره أبوه منهم فأرسل إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو
يومئذ أمير المدينة يأمره بأخذ البيعة عليهم فاستدعاهم فحضر الحسين عليه
السلام عنده فأخبره بموت معاوية رضي الله عنه ودعاه إلى البيعة فقال له
الحسين عليه السلام مثلي لا يبايع سراً ولكن إذا جمع الناس نظرنا ونظرت
ثم خرج الحسين عليه السلام من عنده وجمع أصحابه وخرج من المدينة
قاصداً مكة متأبياً من بيعة يزيد آبياً من الانخراط في زمرة رعيته فلما استقر
بمكة اتصل بأهل الكوفة أنه أبى من بيعة يزيد وكانوا يكرهون بني أمية
خصوصاً يزيد لخبث سريرته ومجاهرته بالمعاصي واشتهاره بالقبائح فراسلوا
الحسين عليه السلام وكتبوا إليه الكتب يدعونه إلى قدوم الكوفة ويبذلون
له النصرة على بني أمية واجتمعوا وتحالفوا على ذلك وتابعوا الكتب إليه في
هذا المعنى فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه
فلما وصل إلى الكوفة فشا الخبر إلى عبيد الله بن زياد لعنه الله وأحله دار الخزي
وكان يزيد قد أمره على الكوفة حين بلغه مراسلة أهلها الحسين عليه السلام

وكان مسلم قد التجأ الى دار هانئ بن عروة رضي الله عنه وكان من أشراف اهل الكوفة فاستدعاه عبد الله بن زياد وطلبه منه فأبى فضرب وجهه بالقضيب فهشمه ثم أحضر مسلم بن عقيل رضي الله عنهما فضربت عنقه فوق القصر فهوى رأسه وأتبع جثته رأسه • وأما هانئ فأخرج الى السوق فضربت عنقه • وفي ذلك يقول الفرزدق (طويل)

وان كنت لا تدرين ما الموت فانظري الى هانئ في السوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوى من طمار قتيل

ثم إن الحسين عليه السلام خرج من مكة متوجهاً الى الكوفة وهو لا يعلم بحال مسلم فلما قرب من الكوفة علم بالحال ولقيه ناس فأخبروه الخبر وحذروه فلم يرجع وصمم على الوصول الى الكوفة لأمر هو أعلم به من الناس فأرسل ابن زياد اليه عسكراً أميره عمر بن سعد بن ابي وقاص فقاتل الحسين عليه السلام وأصحابه حين التقى الجمعان قتالا لم تشاهد احد مثله حتى فني أصحابه وبقي هو عليه السلام وخاصته فقاتلوا أشد قتال رآه الناس ثم قتل الحسين عليه السلام قتلة شنيعة ولقد ظهر منه عليه السلام من الصبر والاحتساب والشجاعة والورع والخبرة التامة بآداب الحرب والبلاغة ومن أهله وأصحابه رضي الله عنهم من النصرة له والمواساة بالنفس وكراهة الحياة بعده والمقاتلة بين يديه عن نصرة ما لم تشاهد مثله ووقع النهب والسبي في عسكره وذراريه عليهم السلام • ثم حمل النساء ورأسه صلوات الله عليه الى يزيد بن معاوية بدمشق فجعل ينكت ثناياه الحسين عليه السلام بالقضيب ثم ردّ نساءه الى المدينة

وكان قتل الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين

(شرح كلمة وقعة الحرة)

ثم نبه على قتال أهل مدينة سيدنا رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وهي وقعة الحرة بالحاء المهملة المفتوحة غير معجمة ومبدأ الامر فيها أن أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد وخلعوه وحصروا من كان بها من بني أمية وأخافوهم فأرسل بنو أمية رسولا الى يزيد تعلمه بحالهم فلما وصل الرسول الى يزيد وأخبره بذلك تمثل (طويل)

لقد بدلوا الحلم الذي في سجيتي ... فبدلت قومي غلظة بليان

ثم ندب اليها عمرو بن سعيد فأحجم عنها وأرسل يقول له إني قد ضبطت لك الامور والبلاد وأما الآن إذ صارت دماء قريش تهراق بالصعيد فلا أحب أن أتولى ذلك فندب عبيد الله بن زياد لذلك فاعتذر وقال والله لا أجمعهما للفاسق أقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغزو مدينته والكعبة فندب اليها مسلم بن عقبة المري وكان شيخاً كبيراً مريضاً الا أنه كان جلد حازم العزم فشاطرهم وقيل ان أباه قال له ان خالفك أهل المدينة فارمهم بمسلم بن عقبة فوجه اليها مسلم بن عقبة وهو مريض فحاصرها من جهة الحرة وهو موضع بظاهر المدينة فنصب لمسلم بن عقبة كرسي بين الصفين وجلس يحرض أصحابه على القتال حتى فتحها وقتل في ذلك الوقعة جماعة من أعيانها فقال بن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله خاف فأخذ سيفه وخرج الى كهف هناك ليدخل اليه ويعتصم به فتبعه بعض أهل الشأم فخافه أبو سعيد وسل سيفه عليه ليروعه فسل الآخر سيفه فلما وصل الى أبي سعيد قال له (لئن بسطت يدك الي لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك) فقال له الشامي من أنت

قال أنا ابو سعيد قال صاحب رسول الله قال ثم قعى وبركه ثم أباح مسلم ابن عقبة المدينة ثلاثا فقتل ونهب وسبى فقيل إن الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان اذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها ويقول لعلها قد افتضت في وقعة الحرة وسمي مسلم بن عقبة مسرفا

* شرح كيفية غزوة الكعبة *

ثم بلغ يزيد غدرو الكعبة فأمر مسلم بن عقبة بقصدها وغزوها بعد فراغه من أمر المدينة فتوجه مسلم اليها وكان عبد الله بن الزبير بها وقد دعا الى نفسه وتبعه أهل مكة فمات مسلم في الطريق واستخلف على الجيش رجلا كان يزيد أوصاه بتأميره إن هلك فمضى بالجيش الى مكة وحصرها وبرز ابن الزبير اليه في أهل مكة ونشبت الحرب وقال رجز اهل الشام

(رجز)

خطارة مثل الفنيق المزبد ترمي بها أعواد هذا المسجد

وجاء في ذلك اذ ورد نعي يزيد فرجعوا

(ثم ملك بعده ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية) كان صبيا ضعيفا ملك اربعين يوما وقيل ثلاثة أشهر ثم قال للناس يا قوم ضعفت عن أمركم فالتمست لكم مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم أجد فالتمست ستة مثل أهل الشورى فلم اجدهم فولوا أمركم فاختاروا له من أحببتم فما كنت لأتزودها ميتا وما استمتعت بها حيا ثم دخل داره وتغيب اياما ومات وقيل مات مسموما وليس له من الاخبار ما تؤثر

(ثم ملك بعده مروان بن الحكم) هو مروان بن الحكم بن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

ولما مات معاويه بن يزيد بن معاويه ماج الناس فأراد اهل الشأم بنى أميه وأراد غيرهم عبد الله بن الزبير ثم غلب من رأيه فى بنى أميه لكنهم اختلفوا فيمن يولونه فمال ناس منهم الى خالد بن يزيد بن معاويه وكان فصيحاً متكلماً وقيل انه أصاب عمل الكيمياء وكان صبياً ومال ناس الى مروان ابن الحكم لسنه وشجوخته وكرهوا خالدا لصبوته ثم بايعوا مروان وقاد الجنود وفتح مصر وكان يقال له ابن الطريد وذلك لان أباه الحكم طرده رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينه

فلما ولى عثمان بن عفان رضى الله عنه رده اليه وانكر المسلمون ذلك منه فاحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وعده رده وروى أحاديث و جاء فى لعنه الحكم بن العاص ولعنة من فى صلبه وضعفها قوم وكان من أراد ذم مروان وعيبه يقول له يا ابن الزرقاء قالوا وكانت الزرقاء جدتهم من ذوات الرايات التى يستدل بها على بيوت البغايا فى الجاهليه فلذلك كانوا يذمون به وكان مروان حين بويع قد تزوج أم خالد زوجة يزيد بن معاويه ليصغر بذلك شأن خالد فيسقط عن درجة الخلافه فدخل خالد يوما على مروان فقال له مروان يا ابن الرطبه ونسبه الى الحمق ليصغر أمره عند اهل الشأم فخجل خالد ودخل على أمه وأخبرها بما قال له مروان فقالت لا يعلمن احد أنك أعلمتنى وانا أكفيك ثم ان مروان نام عندها ليله فوضعت على وجهه وسادة ولم ترفعها حتى مات واراد ابنه عبد الملك أن يقتلها فقيل له يتحدث الناس أن اباك قتلته امرأة فتركها وكانت ولايه مروان تسعة اشهر وبعض شهر وذلك تأويل قول امير المؤمنين ان له إمرة كلعقة الكلب أنفه ✲ وفى ذلك الايام أحدثت الشيعة ثأر الحسين عليه السلام

﴿ شرح كيفية ذلك على وجه الاختصار ﴾

لما هدأت الفتنة بعد قتل الحسين عليه السلام وهلاك يزيد بن معاوية اجتمع ناس من أهل الكوفة وندموا على خذلانهم الحسين عليه السلام ومقاتلتهم له ونصرتهم لعدوه بعد ارسالهم اليه واستدعائهم منه القدوم عليهم وبذلهم له النصر وتابوا من ذلك فسموا التوابين ثم انهم تحالفوا على بذل نفوسهم وأموالهم في الطلب بثأره ومقاتلة قتلته واقرار الحق مقره في رجل من آل بيت نبيهم صلوات الله عليه وسلامه وأمروا عليهم رجلا منهم يقال له سليمان بن صرد رضي الله عنه فكانت الشيعة بالامصار تدبهم الى ذلك فأجابوه بالمواعدة والمسارعة ثم ظهر في تلك الايام المختار بن عبيد الثقفي وكان رجلا شريفاً في نفسه عالي الهمة كريماً فدعا الى محمد بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو المعروف بابن الحنفية وكانت تلك الايام أيام فتن وذلك ان مروان كان خليفة بالشأم ومصر مبايعاً جالساً على سرير الملك وعبد الله بن الزبير خليفة بالحجاز والبصرة مبايع معه الجنود والسلاح والمختار بن ابي عبيد بالكوفة ومعه الناس والجنود والسلاح وقد أخرج أمير الكوفة عنها وصار هو اميرها يدعو الى محمد بن الحنفية

ثم ان المختار قويت شوكته فتتبع قتلة الحسين فضرب عنق عمر بن سعد وابنه وقال هذا بالحسين وابنه عليّ والله لو قتلت به ثلثي قريش ماوفوا أنملة من انامله ثم ان مروان أرسل عبيد الله بن زياد في جيش كثيف فأرسل اليه المختار ابراهيم بن مالك الأشتر فقتله بنواحي الموصل وأرسل برأسه الى المختار فألقي في القصر فيقال ان حية دقيقة تخللت رؤوس القتلى ودخلت في فم عبيد الله فخرجت من منخره ثم دخلت في منخره فخرجت من فيه

فغلب ذلك مراراً ثم ان عبد الله بن الزبير أرسل أخاه مصعبا وكان شجاعا الى الحجاز فقتله * ومات مروان بن الحكم في سنة خمس وستين وتولى ابنه عبد الملك

(ثم ملك ابنه عبد الملك بن مروان) كان عبد الملك لبيباً عاقلا عالماً ملكا جباراً قوى الهيبة شديد السياسة حسن التدبير للدنيا في ايامه نقل الديوان من الفارسية الى العربية واخترعت سياقة المستوفين وهو أول من نهى الرعية عن كثرة الحديث بحضرة الخلفاء ومراجعتهم وكانوا يجترؤون عليهم وقد تقدم شرح ذلك وهو الذي سلط الحجاج بن يوسف على الناس وغزا الكعبة وقتل عبد الله بن الزبير واخاه مصعبا من قبله

ومن طريف ماوقع في ذلك أن عبد الملك لما أرسل يزيد بن معاوية الجيش لقتال أهل المدينة وغزو الكعبة نغص عبد الملك من ذلك غاية الاغتياظ وقال ليت السماء انطبقت على الارض فلما صار خليفة فعل ذلك وأشد منه فانه أرسل الحجاج لحصار بن الزبير وغزو مكة وكان عبد الملك قبل الخلافة احد فقهاء المدينة وكان يسمى حمامة المسجد لمداومته تلاوة القرآن فلما مات أبوه وبشر بالخلافة أطبق المصحف وقال هذا فراق بيني وبينك وتصدى لأمور الدنيا وقيل إنه قال يوما لسعيد بن المسيب ياسعيد قد صرت أفعل الخير فلا أسر به وأصنع الشر فلا أساء به فقال له سعيد بن المسيب الآن تكامل فيك موت القلب * في أيامه قتل عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب أمير العراق

فأما عبد الله بن الزبير فانه كان قد اعتصم بمكة وبايعه أهل الحجاز وأهل العراق وكان عظيم الشح فلذلك لم يتم أمره فارسل الحجاج اليه فحاصره

عكة ورمى الكعبة بالمنجنيق وحاربه وخذله أهله وأصحابه فدخل على أمه وقال لها يا أمه قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق معي غير نفر يسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت له أنت أعلم بنفسك ان كنت تعلم أنك على حق فامض لشأنك ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن معك وكم خلودك في الدنيا القتل أحسن فقال يا أمه انى أخاف ان قتلوني أن يمثلوا بي فقالت يا بني ان الشاة لا تتضرر بسلخها بعد ذبحها وما زالت تحرضه بهذا وأشباهه حتى خرج فصمم على المحاربة فقتل وأرسل الحجاج بالبشارة الى عبد الملك وكان ذلك سنة ثلاث وسبعين

وأما أخوه مصعب بن الزبير أمير العراق فكان شجاعا جميلا جليل الصدر ممدحا تزوج سكينة بنت الحسين عليه السلام وعائشة بنت طلحة وجمعهما في داره وكانتا من أعظم النساء قدرا ومالا وجمالا فقال عبد الملك يوما لجلسائه من أشجع الناس قالوا أنت قال لا ولكن أشجع الناس من جمع في داره بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين يعني مصعبا ثم تجهز عبد الملك لقتال مصعب وودع زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية فلما ودعها بكت فبكى جواريها لبكائها فقال عبد الملك قاتل الله كثير عزة كأنه شاهد هذا حين قال (طويل)

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه	حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهي عاقه	بكت فبكى مما شجاها قطينها

ثم سار الى حرب مصعب فالتقيا بأرض دجيل فاقتتلوا قتالا شديدا

وقتل مصعب وذلك في سنة إحدى وسبعين

وكان عبد الملك أديباً ذكياً فاضلا قال الشعبي ما ذاكرت أحداً الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك بن مروان فاني ما ذاكرته حديثاً الا زادني فيه ولا شعراً الا زادني فيه

وقيل له عبد الملك لقد أسرع اليك الشيب قال شيبني صعود المنابر والخوف من اللحن وكان اللحن عندهم في غاية القبح ومن آرائه ما أشار به وهو صبي على مسلم بن عقبة المري حين أرسله يزيد بن معاوية لقتال أهل المدينة فوصلها وسوّر أهلها عليها خنادق وثبتوا ثم خرجوا فلما لقيهم مسلم بن عقبة استشار عبد الملك بن مروان وكان حدثاً فقال له الرأي أن تسير عن منزلك فاذا انتهيت الى ذي نخلة نزلت فاستظل الناس في ظله وأكلوا من صفوه فاذا أصبحت مضيت وتركت المدينة على اليسار ثم درت بها حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقاً ثم تستقبل القوم فاذا استقبلتهم وقد طلعت الشمس عليهم طلعت بين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم بل تصيب أهل المدينة أذاها ويرون من إئتلاف بيضكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم ما لا ترونه أنتم ما داموا مغربين ثم قاتلهم واستعن بالله * وقال عبد الملك يوماً لجلسائه ما تقولون في قول القائل (طويل)

أهيم بدعد ما حييت فان أمت ... فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي

قالوا معنى حسن قال هذا ميت كثير الفضول ليس هذا معنى حسناً قالوا صدقت قال فكيف كان ينبغي أن يقول فقال رجل منهم كان ينبغي أن يقول (طويل)

أهيم بدعد ما حييت فان أمت ... أوكل بدعد من يهيم بها بعدي

قال عبد الملك هذا من ذنوب قالوا فكيف ينبغي أن يكون قال كان ينبغي أن يقول (طويل)

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فلا صلحت دعد لذي خله بعدي

قالوا أنت يا أمير المؤمنين اشعر الثلاثه ولما اشتد مرضه قال اصعدوني على شرف فأصعدوه الى موضع عال فجعل يشم الهواء ثم قال يا دنيا ما أطيبك إن طويلك لقصير وان كثيرك لحقير وان كنا منك لفي غرور وتمثل بهذين البيتين (خفيف)

. إن تناقش يكن نقاشك يارب عذاباً لا طوق لي بالعذاب

او تجاوز فأنت رب صفوح عن مسيء ذنوبه كالتراب

ولما مات صلى عليه ابنه الوليد فتمثل هشام ابنه الآخر

(طويل)

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال له الوليد اسكت فأنت تتكلم بلسان شيطان الا قلت كما قال الآخر (طويل)

اذا سيد منا مضى قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول

وأوصى عبد الملك بن مروان اخاه عبد العزيز حين مضى الى مصر اميراً عليها فقال له ابسط بشرك وألن كنفك وآثر الرفق في الامور فانه ابلغ بك وانظر حاجبك فليكن من خير اهلك فانه وجهك ولسانك ولا يقفن أحد ببابك الا اعلمك مكانه لتكون انت الذي تأذن له او ترده واذا خرجت الى مجلسك فابدأ بالسلام يأنسوا بك وتثبت في قلوبهم محبتك واذا انتهى اليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاوره فانها تفتح مغاليق الامور واذا

سخط على احد فأخر عقوبته فانك على العقوبة بعد التوقف عنه اقدر منك على ردها بعد امضائها ٭ وكانت وفاته في سنة ست وثمانين

٭(ثم ملك ابنه الوليد)٭

كان الوليد من افضل خلفائهم سيرة عند اهل الشأم بنى الجوامع جامع دمشق وجامع المدينة على ساكنها افضل السلام والمسجد الاقصى واعطى المجذمين ومنعهم من سؤال الناس واعطى كلّ مقعد خادماً وكلّ ضرير قائداً وفتح في خلافته فتوحاً عظاماً ٭ منها الاندلس وكاشغر والهند وكان شديد الكلف بالعمارات والأبنية واتخاذ المصانع والضياع وكان الناس يلتقون في زمانه فيسئل بعضهم بعضاً عن الابنية والعمارات ٭ وكان أخوه سليمان يحب الطعام والنكاح فكان الناس في خلافته اذا التقوا سأل بعضهم بعضاً عن الطعام والنكاح وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة وتلاوة فكان الناس اذ التقوا في ايامه سأل بعضهم بعضاً ما وردك الليلة وكم تحفظ من القرآن وكم تصوم من الشهر

وهذا من خواصّ الملك التى تقدم شرحها وكان لحاناً لا يحسن النحو فدخل عليه يوماً بعض الاشراف فعرّف اليه قرابته بينه وبينه فقال له الوليد من ختنك وفتح النون فظن الاعرابيّ أنه يسئل عن الختان فقال بعض الاطباء فقال له سليمان أخوه انما يقول لك أمير المؤمنين من ختنك وضم سليمان النون فقال الاعرابيّ نعم ختنى فلان وذكر قرابته

وعاتبه أبوه عبد الملك على اللحن وقال له انه لا يلي العرب الا من يحسن كلامهم فدخل الوليد بيتاً وأخذ معه جماعة من علماء النحو وأقام مدة يشتغل فيه فخرج أجهل مما كان يوم دخوله فلما بلغ ذلك عبد الملك قال قد أعذر

(ثم ملك بعده أخوه سليمان بن عبد الملك)

كانت أيامه ذات فتوح متواليه وكان غيوراً شديد الغيره وكان نهماً فقال ابن الطباخ كان يأتيه بالسفود فلا يصبر حتى يبرد فيأخذه بكمه وكان فصيحاً بليغاً

(وهاهنا موضع حكايه)

(قال الأصمعي) كنت مرة أفاوض هرون الرشيد فجرى حديث أصحاب النهم فقلت كان سليمان بن عبد الملك شديد النهم وكان اذا أتاه الطباخ بسفود عليه فأخذه بكمه فقال الرشيد ما أعلمك يا أصمعي بأخبار الناس لقد اعترضت بعد أيام جباب سليمان فوجدت أثر الدهن في أكمامها فحسبته طيباً قال الأصمعي ثم أمر لي بجبة منها وقيل ان سليمان لبس يوماً حلة خضراء وعمامة خضراء ونظر في المرآة فقال انا الملك الفتى ثم نظرت اليه جاريه من جواريه فقال ما ترين فقالت (خفيف)

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للانسان

ليس فيما علمته فيك عيب ... كان في الناس غير انك فان

فلم تمض الا جمعة واحدة حتى مات وكانت وفاته في سنة تسع وتسعين

(ثم ملك بعده عمر بن عبد العزيز بن مروان)

لما مرض سليمان بن عبد الملك مرضه الذي مات فيها عزم على ان يبايع لبعض أولاده فنهاه بعض أصحابه وقال له يا أمير المؤمنين انه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على الناس رجلا صالحاً فقال سليمان أستخير الله وأفعل ثم استشاره في عمر بن عبد العزيز فأشار عليه به وأثنى عليه خيراً فكتب سليمان عهده الى عمر بن عبد العزيز وختمه ودعا أهل بيته وقال بايعوا لمن قد عهدت اليه في هذا الكتاب ولم يعلمهم به فبايعوا ثم لما مات جمعهم ذلك الرجل الذي أشار عليه بعمر بن

عبد العزيز وقد كتم موت سليمان عنهم وقال لهم بايعوا مرة أخرى فبايعوا فلما رأى انه قد أحكم الامر أعلمهم بموت سليمان

وكان عمر بن عبد العزيز من خيار الخلفاء عالماً زاهداً عابداً تقياً ورعا سار سيرة مرضية ومضى حميداً هو الذى قطع السب عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه وكان بنو أمية تسبونه على المنابر قال عمر بن عبد العزيز كان أبى عبد العزيز بن مروان يمر فى خطبته يهذها هذا حتى اذا وصل الى ذكر أمير المؤمنين على عليه السلام تتعتع قال فقلت له ذلك فقال يا بنى أدركت ذلك منى قلت نعم قال يا بنى اعلم أن العوام لو عرفوا من على بن أبى طالب ما نعرفه تفرقوا عنا الى ولده فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة قطع السب وجعل مكانه قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) فمدحه الشعراء على ذلك فممن مدحه على ذلك كثير عزة بقوله (طويل)

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف بريّاً ولم تتبع مقالة مجرم

وقلت فصدّقت الذى قلت بالذى فعلت فأضحى راضياً كلّ مسلم

وقد لبست لبس الهلوك ثيابها وأبدت لك الدنيا بكف ومعصم

وتومض أحياناً بعين مريضة وتبسم عن مثل الجمان المنظم

فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما سقتك مدوفاً من سمام وعلقم

وقد كنت منها فى جبال أرومها ومن بحرها فى زاخر الموج مفعم

ورثاه الشريف الرضي الموسوى بقوله (خفيف)

يا ابن عبد العزيز لو بكت العيـ ـن فتى من أمية لبكيتك

أنت انقذتنا من السب والشتـ ـم فلو امكن الجزاء جزيتك

عمر أني أقول إنك قد طبت وان لم تطب ولم يزك منك
دير سمعان لا عدمك الغوادي خير ميت من آل مروان ميتك

والبه الاشاره بقولهم الأشج والناقص أعدلا بني مروان
وسيجيء ذكر الناقص فيما بعد ان شاء الله تعالى * وكانت وفاته بدير سمعان في سنة احدى ومائة

ثم ملك بعده يزيد بن عبد الملك *

كان جالسا يوما فغنت جاريتان له اسم احداهما سلامه واسم الاخرى حبابه فقطع مغنيها زمانه فالواقف يوما حبابه (كامل)

بين التراقي والهاة حراره ما تطمئن ولا تسوغ فتبرد

فأهوى يزيد بن عبد الملك ليطير فقالت يا امير المؤمنين لنا فيك حاجه فقال والله لأطيرن قالت فعلى من تدع لامه قال عليك وقبل يدها فخرج بعض خدمه وهو يقول سخنت عينك فما أسخفك فانظر الى هذا والى أبيه عبد الملك حين خرج لي قتال مصعب بن الزبير وصدته عاتكه بنت يزيد بن معاويه فلم يلتفت اليها وتشدد بذلك النفس وقد سبق شرح ذلك في ترجمه عبد الملك بن مروان * ولم يكن دوله يزيد طائله ولا وقع فيها من الفتوح و لوقائع ما يحسن حكايته وكانت وفاته في سنه خمس ومائه عشقا وصبابه

ثم ملك بعده أخوه هشام بن عبد الملك *

كان هشام بخيلا شديد البخل إلا أنه كان غزير العقل حليما عفيفا امتدت ايامه وجرى فيها وقائع منها وقائعها الشهيره قتل زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن ابي طالب عليه السلام

﴿ شرح مقتل زيد بن عليّ بن الحسين إمام الزيدية رضي الله عنه ﴾

كان زيد من علماء أهل البيت عليهم السلام علما وزهداً وورعا وشجاعة وديناً وكرما وكان دائماً يحدث نفسه بالخلافة ويرى انه أهل لذلك وما زال هذا المعنى يتردّد في نفسه ويظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه حتى كانت أيام هشام بن عبد الملك فاتهمه بوديعة لخالد بن عبد الله القسريّ امير الكوفة فحمله الى يوسف بن عمر اميرها في ذلك العصر فاستحلفه أن ما لخالد عنده مالا وخلى سبيله فخرج ليتوجه الى المدينة فتبعه اهل الكوفة وقالوا له أين تذهب يرحمك الله ومعك مائة الف سيف نضرب بها دونك وليس عندنا من بني أمية الا نفر قليل لو أن قبيلة واحدة منا صمدت لهم لكفتهم باذن الله ورغبوه بهذا وأمثاله فقال لهم يا قوم اني أخاف غدركم فانكم فعلتم بجدّي الحسين عليه السلام ما فعلتم وأبى عليهم فقالوا ناشدك الله إلا ما رجعت ونحن نبذل أنفسنا دونك ونعطيك من الأيمان والعهود والمواثيق ما تثق به فانا نرجو أن تكون المنصور وأن تكون هذا الزمان الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية فلم يزالوا به حتى ردوه فلما رجع الى الكوفة أقبلت الشيعة تختلف اليه يبايعونه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر الفاً من أهل الكوفة سوى اهل المدائن والبصرة وواسط والموصل واهل خراسان والريّ وجرجان والجزيرة وقاموا بالكوفة شهوراً ، ثم لما تم الامر لزيد وخفقت الألوية على رأسه قال الحمد لله الذي أكمل لي ديني والله اني كنت أستحيي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أرد عليه الحوض غداً ولم آمر في امته بمعروف ولم أنه عن منكر فلما اجتمع الناس مع زيد أظهر امره ونابذ من خالفه فجمع له يوسف بن عمر جموعا وبرز اليه وعبى كل منهما أصحابه

والى المرقان وجرى بينهم قتال شديد فتفرق أصحاب زيد عنه وخذلوه فبقي في شرذمة يسيرة فأبلى هو رضي الله عنه بلاء حسناً وقاتل قتالاً شديداً فجاءه سهم فأصاب جبهته فطلب حداداً فنزع السهم من جبهته فكانت فيه نفسه فمات رضي الله عنه من ساعته فحفر له أصحابه في ساقية ودفنوه فيها وأجروا الماء على قبره خوفا أن يمثلوا به فلما استظهر يوسف بن عمر أمير الكوفة تطلب قبر زيد فلم يعرفه فدله عليه بعض الصدفية وأخرجه فصلبه فبقي مدة مصلوباً ثم أحرق وذري رماده في الفرات رضي الله عنه وسلم عليه ولعن ظالميه وناصبيه جميعاً فلقد مضى شهيداً مظلوما

وفي أيامه انتشر دعاة بني العباس في البلاد الشرقية وتحركت الشيعة جهة وعرفت جنود هشام الترك بما وراء النهر وكانت لجنوده الغلبة ثم بعد ذلك قتل خاقان

(ثم ملك بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك)

كان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم وأشدائهم منهمكا في اللهو والشرب وسماع الغناء وكان شاعراً محسناً له أشعار حسنة في العتاب والغزل ووصف الخمر جيد شعره ما كتبه الى هشام بن عبد الملك وقد عزم على خلعه وكان هشام لما رأى اشتهار الوليد بالمعاصي وعكوفه على اللذات طمع في الخلافة لابنه وأراده على أن يخلع نفسه فتناوله بلسانه وتهدده فكتب اليه الوليد بن يزيد (طويل)

كفرت يدا من منعم لو شكرتها	جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن
رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي	ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
أراك على الباقين تجني ضغينة	فيا ويحهم إن مت من شر ما تجني

كأنى بهم يوما وأكثر قولهم ألا ليت أنا حين يا ليت لا تغنى

وقد سرق الناس معانيه وأودعوها أشعارهم ، فمن سرق معانيه أبو نواس أخذ معانيه فى وصف الخمر

(ومما يحكى عن الوليد بن يزيد) أنه استفتح فألا فى المصحف فخرج (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فألقاه ورماه بالسهام وقال (وافر)

تهددنى بجبار عنيد نعم يا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يارب خرقنى الوليد

(فلم يلبث بعد هذا إلا يسيراً حتى قتل) وكان السبب فى قتله أنه كان قبل الخلافة على ما وصفنا من اللهو والشرب وانتهاك حرمات الله عز وجل فلما أفضت اليه الخلافة لم يزدد إلا انهماكا فى اللذات واستهتاراً بالمعاصى وضم الى ذلك ما ارتكبه من اغضاب أكابر اهله والاساءة اليهم وتنفيرهم فاجتمعوا عليه مع أعيان رعيته وهجموا عليه وقتلوه وكان المتولى لذلك يزيد ابن الوليد بن عبد الملك وذلك فى سنة ست وعشرين ومائة

﴿ ثم ملك بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك ﴾

كان يظاهر النسك وكان يقال أنه قدرى وسمى الناقص لانه نقص من عطيات أهل الحجاز ما كان قد زادهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك فسمى الناقص لهذا السبب ولما بويع بالخلافة خطب الناس وقال لهم كلاما حسنا انا مثبته ها هنا لحسنه خطبهم وذكر الوليد بن يزيد وإلحاده وقال سيرته كانت خبيثة وكان منتهكا لحرمات الله فقتلته ثم قال أيها الناس ان لكم على أن لا أضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة ولا اكرى نهراً ولا أكنز مالا ولا أنقل مالا من بلد الى بلد حتى أسد ثغره وخصاصة أهله بما يغنيهم فما فضل نقلته الى البلد الآخر الذى

بلـه ولا أغلق بابى دونكم ولكم أعطياتكم فى كل سنة وأرزاقكم كل شهر حتى تكون أقصاكم كأدناكم فان وفيت لكم بما قلت فعليكم بالسمع والطاعة وحسن المؤازرة وان لم أف فلكم أن تخلعونى الا أن أتوب وان علمتم أحداً ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما بذلت لكم وأردتم أن تبايعوه فانا أول من يبايعه معكم انه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق

أقول ان هـذا الـكلام حسن بالنسبة الى ذلك الزمان والى اصطلاح أهله فان هذه الشرائط هى التى كانت معتبرة عندهم فى استحقاق الرئاسة فأما فى هذا العصر فلو افتخر ملك من الملوك أنه لا يكرى نهرا ولا يضع حجرا على حجر او ينقل رعيته الى غير بلدها لعد سفيها لكانت جدوى فى اصطلاحهم بأن بملك غيره

وفى تلك الايام بدأ حبل بنى أمية يضطرب وشرعت الدولة العباسية تنبع واستفحل الدعاة فى الأمصار وكانت وفاته فى سنة ست وعشرين ومائة

☙ ثم ملك بعده أخوه ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ☙

كانت تلك الايام أيام فتن وكان حبل بنى أمية قد اضطرب فلما مات يزيد ابن الوليد بن عبد الملك وبويع أخوه ابراهيم بعده لم يكن يتأمل فكان ناس يسلمون عليه بالخلافة وناس بالامارة وناس رعاعا لا يسلمون عليه بواحدة منهما واضطرب أمره فمكث سبعين يوما وسار اليه مروان بن محمد بن مروان فخلعه وبويع له بالخلافة وجلس على سرير المملكة وذلك بعد حروب وفتن ووقائع سنذكر منها الطفيف

☙ ثم ملك بعده مروان بن محمد بن مروان ☙

هو آخر خلفاء بنى أمية وعنه انتقلت الدولة الى بنى العباس وقال له

الحمدى ويقال له الحمار وانما لقب بالحمار لانهم قالوا لصبره فى الحرب وكان شجاعاً صاحب دهاء ومكر وكانت أيامه أيام فتن وهرج ومرج ولم تطل أيامه حتى هزمته جيوش العباسيه وتبعه الى بلاد مصر فقتل بقرية اسمها بوصير من قرى الصعيد وذلك سنة اثنين وثلاثين ومائة وفى أيامه خرج عبد الله بن معاويه بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب

- شرح كلمة الحال فى ذلك على سبيل الاختصار

لما اضطرب حبل بنى أمية ووقع مروان بارث الفتن بين الناس وخلت كلمتهم فكل يرى رأيا ويذهب مذهبا وكان بالكوفه رجل من ولد جعفر الطيار عليه السلام اسمه عبد الله بن معاويه بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وكان فاضلا شاعراً فحدثته نفسه بالامر ورأى أهل الكوفة اختلاف الامور بينهم واضطراب حبل بنى أمية فخرج والى هذه عبد الله وبايعوه واجتمعوا حوله حلائق فرر اليهم أمير الكوفه فوقعت بينهم حرب ومنعه وتصابر الفريقان مدة ففى آخر الامر طلب أهل الكوفه لانفسهم ولعبد الله بن معاويه بن عبد الله بن جعفر الامان من أمير الكوفه ليتوجهوا أين شاؤا من بلاد الله وكان أمير الكوفه ومن معه قد ملوا من القتال فأعطاهم الامان فتوجه عبد الله الى المدائن وعبر دجله وغلب على حلوان وما قاربها ثم توجه الى بلاد العجم فغلب على تلك الجبال وهمدان واصفهان والرى والتحق به قوم من بنى هاشم وبقى على ذلك مدة

وكان أبو مسلم الخراسانى قد قويت شوكته فسار الى عبد الله فقتله ثم ... بر الدوله العباسيه ثم خابرت الدوله العباسيه واشتهرت دعوتها

« ذكر انتقال الملك من بنى أمية الى بنى العباس »

لا بد قبل الخوض فى ذلك من مقدمة نشرح فيها ابتداء أمر أبى مسلم الخراسانى فانه رجل الدولة وصاحب الدعوة وعلى يده كان الفتح

« شرح ابتداء أمر أبى مسلم الخراسانى ونسبه »

أما نسبه ففيه اختلاف كثير لا فائدة فى استقصاء القول فيه فقيل هو حر من ولد بزرجمهر وولد باصبهان ونشأ بالكوفة فاتصل بابراهيم الامام ابن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس فغير اسمه وكناه بأبى مسلم وثقفه وفقهه حتى كان منه ما كان

وقيل هو عبد معتق فى الرق حتى وصل الى ابراهيم الامام فلما رآه أعجبه سمته وعقله فابتاعه من مولاه وثقفه وفقهه وصار يرسله الى شيعته وأصحاب دعوته بخراسان وما زال على ذلك حتى كان من الأمر ما كان

وأما هو فانه لما قويت شوكته ادعى انه ابن سليط بن عبد الله بن العباس ولهذا سليط خبر هذا موضع ذكره على سبيل الاختصار

كان لعبد الله بن عباس جارية فوقع بينه وبينها أمر من الامور ثم ترك لها مدة فاستكحت انسانا فوطئها فولدت ولدا فلما نسبه سليطا ثم أعقبه عبد الله بن العباس وأنكره عبد الله ولم يعترف به ونشأ سليط وهو أنكره انه ابن الى عبد الله بن عباس فلما مات عبد الله نازع سليط ورثته فى ميراثه وأنبت ذلك بنى أمية لينقصوا من علىّ بن عبد الله بن عباس فأعانوه وأوصوا قاضى دمشق بالباطن فقبل البينة فى الحكم وحكم له بالميراث وجرت فى ذلك خطوب ليس هذا موضع شرحها فادعى أبو مسلم حين قويت شوكته انه من ولد هذا سليط ثم يرسل أبو مسلم لابراهيم الامام الى خراسان ودعا اليه

آ وما زال على ذلك حتى ضربت الأ... وه وتم لأمر

* مقدمة اخرى قبل الخوض فيها *

قال الله تعالى (وتلك الايام نداولها بين الناس)

وحرى بعض الحكماء بعض الملوك عن مملكة خرجت عنه فقال لو عست لغيرك لما وصلت اليك

وعلى علمت الخبر ان هذه دولة من كبار الدول ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك فكان أخيار الناس وصلحاؤهم يطاوعونها تديناً والباقون يطيعونها رهبة ... ... مكنت فيها الخلافة والملك حدود سبعمائة سنة ثم ضربت عليها دول كدولة بني بويه ... ... وفيها كثير ... وخلفاؤهم عصبة ... له ... ... وكدولة بني سلجوق ... طغرلبك كالدولة ... ... وفيها مثل علاء الدين وجرايدة عسكره مشتملة على ربع مائة ألف مقاتل ... كدولة الناصر بن ... فقد وجهوا عسكراً ... ... جوهر ... عسكر ... ... حتى قال فيه شاعره وهو محمد بن هانئ المغربي (طويل)

فلا عسكر من قبل عسكر جوهر ... تخب المطايا فيه عشراً وتوضع

... ... كبيرة ... كل ذلك ... ملكه ... دولة ... له ملكه ... بل كان الملك من هؤلاء المذكورين يجمع ويحشد ويجر العساكر العظيمة حتى يصل الى بغداد فاذا وصل ... ... فاذا ... قبل الارض بين ... وكان قصارى ما يتمناه أن يوليه الخليفة ... له لواء ويخلع عليه فاذا فعل الخليفة ذلك قبل الملك الارض بين يديه ومشى في ركابه راجلا والغاشية

حب إ طه كما عمل مسعود السلطان مع المسترشد فان المسترشد وقعت بينه وبين مسعود منافرة أدت الى محاربته فخرج المسترشد بعسكر كثيف معه جميع أرباب الدولة فالتقى هو والسلطان مسعود بظاهر مراغه فاقتتلوا ساعه ثم انكشف الغبار وقد انهزم أصحاب المسترشد واستولى عسكر مسعود فانجلى الغبار والخليفة ثابت على ظهر فرسه وفي يده المصحف وحوالته القراء والقضاه والوزراء لم ينهزم أحد منهم وانما انهزم المقاتلون فلما نظر السلطان مسعود اليهم أرسل من قاد دابة الخليفة وأدخله الى خيمة قد نصبت له وأخذ أرباب دولته فحبسهم في قلعة مرسه من بلاد النواحي ثم غنموا جميع ما كان في عسكر الخليفة وبعد أيام اجتمع السلطان بالخليفة وعاتبه على فعله ثم تقرر بينهم أمر الصلح فاصطلحا وركب الخليفة الى خيمة عظيمة ضربت له لاجله السلطان فلما ركب الخليفة أخذ السلطان مسعود الغاشيه ومشى في ركابه ثم جرى من قتل المسترشد ما نذكره بعد هذا ... فهذه الاقوال جميعها طرت على دولة بني العباس ولم يقو نفس أحد على إزالة ملكهم ومحو آثارهم وكانت لهم في نفوس الناس منزلة لا يدانيها منزلة أحد آخر من الملوك حتى ان السلطان هولاكو لما فتح بغداد وأراد قتل الخليفة أبي أحمد عبد الله المستعصم ألقوا الى سمعه انه متى قتل الخليفة اختل نظام العالم واحتجبت الشمس وامتنع القطر والنبات فاستشعر لذلك ثم سأل بعض العلماء في حقيقة الحال عن ذلك فذكر ذلك العالم له الحق في هذا وقال ان علي بن أبي طالب كان خيراً من هذا الخليفة باجماع العالم ثم قتل ولم يجر هذه المحذورات وكذلك الحسين وكذلك أجداد هذا الخليفة قتلوا وجرى عليهم كل مكروه وما احتجبت الشمس ولا امتنع القطر فحين سمع ذلك زال ما كان قد حصل في خاطره واعتذر ذلك العالم عن هذا

القول بأن هيبة السلطان كانت عظيمة وسطوته مرهوبة فما تجاسر أن أقول بين يديه غير الحق ثم هذا كان اعتقاد الناس في بني العباس وما قويت دولة من الدول على إزالة مملكتهم ومحو أثرهم سوى هذه الدولة القاهرة نصر الله أحسابها وأعلى شأنها

قال السلطان هولاكو لما فتح بغداد وقتل الخليفة محا أثر بني العباس كل المحو وغير جميع قواعدهم حتى إن الذي كان يتلفظ باسم بني العباس كان على خطر من ذلك

« وهاهنا موضع حكاية »

حدثني نصر الملقب الحبشي أحد خدام السلطان خلد الله دولته وأعلى في الدارين درجته وكان قبل ذلك للخليفة المستعصم قال لما ملكت بغداد أخرجوني وأنا صغير في جملة الخدم فلازمنا خدمة الدركاه أنا وآخر فلما بعدنا عن بغداد أحضرنا السلطان هولاكو يوما بين يديه وكان علينا زي بيت دار الخلافة فقال أنتم كنتم قبل هذا للخليفة واليوم لي فيعني أنكم تخدمون خدمة جيدة نصيحة وتزولون من قلوبكم اسم الخليفة فذلك شيء كان ومضى وإن آثرتم تغيير هذا الزي والدخول في زينا كان أصلح قال فقلنا السمع والطاعة ثم غيرنا زينا ودخلنا في زيهم

« شرح ابتداء الدولة العباسية »

روى أن الرسول صلوات الله عليه وسلامه كان يجري على لفظه الشريف ما معناه البشارة بدولة هاشمية وزعم ناس أنه قال تكون لرجل من ولدي وزعم ناس أنه عليه الصلاة والسلام قال لعمه العباس رضي الله عنه وسلم عليه إنها تكون في ولدك وأنه حين أتاه بابنه عبد الله أذن في أذنه وتفل

ن فيه وقال اقسم فيه في الدين وبابه التأويل ثم دفعه الى ابنه وقال له خذ الملك أنا الاملاك في رغم هذا الزعم

قال ان الدولة العباسية هي الدولة المستمرة وكانت دولة بني أمية مكروهة عند الناس ملعونة مذمومة ثقيلة الوطأة مشهورة بالمعاصي والمآثم فكان الناس من أهل الامصار منتظرون هذه لدولة صباح مساء . وكان محمد ابن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو المعروف بابن الحنفية قد اعتقد فيه الناس أنه صاحب الدولة بعد قتل أخيه الحسين عليه السلام ما عدا الامامية فان اعتقادهم إمامة علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وإمامة بنيه واحد بعد واحد الى القائم محمد بن الحسن عليه السلام

فلما مات محمد بن الحنفية عليه السلام أوصى الى ابنه ابي هاشم عبد الله وكان أبو هاشم من رجال اهل البيت عليهم السلام فاتفق انه قصد دمشق وافداً على هشام بن عبد الملك فبرّه هشام ووصله ثم رأى من فصاحته ورئاسته وعلمه ما حسده عليه وخاف منه فدس اليه ومد رجع الى المدينة من سمه في لبن فلما علم بذلك عدل الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وكان نازلا بالحميمة من أرض الشأم فأعلمه أنه ميت وأوصى اليه وكان صحبته جماعة من الشيعة فسلمهم اليه وأوصاه فيهم ثم مات رضي الله عنه فتهوّس محمد بن علي بن عبد الله بالخلافة من يومئذ وشرع في بث الدعاة سراً وما زال الامر على ذلك حتى مات وخلف أولاده وهم جماعة منهم ابراهيم الامام والسفاح والمنصور . فقام ابراهيم الامام بالامر بعد أبيه واستكثر من ارسال الدعاة الى الاطراف خصوصاً الى خراسان فانهم كانوا أشد وثوقاً أهل خراسان من غيرهم من أهل الامصار

أما أهل الحجاز فقليلون وأما اهل الكوفة والبصرة فكان أهل البيت مدعورين منهم لما جرى منهم على أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام من الخذلان والغدر وسفك الدم وأما اهل الشأم ومصر فهواهم في بني أمية وحب بني أمية قد رسخ في قلوبهم فلم يبق لهم من سكون اليه من اهل الامصار الا اهل خراسان

وكان يقال ان الرايات السود الناصرة لأهل البيت تخرج من خراسان فأرسل ابراهيم الامام جماعة من الدعاة الى خراسان وكانت مساعيها ودعاتها فأجابوه ودعوا اليه سراً وأرسل في آخر الامر أبا مسلم فمضى الى هناك وجمع الجموع كل ذلك والامر والدعوة مخفية لم تظهر بعد

فلما كانت أيام مروان الحمار بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية كثر الهرج والمرج وفشى الشر وثارت الفتن واضطرب حبل بني أمية واختلفت كلمتهم وقتل بعضهم بعضاً أظهر ابو مسلم دعوته في الناس واجتمع اليه كل من له في ذلك رأى من اهل خراسان وجر عسكراً كثيفاً لعامل بني أمية على خراسان وهو نصر بن سيار فلما بلغ نصراً حال ابي مسلم وجموعه راعه ذلك فكتب الى مروان الحمار (وافر)

أرى بين الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام
فان لم يطفها عقلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام
فان النار بالعودين تذكى ... وان الحرب أولها كلام
فقلت من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام

فكتب اليه مروان ان الحاضر يرى ما لا يرى الغائب فاحسم أنت هذا الثالول الذي قد ظهر عندك فقال نصر بن سيار لأصحابه أما صاحبكم فقد أعلمكم

انه لا نصر عنده و تواترت الاخبار الى مروان بهذا الامر وحيله كلما جاء اضطرب وأمره فى كل يوم تضعف ثم بلغه أن الذى يدعو الدعاة اليه هو ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس خو السفاح والمنصور فأرسل اليه وقبض عليه وأحضره الى حرّان فحبسه فيها ثم سمه فى الحبس فمات

ثم جرت بين ابى مسلم و بين نصر بن سيار وغيره من امراء خراسان حروب ووقائع كانت الغلبة فيها للمسودة وهم عسكر ابى مسلم وانما سموا المسودة لان الزىّ الذى اختاروه لبنى العباس هو لبس السواد فانظر الى قدرة الله تعالى وانه اذا أراد امراً هيأ اسبابه واذا اراد أمراً فلا مرد لامره

لما قدّر انتقال الملك الى بنى العباس هيأ لهم جميع الاسباب . وكان ابراهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بالحجاز او بالشأم جالساً على مصلاه مشغولا بنفسه وعبادته ومصالح عياله ليس عنده من الدنيا طائل واهل خراسان يقاتلون عنه ويبذلون نفوسهم وأموالهم دونه وأكثرهم لا يعرفه ولا يفرق بين اسمه وشخصه وانظر الى ابراهيم الامام هو بتلك الحالة من الانقطاع بداره واعتزال الدنيا وهو بالحجاز او بالشأم وله مثل هذا العسكر العظيم فى خراسان يبذلون نفوسهم دونه لا ينفق عليهم مالا ولا يعطى احدهم دابة ولا سلاحا بل هم يجبون اليه الاموال ويحملون اليه الخراج فى كل سنة

ولما قدر الله تعالى خذلان مروان و انقراض ملك بنى أمية كان مروان خليفة مالكا ومعه الجنود والاموال والسلاح والدنيا بأجمعها عنده والناس ينفرّقون عنه وأمره تضعف وحبله تضطرب فما زال تضمحل حتى هلك ثم وقتل فتعالى الله

ولما غلب ابو مسلم على خراسان واستولى على كورها وقويت شوكته

سار الى العراق بالجنود وكان لما قبض مروان على ابراهيم الامام وحبسه بحرّان خاف أخواه السفاح والمنصور وجماعة من أقاربهم فهربوا وقصدوا الكوفة وكان لهم بها شيعة منهم ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال وكان من كبار الشيعة بالكوفة وصار بعد ذلك وزيراً للسفاح ثم قتله السفاح وسيرد ذكره عند ذكر الوزراء فأخفى لهم ابو سلمة الخلال داراً بالكوفة وأمر لهم بها وتولى خدمتهم بنفسه وكتم أمرهم واجتمعت الشيعة اليه وقويت شوكتهم فوصل ابو مسلم بالجنود من خراسان الى الكوفة فدخل على بني العباس وقال أيكم ابن الحارثية فقال له المنصور هذا وأشار الى السفاح وكانت أمه حارثية فسلم ابو مسلم عليه بالخلافة وخرج السفاح فركب خيله هو وعمومته وأقاربه وأكابر الشيعة وأبو مسلم بين يديه الى الجامع فصلى وصعد المنبر وأطال الخطبة وخطب الناس وبويع بالخلافة وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وهذا أول دولة بني العباس وآخر دولة بني أمية

ثم عسكر السفاح ظاهر الكوفة ووفدت عليه الناس من الامصار يبايعونه فلما اجتمع عنده الناس وقويت شوكته ندب رجلاً من أقاربه لقتال مروان الحمار فانتدب لذلك عمه عبد الله بن عليّ وكان من رجال بني العباس فتوجه عبدالله بن عليّ الى مروان فلقيه بالزاب ومع مروان مائة وعشرون الف مقاتل ولا يكون مع عبد الله بن عليّ الا الأقل من ذلك فصنع الله تعالى لعبد الله بن عليّ أنواع الصنع وخذل مروان كل الخذلان فانظر واعتبر

« شرح كيفية الوقعة بالزاب وخذلان مروان وانهزامه »

لما التقى على الزاب مروان الحمار وعبد الله بن عليّ قال مروان لبعض أصحابه ان غابت شمس هذا النهار ولم يقاتلونا فالخلافة فينا ونحن نسلمها في آخر

لزمان الى المسيح عليه السلام وأمر أصحابه بالكف عن القتال وقصد أن
يمضي النهار ولا يقع قتال ثم أرسل الى عبد الله بن عليّ يسأله الموادعة فقال
عبد الله كذب لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل ان شاء الله تعالى وكان من
الاتفاقات الغريبة أن صهر مروان حمل على ميمنة من عسكر عبد الله بن عليّ
فردّه مروان وشتمه فلم يقبل ونشب القتال فأمر عبد الله بن عليّ أصحابه
بالمباشرة فجثوا على الركب وأشرعوا الرماح ونادى عبد الله بن عليّ يا رب حتى
متى نقتل فيك ونادى يا أهل خراسان يا لثارات ابراهيم الامام واشتد القتال
فصار مروان اذا أمر طائفة من العسكر بشيء قالوا قل للطائفة الأخرى
ولما من أمره انه قال لصاحب شرطته انزل الى الارض فقال لا والله لا ألقي
نفسي في الهلكة فقال له مروان لأفعلن بك وتهدده فقال وددت أنك تقدر
على ذلك ثم رأى مروان هزيمة أصحابه ومباشرة أصحاب عبد الله بن عليّ فوضع
مروان ذهباً كثيراً قدام الناس وقال أيها الناس قاتلوا وهذا المال لكم فصار
الناس يمدون أيديهم الى المال ويتناولون منه شيئاً شيئاً فقال بعض الناس
لمروان ان الناس قد مدوا أيديهم الى المال ولا نأمن انهم يذهبون به فأمر ابنه
أن يسير في أواخر العسكر فمن وجد معه شيئاً من المال قتله فرجع ابنه برايته
ليفعل ما قال فرأى الناس الراية راجعة فنادوا الهزيمة الهزيمة فانهزم الناس
ومروان أيضاً وعبروا دجلة فكان من غرق أكثر ممن قتل فتلا عبد الله
ابن عليّ (واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون)
ثم استولى على عسكر مروان وغنم ما فيه وأقام به سبعة أيام

* شرح مقتل مروان الحمار *

ثم ان مروان مضى منهزما حتى وصل الموصل فقطع أهلها الجسر

ومنعوه من العبور فنادى أصحابه يا أهل الموصل هذا أمير المؤمنين يريد العبور فنادتهم أهل الموصل كذبتم أمير المؤمنين لا يفر وسبه أهل الموصل وقالوا له الحمد لله الذي أزال سلطانكم وذهب بدولتكم الحمد لله الذي أتانا بأهل بيت نبينا . فلما سمع ذلك سار إلى بلد وعبر دجلة وأتى حران ثم منها إلى دمشق ثم منها إلى مصر وتبعه عبد الله بن علي ثم أرسل خلفه بعض أصحابه فرآه بقرية من قرى الصعيد يسمى بوصير فخرج إليهم ليلا مروان وقاتلهم فقال لجند من الناس أمرهم إن أصبحنا ورأوا قلتنا أهلكونا ولم ينج منا أحد فكاثروا القوم وكسر جفن سيفه وفعل أصحابه مثله وحملوا عليهم فانهزموا وحمل رجل على مروان فطعنه وهو لا يعرفه فصرعه وصاح صائح صرع أمير المؤمنين فابتدروه فسبق إليه رجل من أهل الكوفة فاحتز رأسه ثم نفض الرأس وقطع لسانه فأكله هرة كانت هناك ثم حمل الرأس إلى السفاح فوصل إليه وهو بالكوفة فلما رآه سجد ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ولم يبق ثأري قبلك وقبل (بسيط)

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ... ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ثم صفا الملك للسفاح

﴿ الدولة العباسية ﴾

« وهي في سياسة تلك من الدولة الأموية »

واعلم أن الدولة العباسية كانت دولة ذات خدع ودهاء وغدر وكان قسم التحيل والمخادعة منها أوفر من قسم القوة والشدة خصوصاً في أواخرها فإن المتأخرين منهم بطلوا قوة الشدة والنجدة وركنوا إلى الحيل والخدع ، وفي

مثل ذلك يقول كشاجم مشيراً الى موادعة أصحاب السيوف وعداوة أصحاب الاقلام ومعاملة بعضهم لبعض (طويل)

هنيئاً لاصحاب السيوف بطالة ... يقضى بها أوقاتهم فى النعم

فكم فيهم من وادع العيش لم يهج ... لحرب ولم ينهد لقرن مصمم

يروح ويغدو عاقداً فى نجاده ... حساماً سليم الحد لم يتثلم

ولكن ذوو الاقلام فى كل ساعة ... سيوفهم تنساب تقطر من دم

ومنها قول بعض الشعراء حين قتل المتوكل وزيره محمد بن عبد الملك الزيات (وافر)

يكاد القلب من جزع يطير ... اذا ما قيل قد قتل الوزير

أمير المؤمنين قتلت شخصاً ... عليه كان كالقطب يدور

فمهلا يا بنى العباس مهلا ... لقد كويت بفعلكم الصدور

إلا أنها كانت دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم أسواق العلوم فيها قائمة وبضائع الآداب فيها نافقة وشعائر الدين فيها معظمة . والخيرات فيها دارة والدنيا عامرة والحرمات مرعية والثغور محصنة وما زالت على ذلك حتى كانت أواخرها فانتشر الحبل . واضطرب الامر واضعفت الدولة وسنورد ذلك فى موضعه مشروحاً ان شاء الله تعالى . وهذا أوان الشروع فى ذكر خليفة خليفة

أول خليفة ملك منهم السفاح

هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . بويع فى سنة مائة واثنين وثلاثين

كان كريماً حليما وقوراً عاقلا كاملا كثير الحياء حسن الأخلاق ولما بويع

واستوسق له الامر تتبع بقايا بني أمية ورجالهم فوضع السيف فيهم * وفي زمن أيامه كان جالساً في مجلس الخلافة وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أكرمه السفاح فدخل عليه سديف الشاعر فأنشده (خفيف)

لا يغرنك ما ترى من رجال ان تحت الضلوع داء دويّاً
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويّا

فالتفت سليمان وقال قتلني يا شيخ ودخل السفاح وأخذ سليمان فقتل ودخل عليه شاعر آخر وقد قدم الطعام وعنده نحو سبعين رجلا من بني أمية فأنشده (خفيف)

أصبح الملك ثابت الآساس بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثارا واقطعن كل رقلة وغراس
ذلها أظهر التودد منها وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي قربهم من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحى ثاويا بين غربة وتناس

فالتفت أحدهم إلى من بجانبه وقال قتلنا العبد * ثم أمرهم السفاح فضربوا بالسيوف حتى قتلوا وبسط النطوع عليهم وجلس فوقهم يأكل الطعام وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا

وبالغ بنو العباس في استئصال شأفة بني أمية حتى نبشوا قبورهم بدمشق فنبشوا قبر معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه فلم يجدوا فيه الا خيطاً مثل الهباء

وسوا عمر بريد فوجدوا فيه حطاباً كأنه الرماد ولما قبل رجالهم واستصفى أموالهم قال (بسيط)

بنى أمية قد افنيت جمعكم	فكيف لى منكم بالاول الماضى
تطيب النفس أن النار تجمعكم	عوضتم من لظاها شر معتاض
منيتم لا أقال الله عثرتكم	بليث غاب الى الاعداء نهاض
ان كان غيظى لفوت منكم فلقد	رضيت منكم بما ربى به راض

ثم لم يزل هذه السفاح حتى مات بالانبار فى سنة مائة وست وثلاثين

ه شرح حال الوزارة فى أيامه ه

لا بد قبل الخوض فى ذلك من تقديم كلمات فى هذا المعنى فأقول الوزير وسيط بين الملك ورعيته فيجب أن يكون فى طبعه شطر يناسب طباع الملوك وشطر يناسب طباع العوام ليعامل كلاً من الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة والامانة والصدق رأس ماله قيل اذا خان السفير بطل التدبير وقيل ليس لمكذوب رأى والكفاية والشهامة من مهماته والفطنة والتيقظ والدهاء والحزم من ضرورياته ولا ينبغى أن يكون مع ذلك الا مطعاماً ليميل بذلك الاعناق وليكون مشكوراً بكل لسان والرفق والاناة والتثبت فى الامور والحلم والوقار والتمكن ونفاذ القول مما لا بد له منه

لما استوزر الناصر وزيره مؤيد الدين محمد بن برز القمىّ خلع عليه خلع الوزارة ثم جلس القمىّ فى منصب الوزارة والناس جميعاً بين يديه فقرئ من حضرة الخليفة مكتوب لطيف فى قدر الخنصر بخط يد الناصر فقرئ على الجمع فكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم محمد بن برز القمىّ نائبنا فى البلاد والعباد فمن أطاعه فقد أطاعنا ومن أطاعنا فقد أطاع الله ومن أطاع الله أدخله الجنة

ومن عصاه فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى الله أدخله النار.
فنقل القمي هذا الوضع في عيون الناس وخف مكانه وقامت له الهيبة في الصدور. والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ولا مقررة القوانين بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية فإذا حدث أمر استشار بذوي الحجى والآراء الصائبة. فكل منهم يجري مجرى وزير. فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسمي الوزير وزيراً وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً

قال أهل اللغة الوزر الملجأ والمعتصم والوزر الثقل فالوزير إما مأخوذ من الوزر فيكون معناه أنه يحمل الثقل أو يكون مأخوذاً من الوزر فيكون المعنى أنه يرجع ويلجأ الى رأيه وتدبيره وكيف تقلبت لفظة وزير كانت دالة على الملجأ والثقل

أول وزير وزر لأول خليفة عباسي حفص بن سليمان أبو سلمة الخلال كان مولى لبني الحارث بن كعب. قيل في تلقيبه بالخلال ثلاثة أوجه أحدها أن منزله بالكوفة كان قريباً من محلة الخلالين وكان يجالسهم فنسب اليهم كما نسب الغزالي الى الغزالين وكان يجالسهم كثيراً فوثب في تسمية الغزالي وجهاً آخر قيل كان من رأيه الصدقة على النساء العجائز اللواتي يحضرن الى ذر الغزل لبيع غزلهن فيرى ضعفهن وفقرهن وزراية مكسبهن فيرق لهن فيتصدق عليهن كثيراً ويأمر بالصدقة عليهن فنسب الى ذلك وثانيها أنه كان ذا حوانيت يعمل فيها الخل فنسب الى ذلك وثالثها انها نسبة الى خلل السيوف وهي أغمادها.

كان ابو سلمة من مياسير أهل الكوفة وكان ينفق ماله على رجال

الدعوة وكان سبب وصلته الى بنى العباس انه كان صهراً لبكير بن ماهان وكان بكير بن ماهان كاتباً مخصصاً بابراهيم الامام فلما أدركته الوفاة قال لابراهيم الامام ان لى صهراً بالكوفة يقال له أبو سلمة الخلال قد جعلته عوضى فى القيام بأمر دعوتكم ثم مات وكتب ابراهيم الامام الى أبى سلمة يعلمه بذلك ويأمره بما يريد من أمر الدعوة وقام أبو سلمة بأمر دعوتهم قياماً عظيما فلما تغير أحوال بنى العباس عزم على العدول عنهم الى بنى على عليه السلام فكاتب ثلاثة من أعيانهم جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وعبد الله المحض ابن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام وعمر الأشرف بن زين العابدين عليه السلام وأرسل الكتب مع رجل من مواليهم وقال له اقصد أولا جعفر بن محمد الصادق فان أجاب فأبطل الكتابين الآخرين وان لم يجب فالق عبد الله المحض فان أجاب فأبطل كتاب عمر وان لم يجب فالق عمر فذهب الرسول الى جعفر بن محمد عليه السلام أولا ودفع اليه كتاب أبى سلمة فقال مالى ولابى سلمة وهو شيعة لغيرى فقال له الرسول اقرإ الكتاب فقال الصادق عليه السلام لخادمه أدن السراج منى فأدناه فوضع الكتاب على النار حتى احترق فقال الرسول ألا تجيبه قال قد رأيت الجواب ثم مضى الرسول الى عبد الله المحض ودفع اليه الكتاب فقرأه وقبله وركب فى الحال الى الصادق عليه السلام وقال هذا كتاب أبى سلمة يدعونى فيه الى الخلافة قد وصل على يد بعض شيعتنا من أهل خراسان فقال له الصادق عليه السلام ومتى صار أهل خراسان شيعتك أأنت وجهت اليهم أبا مسلم هل تعرف أحدا منهم باسمه أو بصورته فكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم وهم لا يعرفونك فقال عبد الله كأن هذا الكلام منك لشىء فقال الصادق قد

علم الله انى أوجب النصح على نفسى لكل مسلم فكيف أدخره عنك فلا تمسك الاباطيل فان هذه الدولة ستتم لهؤلاء. وقد جاءنى مثل الكتاب الذى جاءك فانصرف عبد الله من عنده غير راض وأما عمر بن زين العابدين فانه رد الكتاب وقال أنا لا أعرف صاحبه فأجيبه ثم غلب أبو سلمه على رأيه وعمات الدعوة عملها وبويع السفاح ثم اخبر انه جحدها على أبى سلمه وقتله

ذكر شىء من سيرته ومقتله

كان أبو سلمه سمحاً كريماً مطعاماً كثير البذل مشغوفاً بالسوق فى السلاح والدواب فصيحاً عالماً بالأخبار والاشعار والسير والجدل والتفسير حاضر الحجة ذا يسار ومروءة ظاهرة فلما بويع السفاح استوزره وفوض لأمور اليه وسلم اليه الدواوين ولقب وزير آل محمد وفى النفس أشياء وخاف السفاح إن هو قتل وزيره أبا سلمه أن يستنكر أبو مسلم ويتغير فتلطف لذلك وكتب الى ابى مسلم كتاباً يعلمه فيه بما عزم عليه ابو سلمه من نقل الدولة عنهم ويقول لهم انى قد وهبت جرمه لك وباطن الكتاب تقتضى صوب الرأى فى قتل ابى سلمه وأرسل الكتاب مع أخيه المنصور فلما قرأ ابو مسلم الكتاب فطن لغرض السفاح فأرسل قوما من اهل خراسان فقتلوا أبا سلمه فقال الشاعر (كامل)

إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزيراً
إن السلامة قد تبين وربما كان السرور بما كرهت حذوراً

ـ انقضت وزارة ابى سلمه ـ

اختلفوا فيمن وزر للسفاح بعده فقيل أبو الجهم وقيل عبد الرحمن فأما أبو الجهم فوزر للسفاح مدة فلما أفضت الخلافة الى المنصور كان فى نفسه

منه أمور فسبه في سونو للور فلما أحس بالسم قام ليذهب فقال له المنصور الى أين قال الى حيث بعثني امير المؤمنين

وأما الصولى فقال إن السفاح استوزر بعد أبي سلمه خالد بن برمك

= ذكر وزاره خالد بن برمك وشيء من سيرته =

هذا خالد هو جد البرامكه وفي تلك الايام نشأت الدوله البرمكيه وامتدت الى أن انقضت في أيام الرشيد

وكان خالد بن برمك من رجال الدوله العباسيه فاضلا جليلا كريما حازما فعطا استوزره السفاح وخف على قلبه وكان يسمى وزيرا وقيل إن كل من استوزر بعد ابى سلمه كان يجتنب أن يسمى وزيرا تطيرا مما جرى على ابى سلمه ولقول من قال (كامل)

إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزيرا

قالوا فكان خالد بن برمك يعمل عمل الوزاره ولا يسمى وزيرا

كان خالد عظيم المنزله عند الخلفاء قيل إن السفاح قال له يوما ياخالد مارضيت حتى استخدمتني ففزع خالد وقال كيف ياامير المؤمنين وأنا عبدك وخادمك فضحك وقال إن ربطه بنتي تنام مع بنتك في مكان فاقوم بالليل فأجدهما قد سقط الغطاء عنهما فارده عليهما فقبل خالد يده وقال مولى تكتسب الأجر في عبده وأمته وكثر لوقدون على باب خالد بن برمك ومدحه الشعراء واعجبه الناس وكان الوافدون قبل ذلك يسمون سؤالا فقال خالد إني استقبح هذا الاسم لمثل هؤلاء وفيهم الاشراف ولا كابر فسماهم الزوار وكان خالد أول من سماهم بذلك فقال له بعضهم والله ما ندرى اي أياديك عندنا أجل أصلتنا أم تسميتنا وقيل إن أول من فعل ذلك المساور بن النعمان

ى دوله ى أمه

ولما ى المصور مدىه ىعداد عطمب العمه عله فأشار عله ابو ايوب الموريانى ىهدم إيوان كسرى واسىعمال أىعاصه فاسىشار المصور حالد ى برمك ى دلك فقال لا ىفعل يا امير المؤمىن فانه آىه الاسلام فادا رآه الناس علموا أن مثل هذ البناء لا يزيله الا امر سماوى وهو مع دلك مصلى علىّ بن ابى طالب عليه السلام والمؤنه فى نقضه أكثر من نفعه فقال له المصور أبيت ياخالد الا ميلا الى العجميه ثم أمر المصور بهدمه فهدمت منه ثلمه فبلغت النفقه عليها اكثر مما حصل منها فامسك المصور عن هدمه وقال ياخالد قد صرنا الى رأيك وتركنا هدم الايوان قال يا امير المؤمنين انا الآن أشير بهدمه لئلا يتحدث الناس أنك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فأعرض عنه وأمسك عن هدمه

كتب بعض الشعراء الى خالد بن برمك فى يوم نوروز وقد أهدى الناس الى خالد هدايا فيها جامات من فضه وذهب (خفيف)

ليت شعرى أما لنا منك حظ ياهدايا الوزير فى النوروز

ماعلى خالد بن برمك فى الجو د نوال بمثله من عزيز

ليس لى جام فضه من هدايا فسوى ما به الامير مجيزى

غير أنى للعنـــ .. الممــــــدوح بالمال لا لقول الصحيح

فأمر له بجميع ما كان حاضراً بين يديه من الجامات والاوانى الفضيه والذهبيه فبلغت مالا جليلا

ولما تولى المصور الخلافه أقره على وزارته وأكرمه واستاره

انقضت وزاره وزراء السفاح وانقضت بها انقضى الكلام على دولته

﴿ ثم ملك بعده اخوه ابو جعفر المنصور ﴾

بويع في سنة مائة وست وثلاثين ۞ ذكر شيء من سيرته وما وقع في أيامه من الحوادث والوقائع

كان المنصور من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وعلمائهم وذوي الآراء الصائبة منهم والتدبيرات السديدة وقوراً شديد الوقار حسن الخلق في الخلوة من أشد الناس احتمالا لما يكون من عبث او مزح فاذا لبس ثيابه وخرج الى المجلس العام تغير لونه واحمرت عيناه وانقلب جميع أوصافه قال يوما لبنيه يا بنيّ اذا رأيتموني قد لبست ثيابي وخرجت الى المجلس فلا يدنونّ أحد منى مخافة أن أعرّه بشيء قالوا وكان المنصور يلبس الخشن وربما رقع قميصه وقيل ذلك لجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام فقال الحمد لله الذي ابتلاه بفقر نفسه في ملكه قالوا ولم يكن يرى في دار المنصور لهو ولعب أو ما يشبه اللهو واللعب

حدث بعض مواليه قال كنت مرة واقفاً على رأسه فسمع صوتاً عالياً فقال لي انظر ماهذا الصوت قال فنظرت فاذا هو بعض خدمه يلعب بالطنبور وحوله جماعة من جواريه يضحكن منه قال فأخبرته الخبر فنفر وقال وأي شيء يكون الطنبور قال فوصفته له فقال وأنت ما يدريك بالطنبور فقلت يا أمير المؤمنين رأيته بخراسان فقام المنصور حتى جاء الى الخادم فلما نظر به الجواري تفرقن فأمر فضرب رأس الخادم بالطنبور حتى تكسر الطنبور ثم أخرجه فباعه

وكان المنصور من أشد الناس شغفاً بابنه المهدي فكان اذا جنى احد جناية او أخذ من أحد مالا جعله في بيت المال مفردا وكتب عليه اسم صاحبه

فلما أدركته الوفاة قال لابنه المهدي يا بني إني قد أفردت كل شيء أخذته من الناس على وجه الجناية والمصادرة وكتبت عليه أسماء أصحابه فإذا وليت أنت فأعده على أربابه ليدعو لك الناس ويحبوك

قال يزيد بن عمر بن هبيرة ما رأيت رجلا في حرب أو سلم أمكر ولا أنكر ولا أشد تيقظاً من المنصور لقد حاصرني تسعة شهور ومعي فرسان العرب فجهدنا كل الجهد حتى نال من عسكره شيئاً فما قدرنا لشدة ضبطه لعسكره وكثرة تيقظه ولقد حصرني وما في رأسي شعرة بيضاء ثم أفضى ذلك وما في رأسي شعرة سوداء

واعلم أن المنصور هو الذي أصل الدولة وضبط المملكة ورتب القواعد وأقام الناموس واخترع أشياء ، فمن جملة ما اخترع فرش البويه ولم يكن الملوك قبله يعرفون ذلك وسبب ذلك أني فيما بعد ، ومن جملة ما اخترع عمل الخيش الكتان في الصيف ولم يكن الناس قبله يعرفون ذلك وكانت الأكاسرة يطينون كل يوم من أيام الصيف بيتاً يسكنونه ثم في الغد يطين بيت آخر

وكان المنصور رجلا يضرب بشحه الأمثال وقيل كان كريماً وإنه لما حج أفضل على أهل الحجاز فكانوا يسمون عامه عام الخصب والصحيح أنه كان رجلا حازما يعطي في موضع العطاء ويمنع في موضع المنع وكان المنع عليه أغلب

وجرى في أيامه شيء طريف وهو أن قوما من أهل خراسان يقال لهم الراوندية كانوا يقولون بتناسخ الارواح ويزعمون أن روح آدم انتقلت الى فلان رجل من كبارهم وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور وأن

حراثيل هو فلان عن رحل آخر فلما ظهروا نوا قصر المنصور فطافوا حوله وقالوا هذا قصر ربنا فأخذ المنصور رؤساءهم فحبس منهم مائتي رجل فغضب الباقون واجتمعوا وفتحوا السجون وأخرجوا أصحابهم منها وقصدوا المنصور وحاربوه فخرج المنصور اليهم ماشياً ولم تكن في بابه في ذلك الوقت دابة فصار بعد ذلك اليوم يربط له دابة في باب القصر لا تزال واقفة وصارت تلك سنة للخلفاء بعده وللملوك فلما خرج المنصور أتي بدابة فركبها وهو يريدهم حتى تكاثروا عليه وكادوا يقتلونه وجاء معن بن زائدة وكان مستخفيا من المنصور فجاء متلثما ووقف بين يدي المنصور والمنصور لا يعرفه فقاتل بين يديه قتالا شديداً وأبلى بلاء حسنا

وكان المنصور راكبًا على بغلة ولجامها بيد حاجبه الربيع فأتى معن وقال تنح فأنا أحق منك بهذا اللجام في هذا الوقت فقال المنصور صدق ادفع اللجام اليه فلم يزل يقاتل حتى انكشفت الحال وظفر بالراوندية فقال له المنصور من أنت قال طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فقال قد آمنك الله على نفسك وأهلك ومالك ومثلك يصطنع وأحسن اليه وولاه اليمن والمنصور هو الذي بنى مدينة بغداد

« شرح كيفية الحال في بناء بغداد »

كان المنصور قد بنى في أوائل دولتهم مدينة بنواحي الكوفة وسماها الهاشمية ووقعت وقعة الراوندية فيها فكره سكناها لذلك ولمجاورة أهل الكوفة فانه كان لا يأمنهم على نفسه وكانوا قد أفسدوا جنده فخرج بنفسه يرتاد له موضعاً يسكنه ويبني فيه مدينة له ولعياله ولأهله ولجنده فانحدر الى جرجرايا وأصعد الى الموصل ثم أرسل جماعة من الحكماء ذوي اللب والعقل

و صرنا بارساد موضع فاختاروا له مدينة التي تسمى مدينة المنصور وهي بالجانب الغربي قريبة من مشهد موسى والجواد عليهما السلام فحضر الى هنالك وعبر المكان ليلا ونهاراً فاستطابه وبنى به المدينة

ومن ظريف ما نقل في ذلك ان راهبا من رهبان الدير المعروف الآن بدير الروم سأل بعض اصحاب المنصور من يريد ان يبني في هذا الموضع مدينة فقال له ذلك الرجل امير المؤمنين المنصور خليفة الناس قال ما اسمه قال عبد الله قال فهل له اسم غير هذا قال فلم لا قال لا الا انه يكنى ابو جعفر ولقبه المنصور قال اذهب فاذهب اليه وقل له لا تتعب نفسك في بناء هذه المدينة فانا نجد في كتبنا ان رجلا اسمه مقلاص يبني هاهنا مدينة ويكون لها شأن من الشأن وان غيره لا يتمكن من ذلك فجاء ذلك الرجل الى المنصور واخبره بما قال الراهب فنزل المنصور عن دابته وسجد طويلا ثم قال أما والله كان اسمي مقلاصا وكان هذا اللقب قد غلب علي ثم ذهب عني وذلك اني لما كنت في صباي اسمي مقلاصا وكان يضرب به الامثال وكانت لنا عجوز تربيني فاتفق ان صبيان المكتب جاؤوا بوا قالوا لي نحن اليوم ضيافتك ولم يكن معي ما انفقه عليهم وكان للعجوز غزل فأخذته وبعته وانفقته عليهم فلما علمت بي سبت غزلها سمتني مقلاصا وغلب هذا اللقب علي ثم ذهب عني والآن عرفت اني ابني هذه المدينة

ونبه بعض عقلاء النصارى على فضيلة مكانها فقال يا امير المؤمنين تكون على الصراة بين دجلة مع الفرات فاذا حاربك احد كانت دجلة والفرات خنادق لمدينتك ثم ان الميرة تأتيك في دجلة من ديار بكر تارة ومن البحر والهند والصين والبصرة وفي الفرات من الرقة والشام وتجيئك الميرة أيضاً

من خراسان وبلاد العجم في سبط ناصرياً وأن بالأمر المؤمنين من أنهار لا تصل عدوك اليك الا على جسر أو قنطرة فاذا قطعت الجسر أو أخربت القنطرة لم تصل اليك عدوك. وانت متوسط للبصرة والكوفة وواسط والموصل والسواد. وانت قريب من البر والبحر والجبل. فازداد المنصور جداً وحرصاً على بنائها وكاتب الاطراف بانفاذ الصناع والفعلة وأمر باحضار قوم من ذوى العدالة والفضل والعلم والامانة والمعرفة بالهندسة ليتولوا قسمة المدينة وعمائها وشرع فيها في سنة خمس وأربعين ومائة

وكان أبو حنيفة رضي الله عنه صاحب المذهب بعد الاول والآخر وهو الذي اخترع عدة بالقصب حصار وجعل المنصور عرض السور من أساسه خمسين ذراعا ومن أعلاه عشرين ذراعا ووضع بيده أول لبنة وقال بسم الله والحمد لله الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال ابنوا فابتدأ بها في سنة خمس واربعين ومائة وتمما في سنة ست واربعين ومائة وخطها مدورة وجعل قصره في وسطها لئلا يكون احد اقرب اليه من الآخر ولم الخرج عليها اربعة الف الف وثماني مائة وثلاثة وثلاثين درهما ولما فرغت حاسبت القواد عما كان حول عليهم لعمارتها فألزمهم بالبواقي حتى استوفى من بعضهم ما اقتضاه الحساب خمسة عشر درهما ، أسماؤها ، يقال بغداد وكان هنالك موضع يسمى بغداد فسميت المدينة باسمه وبقال بغداذ بالذال المعجمة ، ويقال بغدان بالنون ، ويقال الزوراء وكان موضعها يسمى الزوراء قديماً وقيل لان قبلتها غير مستقيمة يحتاج المصلى في مسجدها الجامع ان ينحرف الى جهة اليسار قليلا ، ويقال مدينة المنصور ، ويقال دار السلام ، وقيل انها مدينة مباركة مسعودة لم يمت فيها خليفة قط فمدينة المنصور هي بغداد القديمة وهذه بغداد التي هي

بالجانب الشرقي استحدث بعد ذلك * وهو الذي قتل فيه الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي أحد مشايخ السادات منهم وهو عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام وكان شيخ الطالبيين في عصره وسنه وإخوته وبنو اخوته سادات بني الحسن عليهم السلام فحبسهم عنده وماتوا في حبسه

روى انه خرج حاجبه فقال من كان على الباب من بني الحسن فليدخل فدخل مشايخ بني الحسن عليهم السلام ثم خرج فقال من كان بالباب من بني الحسن فليدخل فدخل مشايخ بني الحسن عليه السلام فعدل بهم الى مقصورة ثم أدخل الحدادين من باب آخر فقيدهم وحملهم الى العراق فحبسهم حتى ماتوا في حبسه بالكوفة لا جزاه الله خيراً عن فعله

ومن طريف ماوقع في ذلك أن رجلا من بني الحسن عليه السلام جاء حتى وقف على المنصور فقال ماجاء بك قال جئت حتى تحبسني عند أهلي فاني لا أريد الدنيا بعدهم فحبسه معهم وكان ذلك الرجل علي بن حسن بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان منهم محمد بن ابراهيم بن الحسن ابن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام وكان من أحسن الناس صورة وكان يسمى الديباج الأصفر لحسنه وجماله فأحضره المنصور وقال له أنت الديباج الأصفر قال كذا يقولون قال لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً ثم أمر به فبني عليه اسطوانة وهو حي فمات فيها

* ذكر السبب في قتل المنصور ماقتل من بني الحسن عليهم السلام *

كان بنو هاشم الطالبيون والعباسيون قد اجتمعوا في ذيل دولة بني أمية وتذاكروا حالهم وما هم عليه من الاضطهاد وما قد آل اليه امر بني أمية من الاضطراب وميل الناس اليهم ومحبتهم لان يكون لهم دعوة واجمعوا على

أن يدعوا الناس سراً ثم قالوا لابد لنا من رئيس نبايعه فاجمعوا على مبايعة النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام وكان محمد من سادات بني هاشم ورجالهم فضلا وشرفا وعلما وكان هذا المجلس قد حضره أعيان بني هاشم علويهم وعباسيهم فحضر من أعيان الطالبيين الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام وعبد الله بن الحسن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب وابناه محمد النفس الزكية وابراهيم قتيل باخمرى وجماعة من الطالبيين ومن أعيان العباسيين السفاح والمنصور وغيرهما من آل العباس فاتفق الجميع على مبايعة النفس الزكية الا الامام جعفر بن محمد الصادق فانه قال لابيه عبد الله المحض انك لا ينالها يعني الخلافة ولا ينالها الا صاحب القباء الأصفر يعني المنصور وكان على المنصور حينئذ قباء أصفر قال المنصور فرتبت العمال في نفسي من تلك الساعة ثم اجمعوا على مبايعة النفس الزكية فبايعوه ثم ضرب الدهر ضربه فنقل الملك الى بني العباس كما تقدم شرحه ثم انتقل من السفاح الى المنصور فلم يكن له همة سوى طلب النفس الزكية لقتله او لخلعه واغراه بذلك ان الناس كانوا يتحدثون بالميل الى النفس الزكية وكانوا يعتقدون فيه الفضل والشرف ولم يبايعه فطالبه المنصور من أبيه عبد الله المحض وكان عبد الله المحض من رجال بني هاشم وساداتهم فألزمه المنصور باحضار ابنيه محمد النفس الزكية وابراهيم فقال لا علم لي بهما وكانا قد تغيبا خوفا منه فلما طول القول قال يا عبد الله قال كم تطول والله لو كانا تحت قدميّ لما رفعتهما عنهما سبحان الله آتيك بولديّ لتقتلهما فقبض عليه وعلى أهله من بني الحسن وكان من امرهم ما تقدم شرحه رضي الله عنهم وسلم عليهم

﴿ شرح خروج النفس الزكية هو محمد بن عبد الله المحض بن الحسن ابن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ﴾

كان النفس الزكية من سادات بني هاشم ورجالهم فضلا وشرفاً وديناً وعلما وشجاعة وفصاحة ورئاسة وكرامة ونبلا وكان في ابتداء الامر قد شيع بين الناس أنه المهدي الذي بشر به وأثبت ابوه هذا في نفوس طوائف من الناس وكان يروى أن الرسول صلوات الله عليه وسلامه قال لو بقي من الدنيا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه مهديا أو قائمنا اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم أبي ، فأما الامامية فيروون هذا الحديث خالياً من واسم أبيه كاسم أبي

فكان عبد الله المحض يقول للناس عن ابنه محمد هذا هو المهدي الذي بشر به هذا محمد بن عبد الله ، ألقى الله محبته على الناس فمالوا اليه كافة ثم بعد ذلك ان أشراف بني هاشم بايعوه ورشحوه للامر وقدموه على نفوسهم فزادت رغبته في طلب الامر وزادت رغبة الناس فيه وما زال مستتراً منذ أفضت الدولة الى بني العباس خوفاً منهم على نفسه فلما علم بما جرى لوالده واقربائه ظهر بالمدينة وأظهر أمره وتبعه أعيان المدينة ولم يتخلف عنه الا نفر يسير ثم غلب على المدينة وعزل عنها أميرها من قبل المنصور ورتب عليها عاملا وقاضياً وكسر أبواب السجون وأخرج من بها واستولى على المدينة ويوم خرج محمد بن عبد الله وقبل ما قبل بالمدينة توجه رجل يقال له أويس العامري من المدينة الى المنصور في تسعة أيام وقدم ليلا فوقف على أبواب المدينة فصاح حتى علموا به فأدخلوه فقال الربيع الحاجب ما حاجتك في هذه الساعة وأمير المؤمنين نائم قال لا بد لي منه فدخل الربيع وأخبر المنصور خبره وأدخله اليه فقال يا أمير المؤمنين خرج محمد بن عبد الله بالمدينة وفعل

وضع قال أبت رأسه قال نعم وبايعه على منبر رسول الله صلوات الله عليه
وسلامه وخاطبه فادخله المنصور منا ثم تواترت الاخبار عليه بذلك فاخرجه
وقال له سوف تقال منك وأصنع وأعنك . فبكى لله وصلت من المدينة قال
في سبع ليال فاعطاه تسعة آلاف درهم بعد المنصور وقصد به راجب المدينة
حتى تكاتبا وترسلا فكتب كل واحد منهما الى صاحبه كتابا نادراً ممدوداً
من محاسن الكتب جمع فيه وذهب في الاحتجاج كلّ مذهب وفي آخر
الامر ندب ابن أخيه عيسى بن موسى لقتاله فوجه اليه عيسى بن موسى في
عسكر كثيف فالتقوا في موضع قريب من المدينة فكانت الغلبة لعسكر
المنصور فقتل محمد بن عبد الله وحمل رأسه الى المنصور وذلك في سنة خمس
وأربعين ومائة * ثم خرج أخوه ابراهيم بن عبد الله فقتل بباخمرى بالبصرة

* شرح كيفية الحال في ذلك على سبيل الاختصار *

كان ابراهيم بن عبد الله في حال غيبة يحضر الى عسكر المنصور متنكراً
وربما جلس على السماط وكان المنصور شديد الطلب له فخرج من مدينة
المنصور ومضى الى البصرة وأظهر أمره ودعا الى نفسه فتبعه جماعة وكثرت
جموعه فارسل المنصور اليه ابن أخيه عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتل
النفس الزكية فوجه عيسى بن موسى اليه خمسة عشر ألف مقاتل فالتقوا
بقرية يقال لها باخمرى قريبة من الكوفة فكانت الغلبة لعسكر المنصور وقتل
ابراهيم في المعركة وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة رحمه الله تعالى

وكانت أيام المنصور ذات فتوق وأحداث . فمن خرج عليه عمه عبد الله
ابن عليّ وكان السفاح أرسله الى قتال مروان الحمار كما تقدم شرحه ثم مات
السفاح وولي المنصور الخلافة وعبد الله بن عليّ بالشأم فطمع في الخلافة

وخطب الناس وقال ان السفاح نذب بني العباس لقتال مروان على ان يكون الخليفة بعده وانه قال لي ان ظهرت عليه وكانت الغلبة لك فانت ولي العهد بعدي وشهد له جماعة بذلك فبايعه الناس ولما اتصل الخبر بالمنصور أقامه ذلك وأقعده فقال له أبو مسلم الخراساني ان شئت جمعت ثيابي في منطقتي وخدمتك وان شئت أتيت خراسان وأمددتك بالجنود وان شئت سرت الى حرب عبد الله بن علي فأمره بالمسير الى حرب عبد الله فسار أبو مسلم بعسكر كثيف فتطاول الامد بينهما شهوراً كانت في آخرها الغلبة لعسكر أبي مسلم فهرب عبد الله بن علي الى البصرة ونزل على أخيه سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس فسعى سليمان فيه الى المنصور وطلب له الامان فأمنه المنصور وكتب له كتاباً مليئاً بالترغيب فيه بكل شيء فلما جاء اليه حبسه ومات في حبسه فقيل إنه بني له بيتاً وجعل في أساساته ملحاً ثم أجرى الماء فيه فسقط البيت عليه

ثم ان المنصور هو الذي قتل أبا مسلم الخراساني

﴿ شرح الحال في ذلك ﴾

كان في نفس المنصور قديماً حزازة من أبي مسلم وكان بينهما تباغض وقد كان المنصور أشار على أخيه السفاح بقتله فامتنع السفاح وقال كيف يكون ذلك مع حسن بلائه في دولتنا فلما ولي المنصور الخلافة أرسل أبا مسلم الى الشأم لحرب عمه عبد الله بن علي بن العباس كما تقدم شرحه فلما ظفر أبو مسلم وغنم جميع ما كان في عسكر عبد الله بن علي وانهزم عبد الله الى البصرة أرسل المنصور بعض خدمه ليحافظ على باقي العسكر من الاموال فغضب أبو مسلم وقال أمين على الدماء خائن في الاموال وشتم المنصور وكتب بعض أصحاب الاخبار بذلك الى المنصور وعزم أبو مسلم على الخلاف وأن يتوجه

الى حراسان ولا يحصر سـد المنصور لخاف المنصور أن سوحه أبو مسلم الى حراسان بهذه الصفه فيفسـد عليه الامور هناك

وكان أبو مسلم رجلا مهيباً داهيـه شجاعا لبقاً حريصاً على الامور فطناً عالماً قد سمع الحـديث وعلم من كل شيء فكتب اليـه المنصور يطلب منـه ويشكره ويعده الجميل وبـستدعي منه الحضور فأجاب أني على الطاعه واني متوجه الى حرسان فان أصلحت عنك كنت سامعاً مطيعاً وان أبيت الا أن تعطي نفسـك سؤلها كنت قد نظرت امـى بالحال التي فارقها السلامه فاشتد خوف المنصور منه وخوفه عليه وكتب اليه كتاباً معناه انك لست في نظرنا بهـذه الصفه التي قد وسمت بها نفسك وان حسن الامك في دولتنا نفسك عن هذ القول ويستدعي منه الحضور وقال لوجوه بني هاشم اكتبوا أنتم أيضاً اليه فكتبوا اليه يحثون عليه خلاف المنصور ومسافقه ويحسنون له الحضور عنده والاعتـذ اليه وأرسل المنصو الكتب على يد رجل عاقل من أصحابه وقال له ممض اليه وخذمه ألين حديث تحدثه أحداً فانـ رجع فارجع به حتى تقدم به على وان أصر على المسافقه وصمم على التوجه وأيست منه ولم تر لك حيله فقل له يقول لك فلان لست من العباس وبرئت من محمد ان مضيت على هذه الحال ولم تعد ان تولى حربك غيرى وعلي كذا وكذا ان لم أقول أما ذلك فمضى الرسول اليه وناوله الكتب فقرأها والتفت الى صديق له فقال له مالك بن الهيثم وقال له ما الرأى قال الرأى أن لا ترجع اليه فانك ان رجعت اليه قتلك وان مضيت على طريقك حتى تصل الى الري وتم عندك فتقيم وتنظر في أمرك فان حدث لك حادث كانت حراسان من ورائك فعزم أبو مسلم على ذلك وقال للرسول قل لصاحبك انه ليس من

رأى المنصور عندك وأنا متوجه الى خراسان فقال له الرسول يا أبا مسلم أنت ما زلت أمين آل محمد فأنشدك الله أن تسم معك تسمه العصيان والشقاق والرأى ان تحضر عند أمير المؤمنين وتعتذر اليه على ترى عنده الا ما تحب فقال له ابو مسلم متى كنت تخاطبني بمثل هذا الخطاب فقال الرجل سبحان الله أنت دعوتنا الى ولاية هؤلاء القوم ونصرتهم وطلبت لنا من خالفهم فاطلبوه فلما دخلنا معك فيما ندبتنا اليه رجعت عنه وأنكرته علينا فقال ابو مسلم هو ما قلت لك وانت ارجع فقال له فليس عندك غير هذا قال ثم خلا به وابلغه ما قال المنصور فوجم واطرق ساعة ثم قال ارجع واعتذر اليه ورجع ثم سلم عسكره الى بعض أصحابه وقال له ان جاءك كتابي وهو مختوم بنصف خاتمي فهو كتابي وان كان مختوماً بكل الخاتم فاعلم انه ليس مني وأوصاه بما اراد ثم سار الى المنصور فلقيه بالمدائن فلما علم المنصور بوصوله أمر الناس جميعاً بتلقيه فلما دخل عليه قبل يده فأدناه وأكرمه ثم أمره بان يعود الى خيمته ويستريح ويدخل الحمام ويعود من الغد فمضى فلما أصبح أتاه رسول المنصور يدعوه وقد أعد المنصور جماعة من أصحابه خلف الستور بأيديهم السلاح فأوصاهم أنه اذا ضرب باحدى يديه على الاخرى يخرجون فيقتلون ابا مسلم فلما دخل ابو مسلم عليه قال له أخبرني عن سيفين وجدتهما في عسكر عبد الله بن علي فقال ابو مسلم هذا أحدهما وكان في يده سيف فأخذه المنصور ووضعه تحت مصلاه ثم شرع في توبيخه وتقريعه على ذنب ذنب وأبو مسلم يعتذر عن كل واحد بعذر فعدّد عليه عدة ذنوب فقال أبو مسلم يا أمير المؤمنين مثلي لا يقال له هذا ولا يعدد عليه مثل هذه الذنوب بعد ما فعلت فاغتاظ المنصور وقال يا ابن الخبيثة انت فعلت والله لو كانت مكانك أمة سوداء لفعلت ما فعلت وهل نلت ما نلت

إلا سا وبدولسا فقال ابومسلم دع هذا فقد أصبحت لا أخشى غير الله فضرب المنصور بيده على الاخرى فخرج وللك النفر وخبطوه بالسيوف فصاح استبقني يا أمير المؤمنين لعدوك فقال المنصور وأى عدو لى أعدى منك ثم أمر به فكفن فى بساط ودخل عيسى بن موسى فقال أين ابو مسلم يا أمير المؤمنين فقال المنصور هو ذلك فى البساط فقال عيسى قال ثم قال (انا لله وانا اليه راجعون) بعد بلائه وفعله ونكاته وكان المنصور قد آمنه وكان عيسى ابن موسى على ذلك فقال له المنصور خلع الله قلبك والله ليس لك على وجه الارض عدو أعدى منه وهل كان لكم ملك فى حياته ثم أمر المنصور فقال لجنده فغرموا وصرف المنصور فى خرسان وذلك فى سنة سبع وثلاثين ومائة

وفى عقب قتل ابن مسلم خرج رجل اسمه سنباد بخرسان يطالب بثأر ابى مسلم الخرسانى

سرح كمه الحال فى ذلك على سبيل الاختصار

كان هذا سنباد رجلا مجوسيا من بعض قرى نيسابور وكان من أصحاب ابى مسلم وصنائعه فظهر غضبا لقتل ابى مسلم وكثر أتباعه وأطاعه أكثر أهل الجبال وغلب على كثير من بلاد خرسان فلما بلغ المنصور خبره رسل اليه عشرة الف فارس فالتقوا بين همذان والرى وكان هذا سنباد قد أخذ فى البلاد التى غلب عليها فساد كثيراً وسبى الذرارى ... وبذلك بعض لى الحصار ويهدم الكعبة فلما التقى هو وعسكر المنصور كان سنباد قد أخذ معه عدة من النساء المسلمات اللواتى قد سباهن وهن على جمال أمر سنباد باخراج النساء المسبيات قدام عسكره فخرج النساء حوت على الجمال وصحن

صبحه وحده وا محداه فعرف الخال وكر راجعه على عسكر بغداد فهزمهم فسمرا عسكر المنصور ودخلوا خلف الخال فوضعوا فيهم السيوف وأبادوه قتلا وكان عدد القتلى نحواً من ستين الفا وقد دل الاستمرار على أن . . . حرع دوله واحدة لم يسمع بها في أغلب الاحوال قال صلوات الله عليه (لا تعمو الدول فتحرموها) وكأن تجرع للدوله تكون عنده من الدالة والبسط ما يأنف من حماله نفوس الملوك فكلما زاد بسطه زادت الأنفه عنده حتى يوقعوا به والمنصور خلع ابن أخيه عيسى بن موسى من ولاية العهد وجعلها في ابنه محمد المهدي

ترجمة الخال في ذلك

هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس أمير الكوفة وهو ابن اخي المنصور

كان عيسى بن موسى قد جعله ابراهيم الامام ولي عهد بعد المنصور وأخذ له البيعة على الناس وحلفهم له فلما كبر المهدي بن المنصور شغف المنصور به شغفا شديداً فأحب أن يبايع له بالخلافه فخلع عيسى بن موسى وأشهد عليه بالخلع وبايع للمهدي وجعل عيسى بن موسى بعده

ترجمة خلع عيسى بن موسى

قد حلف أرباب السير في كيفية خلعه فقيل ان المنصور التمس منه ذلك وكان يكرمه ويجلسه عن يمينه ويجلس المهدي عن يساره فلما فاوضه المنصور في خلع نفسه قال يا أمير المؤمنين كيف أصنع بالأيمان التي في رقبتي وفي رقاب الناس بالعتاق والطلاق والحج والصدقة ليس الى الخلع سبيل فتغير المنصور عليه وباعده بعض المباعدة وصار يأذن للمهدي قبله ويجلسه

دون المهدي وصار يقصد أذاه فكان يكون عيسى بن موسى جالساً بحجر الحائط الذي يليه وينزل التراب على رأسه فيقول ابنه يحوله فيقوم هو منه لئلا والتراب ينثر عليه ثم يؤذن له فيدخل على المنصور والتراب عليه لا ينفضه فيقول له المنصور يا عيسى ما يدخل أحد على مثل ما تدخل به من الغبار والتراب فكل هذا من الشارع فيقول عيسى أحسب ذلك يا أمير المؤمنين ولا يشكو

وقيل انه سقاه بعض ما يتلفه فمرض مدة ثم عافى منه فلم يزل هذا الأذى يتكرر عليه حتى خلع نفسه وبايع

وقيل بل وضع المنصور الجند فصاروا يسمون عيسى بن موسى دابة وه ويسالون منه فلما شكا ذلك الى المنصور قال له يا ابن اخى انى والله اخافهم عليك وعلى نفسى فانهم قد أشربوا قلوبهم حب هذا الفتى يعنى المهدي فلو قدمته من بعدك فخلع عيسى نفسه وبايع المهدي ولما رآه بعض اهل الكوفة وقد جعل المهدي قدامه في الخلافة وصار هو بعده قال هذا الذى كان غداً فصار بعد غد وقيل بل اشتراها المنصور منه بمال مبلغه احد عشر الف الف درهم

وقيل بل أرسل اليه خالد بن برمك فاحضر معه جماعة من أهل المنصور نحو ثلاثين رجلا ومضى الى عيسى فخاطبه فى أن يخلع نفسه فأبى فلما أبى قال خالد للجماعة اشهدوا عليه انه قد خلع نفسه وبايع فحضر بذلك دونه وشكر هذه النية فشهدوا عليه بذلك فعاقب الشهود به وانكر عيسى فلم يلتفت اليه وتم خلعه وبويع للمهدي والله أعلم أي ذلك كان والمنصور هو الذى في الزمانه لابنه المهدي

﴿ شرح البيت في بابها ﴾

كان الجند قد شغبوا على المنصور فقال المنصور لقثم بن العباس بن عبد الله بن العباس ماترى الساث الجند وإنى خائف أن يجتمع كلمهم فقال له يا أمير المؤمنين الرأى أن تعبر ابنك الى الجانب الشرقى وتعبر معه قطعة من العسكر وتبنى له مدينة فيصير هو فى مدينة وعسكر بالجانب الشرقى وانت فى مدينة وعسكر بالغربى فان رابك حدث من أحد الجانبين ضربت عليه بالجانب الآخر فقبل قوله وبنى الرصافة وبنيت الرصافة وصار الخلفاء بعد ذلك يدفنون موتاهم بها وبنو بها الترب الجليلة وحملوا اليها من الفرش العظيم والآلات الجليلة ما يتجاوز حصر ووقفوا عليها من النواحى والأقرحة والعقارات جملة كثيرة وكانت بنو أباء ثم حرما يد لجأ اليها الخائف أمن

ومات المنصور محرما بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة فكتم الربيع أمره لأجل البيعة للمهدى فقال به أجلسه وسنده وجعل على وجهه كلة خفيفة يرى وجهه منها ولا يفهم أمره وأذن لوجوه بنى هاشم فلما دخلوا ووقفوا بين يديه وهم يحسبون أنه حىّ عنده الربيع اليه كأنه يشاوره ثم عاد اليهم وقال أمير المؤمنين أمركم بتجديد البيعة للمهدى فبايع الناس طرا

وقيل ان المهدى لما بلغه ذلك سخط بالربيع وقال ما منعك هيبة أمير المؤمنين من هذا الفعل به

« شرح حال الوزارة فى أيامه »

لم تكن الوزارة فى أيامه طائلة لاستبداده وسماته برأيه وكفاءته مع انه كان يشاور فى الأمور دائماً وانما كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم أبهة ولا رونق

« وزارة ابى أيوب المورياني للمنصور »

موريان قرية من قرى الاهواز ، كان المنصور قد اشتراه صبياً قبل الخلافة وسمه فاصى به أرسله مرة الى أخيه السفاح وهو خليفة وأرسل معه هدية فلما رآه السفاح أعجبه هيئته وفصاحته وصباحته فقال له ياغلام لمن انت قال لاخي امير المؤمنين قال بل انت لي وحبسه عنده وكتب الى المنصور يعلمه انه قد أخذه وأعجبه وخص بالسفاح مدة خلافته ثم ... حاله وتزايدت ثم نبه عنده حتى قلده المنصور وزارته وكان لبيباً بصيراً بالامور عاقلا فطناً ذكيا فاضلا كريماً غزير المروءة

﴿ مكرمة ﴾

حدث ابن شبرمة قال زوجت ابني على صداق مبلغه الفا درهم فطلب أفكر فيمن استعين به على ذلك فأتيت ابا أيوب الموريانى وزير المنصور فذكرت له ذلك فقال قد أمرنا لك بهذا القدر فخرجت جذلاً وقمت لأخرج فقال لا تعجل اجلس ثم قال اذ دفعت المهر فما يحتاج بيتك الى نفقة ثم قال أعطوه الفي درهم للنفقة وذهبت لأقوم فقال لا تعجل فلا يحتاج الى خادم أعطوه الفي درهم لخادم فما زال يأمر لي في كل مرة بالفين الفين حتى كمل ما أمر لي به خمسة الف درهم

﴿ ذكر القبض على ابي أيوب سليمان الموريانى وزير المنصور ﴾

كان ابو أيوب يحب جمع المال ليعرب به الى المنصور اذا خافه فقال له المنصور يوما ماترى حال صالح بني ابيه له ضيعة فقال يا ابوب يا امير المؤمنين بالاهواز مزرع باطلة يحتاج الى ثلاثمائة الف درهم يعمرها ويقوم منها حاصل جيد فاطلق له ثلاثمائة الف درهم وأمره بعمارتها لابنه صالح فأخذ ابو أيوب المال ولم يعمل في الضيعة شيئاً وصار في رأس كل سنة يحمل

عشرين الف درهم ويقول هـذه حاصل الصنعه المستجده فانكتم الحال عن المنصور مده ثم ان أعداء ابى أيوب وجدوا هذا طريقاً الى السعايه به فأعلموا المنصور الحال فانحدر بنفسه الى هناك فأمر ابو أيوب أن تبنى بيوت على حافات الشط وتغرس فيها كرم ويحصر حوالبها فلما فعل ذلك اختار المنصور بها فقال له ابو ايوب هذه هى الصنعه فرأى المنصور العماره والخضره فكاد الامر يشتبه عليه فأعلمه أعداء ابى أيوب صوره الحال فركب بنفسه وأخذ الادلاء معه وطاف الصنعة فوجدها عاطلة لاعمارة فيها فعرف القصه ونبه على خيانه ابى ايوب فنكبه وقتله وقتل اقاربه واستصفى أموالهم . وقال ابن حيدان الشاعر الكوفى فى ذلك (خفيف)

قد وجدنا الملوك تحسد من أعـ ـطته طوعاً أزمـه التدبير

فاذا ما رأوا له النهى والامـ ـر أتوه من بأسهم بنكير

شرب الكأس بعد حفص سليمـا ن ودارت عليه كف المدير

ونجا خالد بن برمك منها إذ دعوه من بعدها بالامير

بؤس العاملين حالا لديهم من يسمى بكاتب أو وزير

﴿ وزاره الربيع بن يونس للمنصور ﴾

هو ابو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان هو ابو فروه مولى عثمان بن عفان كان يقال إن الربيع لقيط ولذلك قال يوما لرجل كرّر الترحم على أبيه فى حضره المنصور كم تكرّر ذكر أبيك وتترحم عليه فقال له الرجل إنك معذور فى ذلك لانك لم تذق حلاوه الآباء . قالوا والصحيح أنه ابن يونس بن محمد بن أبى فروه ولكنه لغير رشده قالوا وقع يونس بن محمد على جاريه لهم فولدت له الربيع فأنكره يونس فبيع وتنقل فى الرق حتى

وصل الى بنى العباس وبلغني أن علاء الدين عطا ملك بن الجويني صاحب الديوان كان ينسب إلى الفضل بن الربيع . ولقد عجبت من الصاحب علاء الدين مع نبله وفضله واطلاعه على السير والتواريخ كيف رضي أن ينتسب الى الفضل بن الربيع فان كان هذا أصل هذا النسب فصحيحه ظاهره وان كان حقاً فلقد كان العاقل الصحيح ينبغي ستره فانه نسب لا يوجد أرذل منه ولا أفضح ولا أسقط أما أولاً فلأن الفضل بن الربيع لم يكن حراً في نفسه وكان مرمياً بالقاحبة . قالوا كان له شيء أسه وكان يقال له حامل الفضل وعمل الشعراء فيه أشعاراً منها (متقارب)

لواط خليفته أعجوبه وأعجب منه نعاء الوزير

فلو سمعاه هذا بذا لكانا بعرضه أمر ستير

واما ثانياً فلأن الربيع وان كان جليلا كافياً إلا أنه كان مدخول النسب فكان يقال إنه لقيط ونارة يقال إنه ولد زنا وأحسن أحواله أن يكون صحيح الاتصال الى أبي فروه مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه وفى ذلك أعظم العار فان أبا فروه كان ساقطاً وكان عبداً للحرث حفار القبور بمكة والحرث مولى عثمان بن عفان فابو فروه عبد عبد عثمان وفى ذلك يقول الشاعر (طويل)

وان ولاء كيسان للحرث الذى ولي زمنا حفر القبور سريب

وأبو فروه خرج على عثمان يوم الدار وكفاه بذلك عاراً فانظر هل ترى نسبا أسقط أو أرذل من هذا وأعجب من رأى الصاحب علاء الدين فى هذا فلو حضرته ممن يعرف هذا القدر فنبهه عليه

كان الربيع جليلا نبيلا منفذا للامور مهيباً فصيحاً كافياً حازما عاقلا فطناً خبيراً بالحساب والأعمال حاذقا بامور الملك بصيراً بما يأتى ويذر

محاً لعمل الخير

روى أن المنصور أحضر يوما سابا ذكر له أنه وثب على عامله ببعض النواحي فقال له المنصور ويحك ثب الموثب على فلان العامل والله لا تثرن من لحك أكثر مما نبى منه على عظمك وكان شيخا كبيراً فانشد بصوت ضعيف (كامل)

أتروض عرسك بعد ماهرمت ومن العناء رياضة الهرم

فقال المنصور ياربيع مايقول فقال يقول (بسيط)

العبد عبدكم والامر أمركم فهل عذابك عنى اليوم مصروف

فقال قد عفونا عنه فلتصرف ورأى المنصور يوما فى بستانه شجرة من شجر الخلاف فلم يدر ماهى فقال ياربيع ماهذه الشجرة فقال الربيع اجماع ووفاق وكره أن يقال خلاف فاستظرفه المنصور واستحسن قوله

ولم يزل الربيع وزيراً للمنصور الى أن مات المنصور وقام الربيع أخذ البيعة للمهدى على ما عنده وهو آخر وزراء المنصور وقتله الهادى وكان سبب قتله أنه أهدى جارية حسناء الى المهدى بن المنصور فوهبها المهدى لابنه موسى الهادى فعلقت منها قلبه وأولدها أولاده فلما صار الهادى خليفة سعى اليه أعداء الربيع وقالوا له انه اذا رأى سبك قال والله ماوضعت فى الأرض أطيب من أم هؤلاء فعظم ذلك على الهادى وعلى نفسه وعلى جاريته ثم ناوله الهادى قدحا فيه عسل مسموم فشربه فمات ليومه وذلك فى سنة سبعين ومائة * انقضت أيام المنصور ...

* ثم ملك بعده ابنه محمد المهدى *

هو ابو عبد الله محمد المهدى بن ابى جعفر المنصور وقد ... سنة ...

له بالخلافه بمكه فى سنه عشر وخمسين ومائه

كان المهدى شهماً فطناً كريماً شديداً على أهل الالحاد والزندقة لا تأخذه فى إهلاكهم لومة لائم وكانت أيامه شبيهه بأيام أبيه فى الموقف والحوادث والخوارج وكان يجلس فى كل وقت لرد المظالم

روى عنه أنه كان اذ جلس للمظالم قال أدخلوا على القضاة فلو لم يكن ردى للمظالم إلا للحياء منهم لكفى

وحدث عنه انه خرج متنزها ومعه رجل من خواصه يسمى عمرو فانقطعا فى الصيد عن العسكر فجاع المهدى فقال هل من شئ يؤكل فقال له عمرو أرى كوخا فقصدوه فاذا فيه نبطى وعنده مبقلة فسلموا عليه فرد السلام فقالو هل من طعام فقال عندى ربثاء وهو نوع من الصحناء وعندى خبز شعير فقال المهدى ان كان عندك زيت فقد كملت ضيافته قال نعم وكرات فأتاهما بذلك فأكلا حتى شبعا فقال المهدى لعمرو قل فى هذا شعراً فقال

(خفيف)

إن من يطعم الربثاء بالزيـــــت وخبز الشعير بالكرات

لحقيق بصفعه أو بثنتين لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال المهدى بئسما قلت انما كان ينبغى أن تقول

لحقيق ببدره او بثنتين لحسن الصنيع أو بثلاث

قال ووافاهم العسكر والخزائن والخدم فأمر للنبطى بثلاث بدر وانصرف * وفى أيامه ظهر المقنع بخراسان

* شرح كيفيه الحال فى ذلك *

كان هذا المقنع رجلا أعور قصيراً من أهل مرو وكان قد عمل وجهاً

من ذهب وركبه على وجهه لئلا يرى وجهه وادعى الالهية وكان يقول ان الله خلق آدم فتحول فى صورته ثم فى صورة نوح وهكذا هلمّ جرّا الى أبى مسلم الخراسانى وسمى نفسه هاشما وكان يقول بالتناسخ وبايعه خلق من ضلال الناس فكانوا يسجدون الى ناحيته أين كانوا من البلاد وكانوا يقولون فى الحرب يا هاشم أعنا واجتمع اليه خلق كثير

فأرسل المهدى اليه جيشاً فالتجأ منهم بقلعة هناك وطاولوه فضجر وضجر أصحابه فطلب أكثرهم الامان وبقى معه نفر يسير وهو فى القلعة محاصر فأضرم ناراً عظيمة وأحرق جميع ما بالقلعة من دواب وثياب ومتاع ثم جمع نساءه وأولاده وقال لاصحابه من أحب منكم الارتفاع معى الى السماء فليلق نفسه فى هذه النار ثم القى فيها نفسه وأولاده ونساءه خوفاً ان تظفر بحرمه وبحرمه فلما خمدوا فتحت أبواب القلعة فدخلها عسكر المهدىّ فوجدوها خالية خاوية

ولما ولى المهدى الخلافة جدد الكلام فى خلع عيسى بن موسى والبيعة لولديه موسى الهادى وهرون الرشيد وقد تقدم شرح كيفية خلعه فى ايام المنصور وانه قدم المهدى عليه فلما ولى المهدى أراد نفسه ما أراد المنصور له فطلب من عيسى بن موسى ان يخلع نفسه فأبى فأرهبه وارعبه حتى أجاب واشهد عليه بالخلع وبايع لولديه الهادى والرشيد

وكان المهدى ينظر فى الدقائق من الامور وكذلك كان أبوه فتقدم المهدى حين ولى برد نسب آل زياد بن أبيه الى عبيد الثقفىّ واسقاطهم من ديوان قريش وبرد نسب آل أبى بكرة الى ولاء رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وكتب الكتب بذلك فاعتمد ما رسم به ثم بعد ذلك ارتشى العمال

من بى رباد وأعادوهم الى دىوان قرىس وعر المهـدى الروم عده دڡعاب وكاں له الغلبه ومات المهدى عماسـدں واحىلف ڡى سىب موىه

فعىل انه طرد طىىاً ڡى ىعص مىصـداته ڡدحل الطى الى ىاب حرىه فدحل فرس المهدى حلفه فدقه ىاب الحرىه فقطع ظهره فمات من ساعىه * وقىل ان ىعض حوارىه جعلت سماً ڡى ىعض المآكل لجارىه أحرى فأكل المهدى مىه ، فهو لا ىعلم فمات ، وذلك ڡى سىه سىع و ستىں ومائه * وقال أىو العاهىه ىصف حوارىه وقد برزں ىعد موىه وعلىهں المسوح (رمل)

رحں ڡى الوسى وأقىلـــں علىهں المسوح
كل ىطاح مں الدهـــــر له ىوم ىطوح
لسـب ىالىاق ولو عمـــرت ما عمر ىوح
فعلى ىفسك ىح ں ـكىں لا ىد ىوح

سرح حال الوزاره ڡى اىامه

ڡى أىامه ظهرت أبهه الوزاره ىسىب كفاءه وزىره ابى عىىد الله معاويه ابں ىسار فانه جمع له حاصل المملكه ورىب لها ىں ووزر الفوائد وكان كاتب الدىىا وأوحد الناس حدقاً وعلما وىدىىرا

* وهذا سرح طرف مں حاله *

وزاره أبى عىىد الله معاوىه ىں ىسار للمهدى هو مں موالى لأسعريں كان كاتب المهدى ومائه قىل الحلافه ىصمه المىصور الىه وكان قد عزم على ان ىستوزره لكىه آىر ىه اىىه المهدى فكان عالماً على امور المهدى لا ىعصى له قولا وكان المىصور لا ىزال ىوصىه فىه وىامره ىامىال ما ىسىر ىه فلما مات المىصور وحلس المهدى على سرىر الحلافه فوض الىه ىدىىر المملكه وسلم الىه

الدواوين وكان مقدماً في صناعته فاخترع اموراً منها أنه نقل الخراج الى المقاسمة وكان السلطان يأخذ عن الغلات خراجاً مقرراً ولا يقاسم فلما ولى ابو عبد الله الوزارة قرر أمر المقاسمة وجعل الخراج على النخل والشجر واستمر الحال في ذلك الى يومنا وصنف كتاباً في الخراج ذكر فيه احكامه الشرعية ودقائقه وقواعده وهو اول من صنف كتاباً في الخراج وتبعه الناس بعد ذلك فصنفوا كتب الخراج وكان شديد التكبر والتجبر

روى أن الربيع لما قدم من مكة بعد موت المنصور وأخذ البيعة للمهدي حضر من ساعته وصوله الى باب أبي عبيد الله فقال له ابنه الفضل يا أبي نبدأ به قبل أمير المؤمنين وقبل منزلنا قال نعم يا بني هو صاحب الرجل والقائم على أمره قال فوصل الربيع الى باب أبي عبد الله الوزير فوقف ساعة حتى خرج الحاجب ثم دخل فاستأذن له فأذن له فلما دخل عليه لم يقم له ثم سأله عن مسيره وحاله فأخبره وشرع الربيع يحدثه بما جرى في مكة من موت المنصور واجتهاده في أخذ البيعة للمهدي فسكته وقال قد بلغنى الخبر فلا حاجة الى إعادته فاغتاظ الربيع ثم قام فخرج وقال لابنه الفضل على كذا وكذا ان لم أبذل مالي وجاهي في مكروهه وإزالة نعمته ومضى الربيع الى المهدي فاستصحبه واختص به كما كان مع ابيه فشرع في افساد حال أبي عبيد الله الوزير بكل وجه فلم يتفق له ذلك خلا بعض أعدائه وقال له قد ترى ما فعل معك ابو عبيد الله وكان قد اساء اليه وما فعل معي أيضاً فهل عندك تدبير في أمره قال الرجل لا والله ما عندي حيلة بعد عليه فانه أعف الناس فرجاً ويداً ولساناً ومذهبه مذهب مستقيم وحذقه في صناعته ما عليه مزيد وعقله وكفايته كما علمت ولكن به ردئ الطريقة مذموم السيرة والقول ينتج

اليه فان تهيأ حيلة من جهة ابنه فسبى ذلك فصل الربيع بن عبيد ولاح له وجه الحيلة عليه فسعى بابنه الى المهدي أنواعا من السعايات فتارة يرميه ببعض حرم المهدي وتارة يرميه بالزندقة وكان المهدي شديداً على أهل الالحاد والزندقة لا يزال يطلع عليهم ويفتك بهم فلما رسخ في ذهن المهدي زندقة ابن الوزير استدعى به فسأله عن شيء من القرآن العزيز فلم يعرف فقال لابيه وكان حاضراً ألم تخبرني أن ابنك يحفظ القرآن قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن فارقني مدة فنسيه فقال له قم فتقرب الى الله بدمه فقام ابو عبد الله فعثر ووقع وارتعد فقال العباس بن محمد عم المهدي يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تعفي الشيخ من قتل ولده وتولى ذلك غيره فأمر المهدي بعض من كان حاضراً بقتله فضرب عنقه واستمر ابوه على حاله من الخدمة الا أنه ظهر عليه الانكسار والهم فلبسه وتمكن بغضا قلب المهدي منه فدخل بعض الايام على المهدي ليعرض عليه كتباً قد وردت من بعض الاطراف فعنده المهدي باخلاء المجلس فخرج كل من به الا الربيع فلم يعرض ابو عبد الله شيئاً من تلك الكتب وطلب ان يخرج الربيع فقال له المهدي يا ربيع اخرج فتنحى الربيع قليلا فقال المهدي ألم آمرك بالخروج قال يا امير المؤمنين كيف أخرج وأنت وحدك وليس معك سلاح وعندك رجل من أهل الشأم اسمه معاوية وقد قتلت بالامس ولده وأوغرت صدره فكيف أدعك معه على هذه الحال وأخرج فثبت هذا المعنى في نفس المهدي الا انه قال يا ربيع انى اثق بأبي عبد الله في كل حال وقال لابي عبد الله الوزير اعرض ما تريد فليس دون الربيع سر ثم قال بعد ذلك المهدي للربيع انى استحي من ابي عبد الله بسبب قتل ولده فاحجبه عني فحجبه واستطع بداره واستحل

أمره وتهيأ للربيع ما اراده من ازالة نعمته ومات ابو عبد الله معاوية بن يسار في سنة سبعين ومائة

- وزارة ابي عبد الله يعقوب بن داود للمهدي -

هو من الموالي قال الصولي كان داود ابوه واخوته كتابا لنصر بن سيار امير خراسان. كان يعقوب بن داود سيعيا وكان في ابتداء امره مائلا الى بني عبد الله بن الحسن بن الحسن وجرت له خطوب في ذلك ثم إن المهدي خاف من بني الحسن أن يحدثوا أمرا لا يتدارك فطلب رجلا يثق به له أنس ببني الحسن ليستعين به على أمرهم فدله الربيع على يعقوب بن داود لصداقة كانت بين الربيع وبينه وليستعين به على ازالة دولة ابي عبد الله معاوية الوزير فاستحضره المهدي وخاطبه فرأى أكمل الناس عقلا وأفضلهم سيرة فتعلق به واستخلصه لنفسه ثم استوزره وفوض الامور اليه

وقيل ان السبب في وزارته غير هذا وهو أن يعقوب بن داود قرر للربيع مائة الف دينار إن حصلت له الوزارة فحمل الربيع من عليه في الخلوات عند المهدي فطلب المهدي أن يراه فلما حضر بين يديه رأى أكمل الناس خلقا فقربه ثم قال له يا أمير المؤمنين هاهنا أمور لا تنتهي الى علمك فان ولّيتني عرضتها عليك بذلك جهدي في نصيحتك فقرّبه وأدناه فصار يعرض عليه من المصالح والمهمات والنصائح الجليلة ما لم يكن يعرض عليه من قبل فاستخصه وكتب كتابا بأنه أخوه في الله تعالى واستوزره وفوّض اليه الامور كلها وسلم اليه الدواوين وقدمه على جميع الناس حتى قال بشار يهجوه (بسيط)

بني أمية هبوا طال نومكم ... ان الخليفة يعقوب بن داوود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خلافة الله بين الناي والعود

ودلك لان المهدي اشـعل بالهو واللعب وسماع الاعانى وفوص الامور الى نعوب ں داود وكان ٲصحاب المهدى سر بون عنده النبد وقل ما كان هو سـرب مه م فهاه نعموب ں داود عن دلك ، وعطه وقال أبىدالصلوات ں المسحد فعل هد لم بلتفت اليه وں دلك عول الساعر للمهدى

(طويل)

فدع عنك معوب ں د ود حـ سا   و مل على صهباء طيبـه النسر

ىم ان السعاه ما زالوا سـعون معوب ں داود لى المهدى حى نكبه وحمله ں المطبق وهو حبس المحلد ملم برل على دلك مده أيام المهدى ومده أيام الهادى حى أحرجه الرسـد

، سرح السبب ں الىعص عليه وكيفيه ما حرى

حدّث معوب ں د ود قال سدعانى المهدى يوما فدحلت عليه وهو ں محلس ں وسط سـ ان ورؤس الـسحر مع أرص دلك المحلس وقداملأت رؤس السحر مں لا هار المسوىه وقد مر ں المحلس ىمرس موردة و ىں ىديه حاريه حـ لم ٲر أحسن منها فقال لى يا نعموب كيف برى هـدا المحلس قلت ں عايه حسن ، أ الله امير المؤمنين قال ٯهو لك وجميع ما فيـه ومائه الف درهم وهده الحاريه لسر ـ ورك فدعوب له قال ولى اليك حاحه أريد أن تصمں لى قصاءها ولب يا أمير المؤمنين انا عندك الطائع لجميع ما أمر به فدفع الىّ رحلا علويا وقال أحب ان بكفىى أمره فانى حائف أن يحرح علىّ قال فقلت السمع والطاعه قال فحلف لى فحلفت له بالله ان افعل ما يريد ىم نقل جميع ما كان ں المحلس الى منرلى والحاريه أيصاً فى شده سروري بالحاريه حطها ى موصع قرب من محلسى ليس ىى وبينها سوى ستر رقيق

قال وادخلت العلوى الىّ وخاطبته فرأيته أتم الناس عقلا فقال لى يا يعقوب تلقى الله بدمى وانا ابن علىّ بن ابى طالب وابن فاطمة رضى الله عنها وليس لى اليك ذنب قال فقلت لا والله خذ هذا المال واخرج سمعتك قال والجارية تسمع كل ذلك فأرسلت الى المهدى دسيسا أعلمته بالقصة فأرسل المهدى وشحن الدروب بالرجال حتى حصل العلوى وجعله فى بيت قريب من مجلسه ثم استدعانى بحضرته فقال يا يعقوب ما فعلت بالعلوى قلت قد أراح الله منه امير المؤمنين قال مات قلت نعم قال بالله قلت اى والله قال فضع يدك على رأسى واحلف به قال يعقوب فوضعت يدى على رأسه وحلفت به فقال لبعض الخدم اخرج الينا من فى هذا البيت قال فأخرج العلوى فلما رأيته انسد الكلام على وتحيرت فى أمرى فقال المهدى يا يعقوب قد حل لى دمك خلوه الى المطبق قال يعقوب فدليت بحبل فى بئر مظلمة لا أرى فيها الضوء وكان يأتينى فى كل يوم ما أقوت به فمكثت مدة لا أدرى كم هى وذهب بصرى فى بعض الايام دلى لى حبل وقيل اصعد قد جاء الفرج فصعدت وقد طال شعرى وأظافرى فأدخلت الحمام وأصلحوا شأنى والبسونى ثيابا ثم قادونى الى مجلس وقيل لى سلم على امير المؤمنين فقلت السلام عليك يا امير المؤمنين فقيل لى على اى امراء المسلمين سلمت قلت على امير المؤمنين المهدى فسمعت قائلا من صدر المجلس يقول رحم الله المهدى ثم قيل لى سلم على امير المؤمنين فقلت السلام عليك يا امير المؤمنين فقيل لى على اى امراء المؤمنين سلمت فقلت على امير المؤمنين الهادى فسمعت قائلا يقول من صدر المجلس رحم الله الهادى ثم قيل لى سلم فسلمت فقيل لى على من سلمت قلت على امير المؤمنين هارون الرشيد فقال وعليك السلام يا يعقوب ورحمة الله وبركاته أعزز علىّ بما نالك فقلت المهدى

ق حل ودعوت بالرشيد فشكرته على خلاصي ثم قال ما تريد يا يعقوب فقلت يا أمير المؤمنين ما بقي فيّ مستمتع ولا بلاغ و يريد أجاوره بمكة فأمر لي بما يصلحني ثم وجهه يعقوب الى مكة وجاور بها ... فمات أيامه حتى مات هنالك سنة ست وثمانين ومائة

وزارة الفيض بن ابي صالح للمهدي

هو من أهل نيسابور وكان نصرانياً فأسلم على يد العباس ... ثم ولي الفيض في الدولة العباسية . أديب ورع وكان سخيا مفضالا متحرجا في ماله جوادا غزير الفضل كبير الهمة كثير الكرم . السهم حتى قال فيه بعض الشعراء

(طويل)

أبا جعفر خشّاك سائل بأنلا فاجوريا من دون بانلات السر

فيا رب مال عد منك سمامه برجي بها من سبب بانلات المطر

فلو كنت معطيا المنى وزيادة لنعمانا منك النجد بالكبر

قالوا كان يحيى بن خالد بن برمك ... حد كرمه وجوده قال لو رأيت الفيض لصغر عندك أمري . وفي الفيض يقول ... الأسود الحماني الشاعر يمدحه

(طويل)

ولائمة لامتك يا فيض في الندى فقلت لها ان يقدح اللوم في البحر

أرادت لتثني الفيض عن سنن الندى ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر

مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر

كأن وفود الفيض لما تحملوا الى الفيض وافوا عنده ليلة القدر

قالوا كان الفيض بن أبي صالح متوجهاً في بعض الايام الى بعض أغراضه فصادفه صديق له فسأله الفيض الى أين يذهب فقال ان وكيل

الـسـيده أم جعفر زبيده قد حبس فلانا على نفسه ضمان مبلغها مائة ألف دينار وفلان نعم الخصوص صديق وصديقك أيضاً وأنا متوجه الى الوكيل المذكور لأشفع فيه فهل لك أن تصل جناحي وتساعدني على هذه المكرمه فقال المفضل إي والله ثم مضى معه حتى جاء عند وكيل أم جعفر زبيده وشفعا في الرجل المحبوس فقال الوكيل الامر في هذا اليها وما أستطيع ان أفرج عنه الا بقولها ولكني أخاطبها وأحسن لها الافراج عنه ثم كتب اليها شيئا فخرج جوابه انه لا بد من استيفاء هذا المال منه ولا سبيل الى قبول شفاعه في هذا الباب فاعتذر الوكيل اليهما وأراهما الخط فقال الرجل للمفضل قم حتى نمضي فقد فعلنا ما يجب علينا فقال المفضل لا والله ما فعلنا ما يجب علينا فكأننا ما جئنا الى هنا الا لنؤكد حبس صاحبنا قال الرجل فما نصنع قال المفضل حيث قد تعذر علينا خلاصه من هذه الجهة نؤدي عنه هذا المال من خاصتنا وعرضه أنا نصفه وأنا نصفه فأجاب الرجل الى ذلك فقالا للوكيل كم لك عليه قال مائة ألف دينار قال هي علينا وقد حططنا بها فادفع الينا صاحبنا قال هذا أيضاً لا أقدر ان أعمله حتى أعلمها بالحال قال فاعلمها فكتب اليها الوكيل يخبرها بما قال المفضل وبصورة الحال فخرج الخادم وقال لا يكون المفضل أكرم منا قد وهبناه المائة الالف فادفع اليهم صاحبهم فأخذاه وخرجا

وكان المفضل قد وصف للمهدي لما عزم على يعقوب بن داود فلما قبض عليه احضر المفضل واستوزره وفوض الامور اليه ومات المهدي وهو وزيره فلما ولي الهادي لم يستوزره وبقي المفضل الى اول أيام الرشيد ثم مات وذلك في سنه ثلاث وسبعين ومائة وانقضت أيام المهدي ووزرائه

ثم ملك بعده ابنه موسى الهادي .

وبع له بالخلافه فى سنة سبع وستين ومائه

كان الهادى مسقطاً غيوراً كريماً سمحا ابداً سديد البطش جرئ القلب

عسمع الحس د إقدام وعرم وحزم حدث عبد الله بن مالك وكان سولى

سرطه المهدى قال كان المهدى يأمرنى بضرب ندماء الهادى ومغنيه وحبسهم

صيانة له عنهم فكنت افعل ما أمرنى به المهدى وكان الهادى يرسل لى فى

التخفيف عنهم فلا افعل فلما مات المهدى وولى الهادى أيقنت بالتلف

فاستحضرنى يوماً فدخلت عليه وهو جالس على كرسى والسيف والنطع بين

يديه فسلمت فقال لا سلم الله عليك أتذكر يوم بعثت اليك فى أمر الحرانى

وضربه فلم تقبل قولى وكذلك فعلت فى فلان وفلان وعدد ندماءه فلم تلتفت

الى قولى قلت نعم أفتأذن فى ذكر حجتى قال نعم قلت ناشدتك الله لو أنك

قلدتنى ما قلدنى المهدى وأمرتنى بما أمرنى به ثم بعث الى بعض بنيك بما يخالف

أمرك فاتبعت قوله وتركت قولك أكان يسرك ذلك قال لا قلت فكذلك

انا لك وكذلك كنت لأبيك فاستدنانى فقبلت يده ثم امر لى بالخلع وقال

وليتك ما كنت تتولاه فامض راشداً فمضيت مفكراً فى أمرى وأمره وقلت

حدث شرب والقوم الذين عصيته فى أمرهم ندماؤه ووزراؤه وكتابه

وكأنى بهم حين يغلب الشراب عليه يغلبون على رأيه ويحسنون له هلاكى

قال فانى لجالس وبين يدى بنية لى والكانون بين يدى وقدامى رقاق وكامخ وأنا

اسطره بالكامخ وأسخنه بالنار وآكل واطعم الصغيرة واذ بوقع حوافر

الخيل فظننت ان الدنيا قد زلزلت فقلت هذا ما كنت اخافه واذا الباب قد

فتح واذا الخدم قد دخلوا والهادى فى وسطهم على دابته فلما رأيته وثبت

فقبلت يده ورجله وحافر فرسه فقال لى يا عبد الله انى فكرت فى امرك

فقلت ربما سبق الى ذهنك انى اذا سرت وخولى اعداؤك ازالوا حسن رأى فيك فعلمك ذلك فصرت الى منزلك لاؤنسك واعلمك ان ما كان عندى من الحقد عليك قد زال جميعه فهات واطعمنى مما كنت تأكل لتعلم انى قد تحرمت بطعامك فيزول خوفك فادنيت اليه من ذلك الرقاق والكامخ فأكل ثم قال هاتوا ما صحبناه لعبد الله فدخل اربع مائة بغل موقرة دراهم وغيرها فقال هذه لك فاستعن بها على امرك وحفظ هذه البغال عندك لعلى احتاج اليها لبعض سفارى ثم انصرف

ومن كلامه ما قاله لابراهيم بن سليمان بن قتيبة وقد كان له ولد فخافه الهادى حرمه وكان عنده فعزله عطيته فقال له يا ابراهيم سرك ابنك وهو عدو وفتنة وحزنك وهو صلوة ورحمة فقال يا ابراهيم يا امير المؤمنين ما بقى فى جزء منه حزن الا وقد امتلا عزاء . ثم ان الامة خرج صاحب فخ وهو حسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام

شرح كيفية اوقعة فخ

كان حسين بن على من رجال بنى هاشم وساداتهم وفضلائهم وكان قد عزم على الخروج فبويع جماعة من أعيان اهل بيته ثم وقع من عامل المدينة تهضم لبعض آل على عليه السلام فثار آل أبى طالب بسبب ذلك وجمعوا اليهم ناس كثيرون فقصدوا دار الامارة فتحصن منهم عامله فكسروا السجون واخرجوا من فيها وبويع حسين بن على عليه السلام ثم مضى الى مكة فاتصل خبره بمحمد بن سليمان وقالوا سليمان بن المنصور فعسكروا فالتقوا بموضع يقال له فخ بين مكة والمدينة فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل حسين بن على رضى الله عنه وحمل رأسه الى موسى الهادى فلما وضع

الرأس من بدنه قال لي أحضره كأنكم قد جشم رأس طاغوت من الطواغيت إن أقل ماأجزيكم به حرمانكم وهو نطلق لهم شيئا وكان الحسن بن عليّ رضي الله عنه صاحب فتح سخاءً كريمًا قدم على المهدي فاعطاه ارمس ألف دينار ففرقها في الناس ببغداد والكوفة وخرج من الكوفة لا يملك ما يلبسه الا فروا ماتحته قميص رضي الله عنه وسلم عليه

وقد قال بعضهم للهادي فمال بقتله خيزران أمرت جواريها فغمه بالوسائد على وجهه حتى مات وسبب ذلك قد حلف فيه فقيل ان الخيزران كانت مسلطة في دولة المهدي تأمر وتنهى وتشفع وتحرم وتعطي والمواكب تروح وتغدو الى بابها فلما ولي الهادي وكان شديد الغيرة كره ذلك وقال لها ماهذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك وبيت يصونك والله ولا أنا في من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي وخاصتي لأضربن عنقه ولأقبضن ماله ثم قال لأصحابه أيما خير أنا وأمي أم أنتم وأمكم قالوا بل أنت وأمك قال فأيكم يحب أن يتحدث الرجال عن أمه فيقال فعلت أم فلان وصنعت أم فلان قالوا لا نحب ذلك قال فما بالكم تأتون أمي فتحدثون بحديثها فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها ثم بعث لها طعاما مسموما فلم تأكل منه ثم قتلته

وقيل بل السبب أن الهادي عزم على خلع أخيه هرون الرشيد والبيعة لابنه جعفر فخافت الخيزران على هرون وكانت تحبه فقتلت الهادي فاصابت ومات الهادي في سنة سبعين ومائة والليلة التي مات فيها هي ليلة مات فيها خليفة وخلف خليفة وولد خليفة وقد كانوا يحدثون أنه سيكون ليلة كذلك

فالخليفة الذي مات فيها هو الهادي والذي جلس فيها على سرير الخلافه هو الرشيد والذي ولد فيها هو المأمون

« شرح حال الوزاره في أيامه »

لما بويع بالخلافه استوزر الربيع بن يونس وقد سبق شرح طرف من سيرته ونسبه ، ثم استوزر بعده ابراهيم بن ذكوان الحرانيّ

« وزاره ابراهيم بن ذكوان الحرانيّ للهادي »

كان ابراهيم قد اتصل بالهادي في أيام حداثته كان يدخل اليه مع معلم كان يعلم الهادي فخف ابراهيم على قلب الهادي وألفه وصار لا يصبر عنه ثم سعى به الى المهدي فكره لابنه صحبته ونهاه عنه فما انتهى فهدّده بالقتل والهادي لا يساعده فاستدت به السعايات الى المهدي فارسل ابنه الهادي أن أرسل اليّ ابراهيم الحرانيّ والا خلعتك من الخلافه فارسله اليه صحبه بعض خدمه مربوطا فوصل اليه والمهدي يريد الركوب الى الصيد فلما رآه قال يا ابراهيم والله لأقتلنك والله لأقتلنك والله لأقتلنك ثم قال احفظوه حتى أعود من الصيد فاقبل على الدعاء والتضرع فاتفق أن المهدي أكل الطعام المسموم كما تقدم شرحه فمات من ساعته وتخلص الحرانيّ وجلس الهادي على سرير الخلافه ثم بعد ذلك بمديده استوزر الحرانيّ ولم تطل الايام حتى مات الهادي ، انقضت أيام الهادي ووزرائه

« ثم ملك بعده اخوه هارون الرشيد »

(خلافه هارون الرشيد « بويع بالخلافه في سنه سبعين ومائه)

كان الرشيد من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم كان يحج سنه ويغزو سنة كذلك مده خلافته الا سنين قليله « قالوا وكان يصلي

في كل يوم مائة ركعة وحج ماشياً ولم يحج خليفة ماشياً غيره وكان اذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبناؤهم واذا لم يحج أحج بلانفقة مائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الطاهرة وكان يقتدى في أفعاله بالمنصور إلا في بذل المال فانه لم ير خليفة أسمح منه بالمال وكان لا يضيع عنده احسان محسن ولا يؤخر وكان يحب الشعر والشعراء ويميل الى أهل الأدب والفقه ويكره المراء في الدين وكان يحب المديح لاسيما من شاعر فصيح ويجزل العطاء عليه

قال الاصمعي صنع الرشيد طعاما وزخرف مجالسه وأحضر ابا العتاهية وقال له صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال ابو العتاهية

(كامل)

عش ما بدا لك سالماً ... في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد أحسنت ثم ماذا فقال

يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح أو البكور

فقال حسن ثم ماذا فقال

فاذا النفوس تقعقعت ... في ظل حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا ... ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته فقال الرشيد دعه فانه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا منه. وكان الرشيد يتواضع للعلماء. قال ابو معاوية الضرير وكان من علماء الناس أكلت مع الرشيد يوما فصب على يدي الماء رجل فقال لي يا ابا معاوية أتدري من صب الماء على يدك فقلت لا يا أمير المؤمنين قال انا فقلت يا أمير المؤمنين انت تفعل هذا اجلالا للعلم قال نعم. وفي أيامه خرج يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن

« شرح كيفية الحال في خروج يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن ابن عليّ بن ابي طالب عليه السلام »

كان يحيى بن عبد الله قد خاف مما جرى على أخويه النفس الزكية وابراهيم قبل ما جرى فمضى الى الديلم فاعتقدوا فيه استحقاق الامامة وبايعوه وجمع اليه الناس من الامصار وقويت شوكته فاغتم الرشيد لذلك وندب اليه الفضل بن يحيى في خمسين الفا وولاه جرجان وطبرستان والري وغير ذلك فتوجه يحيى بالجنود فلاطف يحيى بن عبد الله وحذره وخوفه ورغبه فمال يحيى الى الصلح وطلب أمانا بخط الرشيد وأن يشهد عليه فيه القضاة والفقهاء وجلة بني هاشم فأجابه الرشيد الى ذلك وسر به وكتب له أمانا بليغاً بخطه وشهد عليه فيه القضاة والفقهاء ومشايخ بني هاشم وسير الآمان مع هدايا وتحف فقدم يحيى مع الفضل فلقيه الرشيد في أول الامر بكل ما أحب ثم حبسه عنده واستفتى الفقهاء في نقض الآمان فمنهم من أفتى بصحته فحاجه ومنهم من أفتى ببطلانه فأبطله ثم قتله بعد ظهور آية له عظيمة

« شرح الآية التي ظهرت في قصة يحيى بن عبد الله »

حضر رجل من آل الزبير بن العوام عند الرشيد وسعى بيحيى وقال إنه بعد الامان قال وصنع ودعا الناس الى نفسه فأحضره الرشيد من محبسه وجمع بينه وبين الزبيري وسأله عن ذلك فانكر موافقة الزبيري فقال له يحيى ان كنت صادقا فاحلف فقال الزبيري والله الطالب الغالب وأراد أن يتم اليمين فقال له يحيى دع هذه اليمين فان الله تعالى اذا مجده العبد لم يعجل عقوبته ولكن احلف له يمين البراءة وهي يمين عظيمة صورتها أن تقول بريء من حول الله وقوته ودخل في حول نفسه وقوتها ان كان كذا وكذا

فلما سمع الزبيري هذه اليمين ارتاع لها وقال ما هذه اليمين الغريبة وامتنع من الحلف بها فقال له الرشيد ما معنى امتناعك إن كنت صادقاً فيما تقول فما خوفك من هذه اليمين فحلف بها فما خرج من المجلس حتى ضرب برجله ومات

وقيل ما مضى النهار حتى مات فحملوه الى المقبرة وحطوه فيه وأرادوا أن يطموا القبر بالتراب فكانوا كلما حملوا التراب عليه ذهب التراب ولا يطم القبر فعلموا أنها آية سماوية فسقفوا القبر وراحوا وإلى ذلك أشار أبو فراس ابن حمدان في قصيدته بقوله (بسيط)

يا باهلاً في مباهلتهم كفاها | غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم
ذاق الزبيري غب الحنث وانكشفت | عن ابن فاطمة الأقوال والتهم

ومع ظهور مثل هذه الآية العظيمة قتل يحيى بن حسن بن علي رحمه الله
وكانت دولة الرشيد من أحسن الدول وأكثرها وقاراً ورونقاً وخيراً وأوسعها رقعة مملكة جبى الرشيد معظم الدنيا وكان أحد عماله صاحب مصر ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد وكان يصل كل واحد منهم أجزل صلة ويرفعه إلى أعلى درجة وكان فاضلاً شاعراً راوية للأخبار والآثار والأشعار صحيح الذوق والتمييز مهيباً عند الخاصة والعامة

قبض على موسى بن جعفر عليهما السلام وحبسه في قبة الى بغداد عند السندي بن شاهك ثم قتل وأظهر أنه مات حتف أنفه

شرح كيفية الحال في ذلك

كان بعض حساد موسى بن جعفر من أقاربه قد سعى به الى الرشيد

وقال له ان الناس يحملون الى موسى خمس أموالهم ويعتقدون إمامته وانه على عزم الخروج عليك وكثر في القول فوقع ذلك عند الرشيد موقع أهمه وأقلقه ثم أعطى الواشي مالاً أحاله به على البلاد فلم يستمتع به وما وصل المال من البلاد الا وقد مرض مرضة شديدة ومات فيها

وأما الرشيد فانه حج في تلك السنة فلما ورد المدينة قبض على موسى بن جعفر عليهما السلام وحمله في قبة الى بغداد فحبسه عند السندي بن شاهك وكان الرشيد بالرقة فأمر بقتله فقتل قتلاً خفياً ثم ادخلوا عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه اظهاراً أنه مات حتف أنفه صلوات الله عليه وسلامه

ومات الرشيد بطوس وكان خرج الى خراسان لمحاربة رافع بن الليث بن نصر بن سيار وكان هذا رافع قد خرج وخلع الطاعة وتغلب على سمرقند وقصد بلاداً ما ملكها وقويت شوكته فخرج الرشيد بنفسه اليه فمات بطوس في سنة ثلاث وتسعين ومائة

شرح حال الوزارة في أيامه

لما بويع بالخلافة استوزر كاتبه قبل الخلافة يحيى بن خالد بن برمك وضربت دولة بني برمك مضربها

شرح أحوال الدولة البرمكية وذكر مبدإها ومآلها

كانوا قديماً على دين المجوس ثم أسلم من أسلم منهم وحسن إسلامهم وقد ذكرنا وزارة جدهم خالد بن برمك في أيام المنصور ونذكر ههنا وزارة الباقين وقبل الخوض في ذلك نقدم كلمات نعرف منها شيئاً من أحوال هذه الدولة

اعلم أن هذه الدولة كانت غرة في جبهة الدهر . وتاجاً على مفرق

العصر . ضربت عكارمها الامثال . وشدت اليها الرحال . وشطت بها الآمال . وبذلت لها الدنيا أفلاذ أكبادها . ومنحها أوفر اسعادها . فكان يحيى وبنوه كالنجوم زاهره . والبحور زخره . والسيول دافعه والغيوث ماطره . أسواق الآداب عندهم نافقه . ومراتب ذوي الحرمات عندهم عاليه . والدنيا في أيامهم عامره . وأبهة المملكه ظاهره . وهم ملجأ اللهف ومعتصم الطريد ولهم يقول ابو نواس (طويل)

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم بني برمك من رائحين وغاد

- ذكر وزاره يحيى بن خالد للرشيد -

لما جلس الرشيد على سرير المملكه استوزر يحيى بن خالد بن برمك وكان كاتبه ونائبه ووزيره قبل الخلافه فنهض يحيى بن خالد بأعباء الدوله أتم نهوض وسد الثغور وتدارك الخلل وجبى الاموال وعمر الاطراف وأظهر رونق الخلافه وتصدى لمهمات المملكه وكان كاتباً بليغاً لبيباً أديباً سديد الاصابه في الآراء حسن التدبير ضابطاً لما تحت يده قوياً على الامور جواداً بارع الريح كريماً وجوداً ممدحاً تكل لسان بلغاء الشعراء ممدوحاً به وله يقول القائل

لا يرى مصافحاً كف يحيى اني ان فعلت ضيعت مالي
لو يمس البخيل راحة يحيى لسخت نفسه ببذل النوال

ومن آراء يحيى السديده ما قاله للهادي وقد عزم على أن يخلع اخاه هارون من الخلافه ويبايع لابنه جعفر بن الهادي وكان يحيى كاتب الرشيد وهو يرجو أن يتولى هارون الخلافه فيصير هو وزير الدوله فقال الهادي ليحيى ووهب له عشرين الف دينار وحادثه في خلع هارون اخيه والمبايعه لجعفر ابنه فقال له يحيى يا امير المؤمنين ان فعلت حملت الناس على نكث

لأيمان ونقض العهود وتجرأ الناس على مثل ذلك ولو تركت أخاك هارون
على ولاية العهد ثم بايعت لجعفر بعده كان ذلك أوكد في بيعته فترك الهادي
مدة يعمل عليه حتى لولده فأحضر يحيى فرده بالبيعة وفاوضه في ذلك فقال
له يحيى يا أمير المؤمنين لو حدث بك حادث الموت وقد خلعت أخاك
وبايعت لابنك جعفر وهو صغير دون البلوغ أفترى كانت خلافته تصح
وكان مشايخ بني هاشم يرضون بذلك ويسلمون الخلافة إليه قال لا قال يحيى
فدع هذا الأمر حتى يأتيه عفواً ولو لم يكن المهدي بايع لهارون لوجب أن
تبايع له لئلا تخرج الخلافة من بني أبيك فصوب الهادي رأيه وكانت
بعد ذلك يرى هذه من عظيم أيادي يحيى بن خالد عنده

ومن مكارمه قيل إن الرشيد لما نكب البرامكة واستأصل شأفتهم
حرم على الشعراء أن يرثوهم وأمر بالمؤاخذة على ذلك فاجتاز بعض الحرس
ببعض الخرابات فرأى شاباً واقفاً وفي يده رقعة فيها شعر يتضمن رثاء
البرامكة وهو ينشده ويبكي فأخذه الحرس وأتى به إلى الرشيد وقص عليه
الصورة فاستحضره الرشيد وسأله عن ذلك فاعترف به فقال له الرشيد أما
سمعت تحريمي للرثاء لأفعلن بك ولأصنعن فقال يا أمير المؤمنين إن
أذنت لي في حكاية حالي حكيتها ثم بعد ذلك أنت ورأيك قال قل قال إني
كنت من أصغر كتاب يحيى بن خالد فقال لي يوماً يا فلان
أحب أن تدعوني إلى منزلك يوماً فقلت يا مولاي أنا دون ذلك وداري لا تصلح لذلك
قال لا بد من ذلك فقلت إن كان لا بد فأمهلني مدة حتى أصلح شأني ثم
بعد ذلك يكون ما تريد قال كم أمهلك قلت سنة قال كثيرة قلت فشهور
قال نعم فشرعت في إصلاح المنزل وتهيئة أسباب الدعوة فلما [illegible]

الاسباب أعلمت الوزير بذلك فقال نحن غداً عندك فصنعت وتهيأت في
الطعام والشراب وما يحتاج اليه فحضر الوزير في غد ومعه ابناه جعفر والفضل
وعدة يسيرة من خواص أتباعه فنزل عن دابته ونزل ولداه جعفر والفضل
وقال يا فلان أنا جائع فعجل لي شيء فقال لي الفضل انه الوزير يحب
الفراريج المشوية فعجل منها ما حضر فدخلت وأحضرت منها شيئاً فأكل
الوزير ومن معه . ثم قام يمشي في الدار وقال يا فلان فرجنا في دارك فقلت
يا مولانا هذه هي داري ليس لي غيرها قال بلى لك غيرها فقلت والله ما أملك
سواها فقال هاتوا بناء فلما حضر قال له افتح في هذا الحائط بابا فمضى ليفتح
فقلت يا مولانا كيف يجوز ان يفتح باب الى بيوت الجيران والله أوصى بحفظ
الجار قال لا بأس في ذلك ثم فتح الباب فقام الوزير وابناؤه فدخلوا فيه وأنا
معهم فخرجوا منه الى بستان حسن كثير الاشجار والماء يتدفق فيه وفيه من
المقاصير والمساكن ما يروق كل ناظر وفيه من الآلات والفرش والخدم
والجواري كل جميل بديع فقال هذا المنزل وجميع ما فيه لك فقبلت يده
ودعوت له وتحققت القصة فاذا هو من يوم حادثني في الدعوة قد أرسل
واشترى الاملاك المجاورة لي وعمرها داراً حسنة ونقل اليها من كل شيء وأنا
لا أعلم . وكنت أرى العمارة فأحسبها لبعض الجيران . فقال لابنه جعفر يا بني
هذا منزل وعيال فالمادة من أين تكون له قال جعفر قد أعطيته الضيعة
الفلانية بما فيها وسأكتب له بذلك كتاباً فالتفت الى ابنه الفضل وقال له
يا بني فمن الآن الى أن يدخل دخل هذه الضيعة ما الذي ينفق فقال الفضل
عليّ عشرة آلاف دينار أحملها اليه فقال فعجلا له ما قلتما فكتب لي جعفر
بالضيعة وحمل الفضل الى المال فأثريت وارتفعت حالي وكسبت بعد ذلك

معه مالا طائلا أنا أعلف منه الى اليوم فوالله يا أمير المؤمنين ما أجد فرصة أتمكن فيها من الثناء عليهم والدعاء لهم الا انتهزتها مكافأة لهم على إحسانهم ولن أقدر على مكافأته فان كنت قابلى على ذلك فاقعل ما بدا لك فرق الرشيد لذلك وأطلقه وأذن لجميع الناس فى رثائهم

قيل ان هرون الرشيد حج ومعه يحى بن خالد بن برمك ومعه ولداه الفضل وجعفر فلما وصلوا الى مدينة الرسول صلوات الله عليه جلس الرشيد ومعه يحى فأعطيا الناس وجلس الامين ومعه الفضل بن يحى فأعطيا الناس وجلس المأمون ومعه جعفر فأعطيا الناس فأعطوا فى تلك السنة ثلاث أعطيات ضرب بكثرتها الامثال وكانوا يسمونه عام الأعطيات الثلاث وأثرى الناس بسبب ذلك وفى ذلك يقول الشاعر (طويل)

أتانا بنو الآمال من آل برمك ... فياطيب أخبار ويا حسن منظر

لهم رحلة فى كل عام الى العدا ... وأخرى الى البيت العتيق المستر

اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت ... بيحى وبالفضل بن يحى وجعفر

فتظلم بغداد ويجلو لنا الدجى ... بمكة ما يحجو بلاده أقمر

فما خلقت الا لجود أكفهم ... وأقدامهم الا لأعواد منبر

اذا راض يحى الامر ذلت صعابه ... وناهيك من راع له ومدبر

كان يحى يقول ما خاطبنى أحد الا هبته حتى يتكلم فاذا تكلم كان من اثنين إما ان يزيد هيبته أو تضمحل * وكان يقول المواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الاحرار * كان يحى اذا ركب تعد صررا فى كل صرة مائتا درهم يدفعها الى المتعرض له

* سيرة ولد الفضل بن يحى *

كان الفضل من كرام الدنيا وأجواد اهل عصره وكان قد أرضعته أمّ هرون الرشيد وأرضعت أمه الرشيد وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصه

(طويل)

كفى لك فخراً أن أكرم حرة ... غذتك بثدي والخليفة واحد
لقد زنت يحيى في المشاهد كلها ... كما زان يحيى خالداً في المشاهد

ولاه الرشيد خراسان فخرج اليه أبو الهول الشاعر مادحا معتذراً من شعر كان هجاه به فأنشده

(طويل)

سرى نحوه من غيضة الفضل عارض ... له لجة فيها البوارق والرعد
وكيف ينام الليل ملقى فراشه ... على مدرج تعتاده الأسد الورد
ومالى الى الفضل بن يحيى بن خالد ... من الجرم ما يخشى على مثله الحقد
فجد بالرضى لا أبتغي منك غيره ... ورأيك فيما كنت عودتني بعد

فقال له الفضل لا أجمع عليك بين رضاي واحساني فهما معروفان فان أردتهما معاً والا فدعهما معاً ثم وصله ورضي عنه

حدث اسحق بن ابراهيم الموصلي قال كنت قد ربيت جارية حسنة الوجه وثقفتها وعلمتها حتى برعت ثم أهديتها الى الفضل بن يحيى فقال لى يا اسحق ان رسول صاحب مصر قد ورد الى يسألني حاجة أقضيها عليه فدع هذه الجارية عندك فاني سأطلبها وأعلمه أني أريدها فانه سوف يحضر اليك ويساومك فيها فلا تأخذ فيها أقل من خمسين الف دينار قال اسحق فمضيت بالجارية الى منزلي فجاء الى رسول صاحب مصر وسألني عن الجارية فأخرجتها اليه فبذل فيها عشرة آلاف دينار فامتنعت فصعد الى عشرين الف دينار فامتنعت فصعد الى ثلاثين الفاً فما ملكت نفسي حتى قلت له بعتك

وسلمت الجارية اليه وقبضت منه المال ثم اتى أخي من الغد الى الفضل بن يحيى فقال لي يا اسحق بكم بعت الجارية فقلت بثلاثين الف دينار قال ألم أقل لك لا تأخذ منه أقل من خمسين الفاً قلت فداك أبي وأمي والله ما ملكت نفسي منذ سمعت لفظة ثلاثين الفاً منهم . ثم قال ان رسول صاحب الروم قد سألني أيضاً حاجة وسأقترح عليه هذه الجارية وأدله عليك فخذ جاريتك وانصرف الى منزلك فاذا ساومك فيها فلا تأخذ منه أقل من خمسين الف دينار فأخذت الجارية وانصرفت الى منزلي فأتاني رسول صاحب الروم وساومني في الجارية فطلبت خمسين الفاً فقال هذا كثير ولكن أخذ مني ثلاثين الفاً فوالله ماملكت نفسي منذ سمعت لفظة ثلاثين الفاً حتى قلت له قد بعتك ثم قبضت المال منه وسلمت الجارية اليه . وغدوت من الغد الى الفضل بن يحيى . فقال ما صنعت وبكم بعت الجارية يا إسحاق قلت بثلاثين الفاً قال سبحان الله ما أوصيتك أن لا تأخذ منها أقل من خمسين الفاً قلت جعلت فداك والله إني لما سمعت قوله ثلاثين الفاً ... ذهب جميع اعضائي فضحك وقال خذ جاريتك واذهب الى منزلك فمن غد يجيء اليك رسول صاحب خراسان فهو يسألك ولا تأخذ منه أقل من خمسين الفاً . قال اسحاق فأخذت الجارية ومضيت الى منزلي فجاءني رسول صاحب خراسان وساومني فيها . فطلبت خمسين الفاً فقال لي هذا كثير ولكن أخذ بثلاثين الفاً فعوقبت نفسي وانه صمت فقصد مني الى أربعين الف دينار فكاد عقلي يذهب من الفرح ولا أمالك أن قلت له بعتك فأحضر المال وأقبضته وسلمت الجارية اليه ومضيت من الغد الى الفضل فقال لي يا اسحاق بكم بعت الجارية قلت باربعين الفاً ووالله لما سمعتها منه كاد عقلي يذهب وقد حصل عندي جعلت فداك مائة الف دينار ولم يبق لي أمل . فاحسن الله

حوائجك . فأمر بالجارية فأخرجت الى . وقال يا اسحاق خذ جاريتك وانصرف قال اسحاق فطلب هذه الجارية والله أعظم الناس بركة فأعتقتها وتزوجتها فولدت لى أولادى

قال ابن محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس حضر يوما عند الفضل بن يحيى ومعه سفط فيه جوهر وقال له ان حاصلى قد نقص عما احتاج اليه وقد علانى دين مبلغه الف الف درهم وانى أستحى أن أعلم أحداً بذلك وآنف أن أسأل أحداً من التجار أن يقرضنى ذلك وان كان معى رهن يفى بالقيمة وانت أمالك الله لك تجار تعاملونك وانا اسألك أن تقرض لى من أحدهم هذا المبلغ وتعطيه هذا الرهن فقال له الفضل السمع والطاعة ولكن نجح هذه الحاجة أن تقيم عندى هذا اليوم فأقام عنده . ثم ان الفضل أخذ السفط منه وهو مختوم بختمه وارسل معه الف الف درهم وعقد الدراهم والسفط الى منزله وأخذ خط وكيله بقبضه . وأقام محمد بن ابراهيم عند الفضل الى آخر النهار ثم انصرف الى داره فوجد السفط ومعه الف الف درهم ففرح بذلك . ورآ عظما فلما كان من الغد بكر الى الفضل ليشكره على ذلك فوجده قد بكر الى دار الرشيد فمضى محمد الى دار الرشيد فلما علم الفضل به خرج من باب آخر ومضى الى داره فمضى محمد اليه فلما علم به خرج بباب آخر ومضى الى منزله فمضى محمد اليه واجتمع به وشكره على فعله وقال له انى بكرت اليك لاشكرك على جميلك فقال له الفضل انى فكرت فى امرك فرأيت أن هذه الالف الف التى حملتها أمس اليك تقضى بها دينك ثم تحتاج فتقترض فقد قليل تملوك بنايا فبكرت اليوم الى امير المؤمنين وعرضت عليه حالك وأخذت لك مائة الف

الف درهم أخرى. ولما حضرت الى امير المؤمنين خرجت انا ساب آخر وكذلك فعلت لما حضرت الى باب ابى لانى ما كنت أوثر أن الفاك حتى يحمل المال الى منزلك وقد حمل . فقال له محمد أى شىء أجازيك على هذا الاحسان ماعندى شىء أجازيك به الا انى التزم بالايمان المؤكدة وبالطلاق والعتاق والحج أنى ما أقف على باب غيرك ولا أسأل سواك . قالوا وحلف محمد أيمانا مؤكدة وكتب بها خطه وأشهد بها عليه أنه لايقف بباب غير الفضل بن يحيى . فلما ذهبت دولة البرامكة وتولى الفضل بن الربيع الوزارة بعدهم احتاج محمد فقالوا له لو ركبت الى الفضل بن الربيع فلم يفعل والتزم بالخمس فلم يركب الى احد ولم يقف على باب احد حتى مات

- سيرة جعفر بن يحيى البرمكى

كان جعفر بن يحيى فصيحاً لسناً ذكيا فطنا كريماً حليما وكان الرشيد يأنس به أكثر من أنسه بأخيه الفضل لسهولة أخلاق جعفر وشراسة أخلاق الفضل قال الرشيد يوماً ليحيى يا أبي ما بال الناس يسمون الفضل الوزير الصغير ولا يسمون جعفرا بذلك فقال يحيى لان الفضل يخلفنى قال فضم الى جعفر أعمالا كأعمال الفضل فقال يحيى ان خدمتك ومحادثتك تشغلانه عن ذلك فحمل اليه أمر دار الرشيد فسمى بالوزير الصغير ايضا

قال الرشيد يوما ليحيى قد أحببت أن تنقل ديوان الخاتم من الفضل الى جعفر وقد استحييت من مكاتبته فى هذا المعنى فاكتب أنت اليه فكتب يحيى الى الفضل قد أمر امير المؤمنين أعلى الله أمره أن تحول الخاتم من يمينك الى شمالك فأجابه الفضل قد سمعت لما أمر به أمير المؤمنين فى أخى وما انسلخت عنى نعمة صارت اليه ولا غربت عنى رتبة طلعت عليه . فقال جعفر لله

در أخي ما أكبر نفسه وأظهر دلائل الفضل عليه وأقوى منه العقل عنده وأوسع في البلاغه ذرعه

قيل ان جعفر بن يحيى البرمكي جلس يوما للشراب وأحب الخلوه فأحضر ندماءه الذين يأنس بهم وجلس معهم وقد هيأ المجلس ولبسوا ثياب المصبغه وكانوا اذا جلسوا في مجلس الشراب واللهو لبسوا الثياب الحمر والصفر والخضر. ثم ان جعفر بن يحيى تقدم الى الحاجب أن لا يأذن لاحد من خلق الله تعالى سوى رجل من الندماء كان قد تأخر عنهم اسمه عبد الملك بن صالح ثم جلسوا يشربون ودارت الكأسات وخفقت العيدان. وكان رجل من أقارب الخليفه يقال له عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس وكان شديد الوقار والدين والحشمه وكان الرشيد قد التمس منه أن ينادمه ويشرب معه وبذل له على ذلك أموالا جليله فلم يفعل. فاتفق أن هذا عبد الملك بن صالح حضر الى باب جعفر بن يحيى ليخاطبه في حوائج له فظن الحاجب أنه هو عبد الملك بن صالح الذي تقدم جعفر بن يحيى بالاذن له وأن لا يدخل غيره فأذن الحاجب له فدخل عبد الملك بن صالح العباسي على جعفر بن يحيى. فلما رآه جعفر كاد عقله يذهب من الحياء وفطن أن القضيه قد اشتبهت على الحاجب بطريق اشتباه الاسم وفطن عبد الملك بن صالح أيضا للقضيه وظهر له الخجل في وجه جعفر بن يحيى. فانبسط عبد الملك وقال لا بأس عليكم أحضروا لنا من هذه الثياب المصبغه شيئا فأحضر له قميص مصبوغ فلبسه وجلس ينبسط مع جعفر بن يحيى ويمازحه. وقال أسقونا من شرابكم فسقوه رطلا وقال ارفقوا بنا فليس لنا عاده بهذا ثم انبسط معهم ومازحهم وما زال حتى انبسط جعفر ابن يحيى وزال انقباضه وحياؤه. ففرح جعفر بذلك فرحا شديدا وقال له ما

حاجتك. قال حيث أصلحك الله فى ثلاث حوائج أريد أن تخاطب الخليفة فيها . أولها أن على دينا مبلغه ألف ألف درهم أريد قضاءه . وثانيها أريد ولاية لابنى يشرف بها قدره . وثالثها أريد أن يزوج ولدى بابنة الخليفة فانها بنت عمه وهو كفؤ لها. فقال له جعفر بن يحيى قد قضى الله هذه الحوائج الثلاث . أما المال ففى هذه الساعة يحمل الى منزلك . وأما الولاية فقد وليت ابنك مصر . وأما الزواج فقد زوجته فلانة ابنة مولانا أمير المؤمنين على صداق مبلغه كذا وكذا فانصرف فى أمان الله. فراح عبد الملك الى منزله فرأى المال قد سبقه ولما كان من الغد حضر جعفر عند الرشيد وعرفه ما جرى وأنه قد ولاه مصر وزوجه ابنته فعجب الرشيد من ذلك وأمضى العقد والولاية فما خرج جعفر من دار الرشيد حتى كتب له العهد بمصر وأحضر القضاة والشهود وعقد العقد

وقيل ان جعفر بن يحيى كان بينه وبين صاحب مصر عداوة ووحشة وكان كل منهما مجانباً للآخر . فزور بعض الناس كتاباً عن لسان جعفر بن يحيى الى صاحب مصر مضمونه ان حامل هذا الكتاب من أخص أصحابنا وقد آثر التفرج فى الديار المصرية فأريد أن تحسن لاتفات اليه وتبالغ فى الوصية . ثم أخذ الكتاب ومضى الى مصر وعرضه على صاحبها . فلما وقف عليه تعجب منه وفرح به إلا أنه حصل عنده ارتياب وشك فى الكتاب فأكرم الرجل وأنزله فى دار حسنة وأقام له ما يحتاج اليه وأخذ الكتاب منه وأرسله الى وكيله ببغداد وقال له قد وصل شخص من أصحاب الوزير بهذا الكتاب وقد ارتبت به فأريد ان تفحص لى عن حقيقة الحال فى ذلك وهل هذا خط الوزير أم لا وأرسل كتاب الوزير صحبة مكتوبه الى وكيله. فجاء

الوكيل الى وكيل الوزير وحدثه بالقصة وأراه الكتاب فأخذه وكيل الوزير ودخل الى الوزير وعرفه الحال . فلما وقف جعفر بن يحيي على الكتاب علم أنه مزور عليه وكان عنده جماعة من ندمائه وبوابه فرمى الكتاب عليهم وقال لهم أهذا خطي فتأملوه وانكروه كلهم وقالوا هذا مزوّر على الوزير فعرفهم صورة الحال وان الذي زور هذا الكتاب موجود بمصر عند صاحبها وانه منتظر ورود الجواب يحقق حاله وقال لهم ما ترون وكيف ينبغي أن نعمل في هذا . فقال بعضهم ينبغي أن نقتل هذا الرجل حتى تنحسم هذه المادة ولا يرجع احد يجرى على مثل هذا العمل . وقال آخر ينبغي أن تقطع يمينه التي زور بها هذا الخط . وقال آخر ينبغي ان يوجع ضربا ويطلق حال سبيله . وكان أحسنهم مقصدا من قال ينبغي أن تكون عقوبته على هذا العمل حرمانه وان تعرف صاحب مصر بحاله ليحرمه فيكفيه من العقوبة انه قد قطع هذه المسافة البعيدة من بغداد الى مصر ثم يرجع خائباً . فلما فرغوا من حديثهم قال جعفر سبحان الله أليس فيكم رجل رشيد قد علمتم ما كان بيني وبين صاحب مصر من العداوة والمحاسنة وأن كل واحد منا كانت تمنعه عزة النفس أن يفتح باب الصلح فقيض الله لنا رجلا فتح بيننا باب المصالحة والمكاتبة وأزال عنا تلك العداوة فكيف يكون جزاؤه ما ذكرتم من الاساءة ثم أخذ القلم وكتب على ظاهر الكتاب الى صاحب مصر سبحان الله كيف حصل لك الشك في خطي هذا خط يدي والرجل من أعز أصحابي وأريد أن تحسن اليه وتعيده الى سريعاً فاني مشتاق اليه محتاج الى حضوره فلما وصل الكتاب وفي ظاهره خط الوزير الى صاحب مصر كاد يطير من الفرح وأحسن الى الرجل غاية الاحسان وواصله بمال كثير وتحف جليلة ثم ان الرجل رجع الى بغداد وهو

أحسن الناس حالا فحضر الى مجلس جعفر بن يحيى . فلما دخل سلم عليه ووقع على الارض وبكى فقال له جعفر من أنت يا أخي قال يا مولانا انا عبدك وصنيعك المزوّر الكذاب المجترّئ فعرفه جعفر وبش به وأجلسه بين يديه وسأله عن حاله وقال له كم وصل اليك منه فقال مائة الف دينار فاستقلها جعفر وقال لا ترمها حتى نضاعفها لك فلازمه مدة فكسب منه مثلها .

وما زالت دولة البرامكة في علو وارتفاع وزيادة حتى انحرفت عنهم الدنيا

امارة تدل على انحراف دولتهم

حدث بختيشوع الطبيب قال دخلت يوماً على الرشيد وهو جالس في قصر الخلد من مدينة السلام وكانت البرامكة يسكنون بحذائه من الجانب الآخر وبينهم وبينه عرض دجلة قال فنظر الرشيد فرأى عبرات الخيول وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد فقال جزى الله يحيى خيراً تصدى للامور وأراحني من الكد ووفر أوقاتي على اللذة ثم دخلت اليه بعد أوقات وقد سرع نظر عليهم فنظر فرأى الخيول كما رآها تلك المرة فقال استبد يحيى بالامور دوني فالخلافة على الحقيقة له وليس لي منها الا اسمها قال فعلمت انه سينكبهم ثم نكبهم عقيب ذلك

شرح السبب في نكبة البرامكة وكيفيته

اختلف أصحاب السير والتواريخ في السبب في ذلك . فقيل ان الرشيد ما كان يصبر عن أخته عباسة ولا عن جعفر بن يحيى فقال له أزوجكها حتى يحل لك النظر اليها ثم لا تقربها فكانا يجتمعان وهما شابان ثم يقوم الرشيد عنهما ويخلوان فأصابها فحملت منه وولدت ولدين وكتمت الامر في ذلك حتى علم الرشيد فكان ذلك سبب نكبة البرامكة

وقال كان سبب ذلك ان الرشيد كلف جعفر بن يحيى قتل رجل من آل أبي طالب فخرج جعفر بسبب ذلك وأطلق الطالبيّ وسعى الى الرشيد بجعفر فقال له ما فعل الطالبيّ قال هو في الحبس قال الرشيد بحياتي فقطن جعفر فقال لا وحياتك ولكن أطلقته لاني علمت أنه ليس عنده مكروه فقال له الرشيد نعم ما فعلت فلما قام جعفر قال الرشيد قتلني الله ان لم أقتلك ثم نكبهم

وقيل ان أعداء البرامكة مثل الفضل بن الربيع ما زالوا يسعون بهم الى الرشيد ويذكرون له استبدادهم بالملك واحتجابهم للاموال حتى أوغروا صدره فأوقع بهم

وقيل ان جعفراً والفضل ابني يحيى بن خالد ظهر منهما من الادلال ما لا تحمله نفوس الملوك فنكبهم لذلك

وقال بن يحيى بن خالد رئي وهو بمكة يطوف حول البيت ويقول اللهمّ ان كان رضاك ان تسلبني نعمك عندي فاسلبني أهلي ومالي وولدي فاسلبني الا الفضل ولدي ثم ولى فلما دنى قليلا عاد وقال يا رب انه سمج على ان تستثني عليك اللهم والفضل فنكبهم الرشيد بعد قليل

سرح مقتل جعفر بن يحيى والقبض على أهله

كان الرشيد قد حج فلما عاد من الحج سار من الحيرة الى الأنبار في السفن وحمل شرب نازه وبلهو أخرى ويحف الرشيد وهداياه بأنسه وعنده بختيشوع الطبيب وأبو زكار الأعمى بعينه فلما أظل المساء دعا الرشيد مسرورا الخادم وكان مبغضاً لجعفر وقال اذهب فجئني برأس جعفر ولا تراجعني فوافاه مسرور بغير اذن وهجم عليه وأبو زكار يغنيه

(وافر)

فلا سعد فكل في سبأتي ... عليه الموت نطرق أو نغادي

فلما دخل مسرور قال له جعفر بن يحيى امض سرورى عجلتك وسوءى بدخولك على بغير اذن فقال الذي جئت له أعظم أجب أمير المؤمنين الى ما يريد بك فوقع على رجليه فقبلهما وقال له عاود أمير المؤمنين فان الشراب قد حمله على ذلك وقال دعنى أدخل دارى فأوصى فقال الدخول لا سبيل اليه وأما الوصية فأوص بما شئت فأوصى ثم حمله الى منزل الرشيد وعدل به الى قبة وضرب عنقه وأتى برأسه الى بين يدى الرشيد وسدته فى نطع ووجه الرشيد فقبض على أبيه واخوته وأهله وأصحابه وحبسهم بالرقة واستأصل شأفتهم

ومن طريف ما وقع فى ذلك ما رواه الصراى المؤرخ . قال حدث فلان قال دخلت الديوان فنظرت فى بعض تذاكر الدواوين فرأيت فيها أربع مائة ألف دينار ثمن خلعة لجعفر بن يحيى الوزير ثم دخلت بعد أيام فرأيت تحت ذلك عشرة قراريط ثمن نفط وبوارى لاحراق جثة جعفر بن يحيى فعجبت من ذلك

ثم استوزر الرشيد بعد البرامكة الفضل بن الربيع وكان حاجبه

وزارة أبى العباس الفضل بن الربيع

قد مضى ذكر أبيه وأما الفضل فكان حاجباً للمنصور والمهدى والهادى والرشيد فلما نكب الرشيد البرامكة استوزره بعدهم

كان الفضل بن الربيع شهماً خبيراً بأحوال الملوك وآدابهم ولما ولى الوزارة تهوّس بالادب وجمع اليه أهل العلم فحصل منه ما أراد فى مدة يسيرة وكان أبو نواس من شعرائه المنقطعين اليه فى شعره فى آل الربيع

(كامل)

عاس عاس اذا اصطاره اوعى والفصل فصل والربيع ربيع

وما زال الفصل بن الربيع على ... الى ... الرشيد بطوس . فجمع الفصل العسكر وما فيه ورجع الى بغداد . وسنرد ما في سيرته في أيام الامين وبعض أيام الرشيد

ترجمة ... الامين محمد بن رشيد

أمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور وليس في خلفاء بني العباس من أمه وأبوه هاشميان سوى ... كان الامين كثير اللهو واللعب منقطعاً الى ذلك ... عن تدبير مملكته . قال ابن الاثير المؤرخ الجزري لم نجد للامين شيئاً من سيرته نستحسن فنذكره . وقال غيره كان الامين فصيحاً بليغاً كريماً . وفيه يقول بعض الشعراء يمدحه ويعرض بنحو المأمون أخيه (رمل)

... ... في السوق اختارا

لا ولا ... ولا ... ولا في الخيري جارا

يعرض بالمأمون لان الرشيد كان قد جعله في جارية وجد ... أو في جر

كان الرشيد قد بايع للامين بولاية العهد وللمأمون بعده وكتب الكتب بذلك وأشهد فيها الشهود وأرسل بنسخها الى الامصار فعلقت نسخة من تلك النسخ على الكعبة وأكد ذلك بكل ما استطاع . فلما مات بطوس كان المأمون في خراسان ومعه جماعة من أكابر القواد ووزيره الفضل بن سهل وكان الامين ببغداد . وكان الفضل بن الربيع وزير الرشيد مع الرشيد بطوس . فلما مات الرشيد جمع الفضل جميع مال العسكر . وكان الرشيد قد أوصى به

للمأمون . ووجه الفضل الى بغداد فاستوزره الامين ثم اشتغل باللهو واللعب ومباشرة المجان . فأشار الفضل بن سهل وزير المأمون على المأمون باظهار الورع والدين وحسن السيرة فأظهر المأمون حسن السيرة واستمال القواد واهل خراسان . وكان كلما اعتمد الامين حركة ناقصة اعتمد المأمون حركة سديدة ثم نشأت العداوة بينهما وحسن الفضل بن الربيع وغيره له أن يخلع أخاه المأمون من ولاية العهد ويبايع لابنه موسى فخلعه وبايع لابنه موسى وسماه الناطق بالحق وبسبب ذلك كانت الفتنة ببغداد بين الامين والمأمون وكان في آخرها قتل الأمين

* شرح الفتنة بين الأمين والمأمون *

كان الفضل بن الربيع وزير الأمين قد خاف المأمون لما فعله عند موت الرشيد بطوس من احضار جميع ما كان في عسكره الى الأمين بعد أن كان الرشيد قد أشهد به للمأمون فخاف الفضل بن الربيع من المأمون أنه ان ولي الخلافة كافاه على فعله . فحسن للأمين خلع المأمون والبيعة لابنه موسى واتفق مع الفضل جماعة على ذلك . فمال الامين الى أقوالهم . ثم انه استشار عقلاء أصحابه فنهوه عن ذلك وحذروه عاقبة البغي ونكث العهود والمواثيق وقالوا له لا تجرئ القواد على النكث للايمان وعلى الخلع فيخلعوك فلم يلتفت اليهم ومال الى رأى الفضل بن الربيع وشرع في خدع المأمون باستدعائه الى بغداد فلم ينخدع وكتب بعذره . وترددت المراسلات والمكاتبات بينهما حتى رق المأمون وعزم على الاجابة الى خلع نفسه ومبايعة موسى بن الامين . فخلا به وزيره الفضل بن سهل وشجعه على الامتناع وضمن له الخلافة وقال هي في عهدتي . فامتنع المأمون ونهض الفضل بن سهل بأمر المأمون واستمال له الناس وضبط له الثغور والامور

.واشتدت العداوة بين الأمين والمأمون وقطعت الدروب بينهما من بغداد الى خراسان وفتشت الكتب وصعب الامر. وقطع الامين خطبة المأمون ببغداد ونص على ولاته. وكذلك فعل المأمون بخراسان ونمى الشر بينهما .وكان بعد ما عند المأمون من الضبط والضبط عند الامين من الاهمال والتفريط والتعويل. فما يحكى من تفريط الامين وجهله أنه كان قد أرسل الى حرب أخيه رجلا من أصحاب ابيه يقال له علي بن عيسى بن ماهان وأرسل معه خمسين ألفاً فيقال انه ما رئي قبل ذلك ببغداد عسكر أكثف منه وحمل معه السلاح الكثير والاموال الوافرة وخرج معه مشيعاً مودعاً.وكان أول من بعثه الى أخيه .فمضى علي بن عيسى بن ماهان في ذلك العسكر الكثيف .وكان شيخاً من شيوخ الدولة جليلا مهيباً فالتقى بطاهر بن الحسين طاهر الري وعسكر طاهر حدود أربعة الف فارس فاقتتلوا قتالا شديداً كانت الغلبة فيه لطاهر وقتل علي بن عيسى وجيء برأسه الى طاهر فكتب طاهر الى المأمون كتاباً نسخته .أما بعد فهذا كتابي الى امير المؤمنين أطال الله بقاءه ورأس علي بن عيسى بين يدي وخاتمه في يدي وجنده تحت أمري والسلام

وأرسل الكتاب على البريد فوصل الى المأمون في ثلاثة أيام وبينهما مسيرة مائتين وخمسين فرسخاً .فلما نعي علي بن عيسى ورد الى الامين وهو يصطاد السمك فقال للذي أخبره بذلك دعني فان كوثراً قد اصطاد سمكتين وانا الى الآن ما اصطدت شيئاً .وكان كوثر خادماً خصياً له وكان يحبه.ولقد كانت أمه زبيدة أسد رأياً منه فان علي بن عيسى لما أرسله الامين الى خراسان بالجيش حضر الى باب زبيدة ليودعها .فقالت له يا علي ان امير المؤمنين وان كان ولدي واليه انتهت شفقتي فاني على عبد الله بن المأمون متعطفة مشفقة

لما يحدث عليه من مكروه وأذى. وإنما ولدى ملك ناس أخاه فى سلطانه ما عرف لعبد الله حق ولادته وحقوقه ولا خصه بالكلام فالك لست نظراً له. ولا صبر على افتسار الصدر. ولا توهمه بعيد وعلى. ولا عبر سه حاريه أو خادما. ولا يسعف عليه فى السر. ولا يساوه فى السر. ولا يركب مثله. وحيد ركابه اذا ركب. وان سمك فاحتمل منه ثم دفعت اليه عبداً من قصه وقالت ذا صار الملك فقده بهذا العبد. فقال لها سأفعل ما أمرت به. وكان الناس يخرمون نصره على بن عيسى سلطانا له واستكره واستصارا لمن طمعه من جند المأمون. فقدر الله خلاف ما حرموا به. وكان من الامر ما كان

وكان تلك الايام أيام فتن وحروب فما جرى من ذلك ان الحسين بن علىّ بن عيسى بن ماهان كان أحد الامراء سعب على الامين وخلعه وخاسه وبايع للمأمون وتبعه ناس من العسكر فاجتمع ناس آخرون من العسكر وقالوا ان كان الحسين بن علىّ بن عيسى يريد أن يأخذ وجهاً عند المأمون بما فعل فلنأخذ نحن وجهاً عند خليفتنا الامين بفكه وخلاصه وخلاصه على السرير فاقتتل الفريقان فغلب أصحاب الامين فدخلوا عليه محبسه وأخرجوه وأجلسوه على سرير الخلافة وقالوا حسناً وعلوا عليه وأحضروه أسيراً الى الامين. فعاتبه فاعتذر اليه وعفا عنه. ثم خلع عليه وولاه العسكر وأمره بمحاربة المأمون. فخرج وهرب. فأرسل الامين الجند خلفه فلحقوه وقتلوه وحملوا رأسه الى الامين. فما زال السعى والاختلاف يزيد حتى أرسل المأمون هرثمة وطاهر بن الحسين وهما من أعيان أمرائه بعسكر كثيف لمحاصرة بغداد ومحاربة الامين. فحاصرا بغداد مدة وقاتلا بعساكرهما قتالا شديداً وجرت بين الفئتين وقائع كثيرة كان فى آخرها الغلبة لعسكر المأمون وقتل

الامين وحمل رأسه الى أخيه المأمون بخراسان وذلك في سنة ثمان وتسعين ومائة

وأما حال الوزارة في أيامه فانه لما تسوّر عمر الفضل بن الربيع وزير أبيه وقد سبق شرح طرف من سيرته عند ذكر وزرائه للرشيد انقضت أيام الامين

ثم ملك بعده أخوه عبد الله المأمون

بويع له البيعة العامة ببغداد في سنة ثمان وتسعين ومائة كان المأمون من أفاضل خلفائهم وعلمائهم وحكمائهم وحلمائهم وكان فطناً شديداً كريما

حدث عنه أنه لما كان بدمشق أضاق إضاقة شديدة وقل المال عنده فشكى ذلك الى أخيه المعتصم . وكان له بيده أعمال فقال المعتصم يا أمير المؤمنين كأنك بالمال وقد وافاك بعد اسبوع فوصل في تلك الايام من الاعمال التى كان المعتصم يتولاها ثلاثون الف الف الف درهم الالف مكرره ثلاث مرات . فقال ليحيى بن أكثم اخرج بنا ننظر الى هذا المال فخرج وخرج الناس . وكان قد زين حمل وزخرف فنظر المأمون منه الى شيء حسن كثير فاستعظم الناس ذلك وسروا به . فقال المأمون قبيح بنا أن نصرفنا الى منازلنا بهذا المال وينصرف الناس خائبين ثم أمر كاتبه أن يوقع لهذا بألف الف ولذاك بمثلها وللآخر بأكثر منها حتى فرق نحو ستة وعشرين الف الف الف درهم والالف مكرره ثلاث مرات ورجله في الركاب . ثم حول الباقي على عارض الجيش برسم مصالح الجند وعلم أن المأمون كان من عظماء الخلفاء ومن عقلاء الرجال وله اختراعات كثيرة في مملكته

منها أنه هو أول من فحص منهم عن علوم الحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها الى العربية وشهرها وحل إقليدس ونظر في علوم الاوائل وتكلم في

الطب وقرّب اهل الحكمة

ومن اختراعاته مقاسمة أهل السواد بالخمس، وكانت المقاسمة المعهودة النصف

ومن اختراعاته إلزام الناس أن يقولوا بخلق القرآن، وفي أيامه نشأت هذه المقالة ونوظر فيها أحمد بن حنبل وغيره. ولما مات المأمون أوصى أخاه المعتصم بها، فلما ولي المعتصم تكلم فيها وضرب أحمد بن حنبل وسنورد خبر ذلك في موضعه

ومن اختراعاته نقل الدولة من بني العباس الى بني علي عليه السلام وتغيير لباس السواد بلباس الخضرة وقالوا هو لباس أهل الجنة

شرح الحال في ذلك

كان المأمون قد فكر في حال الخلافة بعده وأراد أن يجعلها في رجل يصلح لها لتبرأ ذمته كذا زعم، فذكر أنه اعتبر أحوال أعيان البيتين البيت العباسي والبيت العلوي فلم ير فيهما أصلح ولا أفضل ولا أورع ولا أدين من عليّ بن موسى الرضي عليهما السلام فعهد اليه وكتب بذلك كتابا بخطه وألزم الرضي عليه السلام بذلك فامتنع ثم أجاب ووضع خطه في ظاهر كتاب المأمون بما معناه : اني قد أجبت امتثالا للأمر وان كان الجفر والجامعة يدلان على ضد ذلك وشهد عليهما بذلك الشهود

وكان الفضل بن سهل وزير المأمون هو القائم بهذا الامر والمحسن له فبايع الناس لعلي بن موسى من بعد المأمون وسمي الرضي من آل محمد صلوات الله عليه

وأمر المأمون الناس بخلع لباس السواد ولبس الخضرة وكان هذا في

حراسان فلما سمع العباسيون ببغداد ما فعل المأمون من نقل الخلافه عن البيت العباسي الى البيت العلوى وتغير لباس آبائه وأجداده بلباس الخضره انكروا ذلك وخلعوا المأمون من الخلافة غضباً من فعله وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدى . وكان فاضلا شاعراً فصيحاً أديباً مغنياً حاذقا واليه أشار ابو فراس بن حمدان في قصيدته بقوله (بسيط)

منكم علية أم منهم وكان لكم شيخ المغنين ابراهيم أم لهم

وكانت تلك الايام ايام فتن ووقائع وحروب فلما بلغ المأمون ذلك قام وقصد فقتل الفضل بن سهل ومات بعده على بن موسى من أكل عنب . فقيل ان المأمون رأى انكار الناس ببغداد لما فعله من نقل الخلافة الى بنى على وانهم نسبوا ذلك الى الفضل بن سهل ورأى الفتنة قائمة دس جماعة على الفضل ابن سهل فقتلوه في الحمام ثم اخذهم وقدمهم لتضرب اعناقهم فقالوا له انت أمرتنا بذلك ثم تقتلنا فقال لهم انا اقتلكم باقراركم . واما ما ادعيتموه على من أنى أمرتكم بذلك فدعوى ليس لها بينة . ثم ضرب أعناقهم وحمل رؤوسهم الى الحسن بن سهل وكتب بتعزيته وتوليته مكانه وانضم الى ذلك أمور أخرى سنذكرها عند ذكر وزارة الفضل ثم دس الى على بن موسى الرضى عليه السلام سما في عنب وكان يحب العنب فأكل منه واستكثر فمات من ساعته . ثم كتب الى بنى العباس ببغداد يقول لهم ان الذى أنكرتموه من أمر على بن موسى قد زال وان الرجل مات فأجابوه أغلظ جواب . وكان الفضل بن سهل قد استولى على المأمون وملك أمتانا كثيرة بثباته في أمره واجتهاده في أخذ الخلافه له فكان قد قطع الاخبار عنه ومتى علم ان أحداً قد دخل عليه أو أعلمه بخبر سعى في مكروهه وعاقبه . فامتنع الناس من كلام المأمون فانطوت الاخبار

عنه . فلما ثارت الفتنة ببغداد وخلع المأمون وبويع ابراهيم بن المهدي وأنكر الناس على المأمون فعله كتم الفضل بن سهل ذلك عن المأمون مدة . فدخل عليه علي بن موسى الرضي عليهما السلام وقال له يا أمير المؤمنين ان الناس ببغداد قد انكروا عليك ماشئت من تولية العهد ونقم الناس السواد وقد خلعوك وبايعوا عمك ابراهيم بن المهدي وأحضر اليه جماعة من القواد ليخبروه بذلك . فلما سألهم المأمون أمسكوا وقالوا نخاف من الفضل فان كتب تؤمنا من شره أخبرناك فآمنهم وكتب لهم خطه فأخبروه بصورة الحال وعرفوه خيانة الفضل وتمويهه الأمور عليه وستره الاخبار عنه وقالوا له الرأى أن تسير بنفسك الى بغداد وتتدارك أمرك والا خرجت الخلافة من يدك . فكان ذلك سبباً لقتل الفضل وموت الرضي على ما تقدم شرحه

ثم جد المأمون في المسير الى بغداد فوصلها وقد هرب ابراهيم بن المهدي والفضل بن الربيع . فلما دخل البلد لقيه العباسيون وكلموه في ترك لباس الخضرة والعود الى السواد واجتمعت به زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس . وكانت في طبقة المنصور . وكانت بنو العباس تعظمها . والدها منسوب لزينبيون فقالت له يا أمير المؤمنين ما الذي دعاك الى نقل الخلافة من بيتك الى بنت علي . قال يا عمة اني رأيت عليا حين ولي الخلافة أحسن الى بني العباس . فولى عبد الله البصرة . وعبيد الله اليمن . وقثم سمرقند . وما رأيت أحداً من أهل بيتي حين أفضى الامر اليهم كافوه على فعله في ولده فأحببت أن أكافئه على إحسانه . فقالت له يا أمير المؤمنين انك على بر بني علي والامر فيك أقدر منك على برهم والامر فيهم ثم سألته تغيير لباس الخضرة فأجابها الى ذلك وأمر الناس بتغييره والعود الى لباس السواد . ثم ان

المأمون عفا عن عمه ابراهيم بن المهدى وعفوه ووحده وأحسن اليه فصار من ندمائه وكذلك فعل مع الفضل بن الربيع فكان حليما كان يقول لو عرف الناس حبى للعفو لتقربوا الى بالذنوب

فى أيامه خرج محمد بن جعفر الصادق عليه السلام بمكة ودعى بالخلافة وسموه أمير المؤمنين. وكان بعض أهله قد حسن له ذلك حتى رأى كونه للخلاف بعد ... من الفتن وخروج من خرج وكان محمد بن جعفر شجاعا من شيوخ آل أبى طالب غزير العلم وكان يروى عن أبيه عليه السلام علما جما فمكث بمكة مدة وكان الغالب على أمره ابنه وبعض بنى عمه ثم حمد سيرهما وارسل المأمون اليهم عسكرا فكانت الطاعة له ... المأمون وعفا عنه

وفى أيامه خرج ... ودعا لبعض أهل البيت ... الحسن بن سهل فكانت الطاعة للحسن المأمون ... صفا الملك بعد ذلك للمأمون وسكنت الفتن وقام المأمون بأعباء الخلافة وتدبير المملكة فقام حرمة الملوك وفضلائهم وفى آخرها خرج الى الغزو بطرسوس فمات به. وذلك فى سنة ثمانى عشرة ومائتين ... يقول بعض الشعراء

(خفيف)

ما رأينا النجوم أغنت عن المأ مون فى ظل ملكه محروس
غادروه بعرصتى طرسوس مثلما غادروا أباه بطوس

شرح حال الوزارة فى أيامه

أول وزرائه ... سهل فكان ... لا ... وفى ... وكانت ... الدولة البرمكية ... صنائع ... مكة ...

الاول للمأمون منهم الفضل بن سهل

وزارة ذي الرئاستين الفضل بن سهل للمأمون ه

سمي ذا الرئاستين لجمعه بين السيف والقلم . قالوا كان الفضل بن سهل من أولاد ملوك الفرس المجوس وكان قهرمانا ليحيى بن خالد وكان ابوه سهل مجوسيا فاسلم في أيام الرشيد . قالوا لما رأى الفضل بن سهل نجابة المأمون في صباه ونظر في طالعه وكان خبيرا بعلم النجوم فدله النجوم على أن يصير خليفة فلزم ناحيته وخدمه ودبر أموره حتى أفضت الخلافة اليه فاستوزره

كان الفضل سخيا كريما يجاري البرامكة في جوده شديد العقوبة سهل الانعطاف حليما بليغا عالما بآداب الملوك بصيرا بالجدل جيد الحدس محصلا للاموال وكان يقال له الوزير الأمير

كان مسلم بن الوليد الشاعر نديما للفضل بن سهل قبل وزارته وكان قد أنشده قوله (سريع)

قائل ليست له همة	كلا ولكن ليس لي مال
لاجدة ينهض عزمي بها	والناس سؤال وبخال
فاصبر على الدهر الى دولة	يرفع فيها حالك الحال

فلما علت حال الفضل وتولى الوزارة قصده مسلم بن الوليد فلما رآه سر به وقال له هذه الدولة التي يرفع فيها حالك الحال وأمر له بثلاثين الف درهم وولاه بريد جرجان فاستفاد منها مالا طائلا ه قالوا كانت همة ذي الرئاستين عالية جدا من قبل أن يعظم أمره قال له مؤدب المأمون يوما في أيام الرشيد ان المأمون لجميل الرأي فيك وإني لا استبعد أن يحصل لك من جهته الف الف درهم فاغتاظ الفضل من ذلك وقال له ألك عليّ حقد ألي الك إساءة

فقال له المؤدب لا والله ما فعلت هذا الا محبة لك فقال أفتقول لي إنك تحصل منه الف الف درهم والله ما صحبته لأكتسب منه مالا قليلا أو جليلا ولكن صحبته ليمضي حكم خاتمي هذا في الشرق والغرب . قال فوالله ما طالت المدة حتى بلغ ما أمل . وقتل الفضل بن سهل على الصورة التي تقدم شرحها . وذلك في سنة اثنتين ومائتين وفيه يقول الشاعر (متقارب)

لفضل بن سهل يد تقاصر عنها المثل
فباطنها للندى وظاهرها للقبل
وبسطتها للغنى وسطوتها للاجل

وزارة أخيه الحسن بن سهل للمأمون

استوزره المأمون بعد أخيه الفضل فمال اليه ولاطفه جبرا لمصابه بقتل أخيه وتزوج ابنته بوران واتخذه من أهله وأصحابه وعساكره وأمر له الى فم الصلح بواسطه . فقام الحسن بن سهل في برهم قياما عظيما وبذل من الاموال ونثر من الدرر ما يفوت حد الكثرة حتى انه عمل بطاطيخ من عنبر وجعل في وسط كل واحدة منها رقعة بضيعة من ضياعه ونثرها ثم وقف في يده بطيخة منها فتحها وسلم الضيعة الى فتاه . وكانت دعوة عظيمة تجاوز حد الحصر والكثرة حتى إن المأمون نسبه في ذلك الى السرف . وقالوا جملة ما أخرج على دعوة فم الصلح خمسون الف الف درهم

كان الحسن بن سهل قد فرش للمأمون حصيرا منسوجا من الذهب ونثر عليه الف لؤلؤة من كبار اللؤلؤ فلما رآه المأمون قال قاتل الله أبا نواس كأنه شاهد مجلسنا هذا حين يقول (بسيط)

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

قالوا قدم رجل الى باب الحسن بن سهل فلبس حلته وعارضه فاستطال عنه مدته فكتب اليه (بسيط)

المال والعقل مما يستعان به … على المقام بأبواب السلاطين
وأنت تعلم انى مهما عطلا … اذا أملتى ما انت الدهاقين
أما بذلك أنوى على عدمى … والوجه انى رشفى فى المحاسن
والله تعلم ماللملك من رجل … سواك تصلح للدنيا وللدين

فأمر له بعشرة آلاف درهم ووقع فى رقعته (كامل)

أعجلت فأتاك عاجل برنا … ولا ولو أخرتنا لم نقلل
خذ القليل وكن كانك لم تسل … ونكون نحن كأننا لم نسئل

وكان الحسن بن سهل أعظم الناس منزلة عند المأمون . وكان المأمون شديد حبه لمفاوضته فكان اذا حضر عنده طاوله فى الحديث . وكلما أراد الانصراف منعه فانقطع زمان الحسن بذلك وثقل عليه الملازمة فصار راجيا من الحضور مجلس المأمون ويستخلف أحد كتابه كأحمد بن أبى خالد وأحمد بن يوسف وغيرهما ثم عرضت له سوداء كان أصلها جزعه على أخيه فانقطع بداره لتطبب واحتجب عن الناس الا أنه اعلى الخلق مكانه واستوزر المأمون أحمد بن أبى خالد فكان أحمد فى كل وقت يقصد خدمة الحسن بن سهل واذ حضر الحسن دار المأمون كان أعلى الناس مكانه ولما انقطع الحسن بن سهل عن منزله هجاه بعض الشعراء بقوله (وافر)

تولت دولة الحسن بن سهل … ولم اللمال لحائن من بذاها
فلا تجزع على مافات منها … وابكى الله شيئا من بكاها

ومات الحسن بن سهل فى سنة ست وثلاثين ومائتين فى أيام المتوكل

• وزارة أحمد بن أبي خالد الاحول للمأمون •

هو من الموالي . كان أحمد جليل القدر من عقلاء الرجال . وكان كاتباً شديداً فصيحاً لبيباً بصيراً بالامور . قال له المأمون ان الحسن بن سهل قد لزم منزله وانى أريد أن استوزرك فتعفى منه من الوزارة وقال يا أمير المؤمنين أعفنى من التسمى بالوزارة وطالبنى بالواجب فيها واجعل بينى وبين العامة منزلة يرجو لها صديقى ويخافنى لها عدوى فما بعد الغايات الا الآفات فاستحسن المأمون جوابه وقال لابد من ذلك واستوزره

كان المأمون لما ولى طاهر بن الحسين خراسان استشار فيه أحمد بن أبي خالد فصوب أحمد الرأي في توليته طاهراً . فقال المأمون لأحمد انى أخاف أن يغدر ويخلع ويفارق الطاعة . فقال أحمد الدرك في ذلك علىّ مولاه المأمون . فلما كان بعد مدة أنكر المأمون عليه أموراً . وكتب اليه كتابا يهدده فيه . فكتب طاهر جوابا أغلظ فيه للمأمون . ثم قطع الخطبة من اجله . فلما جمع . فبلغ ذلك المأمون . فقال لاحمد بن ابي خالد انت الذي أشار بتوليته فاضمن ما صدر منه وقد ترى ماصدر منه من قطع خطبته ومفارقته الطاعة فوالله لئن لم تتلطف لهذا الامر وتصلحه كما أفسدته والا ضربت عنقك . فقال احمد يا امير المؤمنين طب نفسا فبعد أيام يأتيك البريد بهلاكه . ثم ان احمد بن ابي خالد أهدى لطاهر هدايا فيها كوامخ مسمومة . وكان طاهر يحب الكوامخ فاكل منها فمات من ساعته . وقيل ان احمد بن خالد لما ولى طاهر خراسان حسب قد حسب قد حسب فوهبه خادما وناوله سما . وقال له متى قطع خطبة المأمون فاجعل له هذا السم في شيء مما يحب من المآكل . فلما قطع طاهر خطبة المأمون جعل الخادم له السم في كامخ فاكل منه فمات في ساعته

.ووصل الخبر على البريد بموته الى المأمون بعد أيام فكان ذلك مما عظم به امر احمد بن ابى خالد. ومات احمد وخلف ابنه سنه عشره وماشين

* وزارة احمد بن يوسف بن القسم للمأمون *

كان من الموالى. وكان كاتباً فاضلا اديباً شاعراً فطناً بصيراً بأدوات الملك وآداب السلاطين قالوا لما مات احمد بن ابى خالد استشار المأمون الحسن ابن سهل فمن يوليه الوزاره. فاشار عليه بأحمد بن يوسف وأبى عباد بن يحيى وقال هما أعرف الناس بطبع أمير المؤمنين . فقال له اختر لى احدهما فاختار له احمد بن يوسف ففوّض المأمون اليه وزارته * استشار المأمون احمد بن يوسف فى رجل يوسمه احمد بن يوسف وذكر محاسنه فقال له المأمون يا احمد لقد مدحته على سوء رأيك فيه ومعاديه لك فقال احمد لانى لك كما قال الشاعر (وافر)

كفى شكراً بما أسديت أنى | صدقتك فى الصديق وفى عداتى
وفى حسن سدى لامر | تكون هواك أغلب من هواتى

وله أشعار حسنه فيها (كامل)

قلبى بحبك يا منى | قلبى و بعض من يحبك
لا تكون فرداً فى هوا | ك فليت شعرى كيف قلبك

وأهدى يوم نوروز الى المأمون هديه فيها الف الف درهم وكتب معها (طويل)

على العبد حق فهو لا بد فاعله | وان عظم المولى وجلت فواضله
ألم ترنا نهدى الى الله ماله | وان كان عنه ذا غنى فهو قابله

فقال المأمون عاقل أهدى حسناً * وكان سبب موته أنه دخل يوماً الى

المأمون والمأمون سحر فأخرج المأمون لمحرة من تحته وقال حملوها تحت أحمد بكرمة له فعل أعداؤه الى المأمون أنه قال ما هذا البخل بالمحرور فهلا أمر لي بمحور من أمه. فاغتاظ المأمون لذلك. وقال يسعى لي البخل وقد علم أن نفقتي في كل يوم ستة آلاف دينار. وانما أراد إكرامه بما كان تحت ابى ثم دخل عليه وهو سحر مرة أخرى فقال المأمون احملوا تحته وثجمرة فقطع عنبر وصبوا عليه شيئاً منع البخار أن يخرج. فعملوا ذلك به فصبر عليه حتى غلبه الامر فصاح الموت الموت فكشفوا عنه وقد غشي عليه فانصرف الى منزله فمكث منه شهوراً عليلاً من ضيق النفس حتى مات بهذه العلة وقال مثل مات كمداً لنادرة ندرت منه فاطرحه المأمون لاجلها

• وزارة أبي عباد ثابت بن يحيى بن يسار الرازي للمأمون •

كان أبو عباد كاتباً حاذقاً بالحساب سريع الحركات أهوج محمقاً. قالوا كان المأمون يقول اذا رآه مقبلاً يقول دعبل فيه (كامل)

وكأنه من دير هرقل مفلت   حرب يجر سلاسل الاقياد

قيل للمأمون ان دعبلا الشاعر هجاك. فقال من أقدم على هجاء أبي عباد كيف لا يهجوني. ومعنى هذا الكلام من أقدم على هجاء أبي عباد مع هوجه وجنونه وحدته كيف لا يقدم على هجائي مع حلمي وعفوي للصفح

وكان أبو عباد شديد الحدة سريع الغضب وربما غاظه من بعض من يكون بين يديه فرماه بدواته أو شتمه فأفحش. فدخل اليه العالي الشاعر وأنشده (كامل)

لما أتينا بالوزير ركابنا   متعرضين لجوده أعطانا

نبت رحا ملك الامام ثابت   وأفاض فينا العدل والاحسانا

عرى له مود صلاته و باحه   ولناصكس . بدآ وسانا
. ى . برل لا اس عسا ممرعا   . محرما ى حوده معو با

فلما سال ى موله ى حوده . مف و ع علمه وصار كر ب حوده
ى حوده مر حى صحر تو اد . علب علمه سود هال ناسح هال
مرنانا و ص ماما وحلصا معحك جمع من كان بالمجلس ودهب ءطه هو
صا مصحك مع ناس وثم العالى عاقسه عوله معو ناء . صله

ه د ى بد الله محمد ب يزدد ى و ا المأمون وهو آخر و رثه
ه من حرسان كان محوسا ته سلمه و صلو بالخلفاء . سونا ول . ب
مره به . وكان فد ب نوه وهو صد فأسلمه مه ى مص كتاب المحر
ه بد ساد محود و مه د آ كمه . من آدب الدر ب مه وصب على . ملا . ه
ده ب ره خط ساحب ددوب ب . وه . طه وحلف جمع كتاب
مه ب من جعو وكان سوا حد محمد ما   فادامح صاحب له و ب
ب عما حسه طريكن ده ا ه بكان مولى هو عملا ا مسه وسع
ه اه كب معصا ا مه لمه ماس وحاب . مه الا . به مرى سوما مسم حسه
ه . فال به حط احى مه مه ماه صاحب له و ب فصمح سوند حسه
ه . ماه سف اق سحه حسه حط مليح وصط صحيح و سه صاحب له و ب
حلب . ه حسه مدمه ا الا ه موجدها مروعا مها على مه فاعده وحسن
مه فعال ناصى من عمل هده لحسه فال انا فال فحسن الكتابه فال ىم
فأمر ه با وسلمه الى كان مها حد امه . صول عماله وما محب ن محفظ
به . ورله مه وسعل ب لحد اب حى حصل أمور لا حلله وارسع فدره
أدب محما و ع ب كل ب فاسو ره المأمون وفوض اله جمع الأمور

وكان محمد شاعراً فصيحاً فمن شعره (وافر)

لقد فتنت بعطفها قلوب | وتاهت في الهوى من لا يجود
وزعم أني أهوى سواها | فكيف وما بعطفها الصدود
أنا من حبها في القلب مني | مكان الروح مستتر كمين
وما من يدعي اني خؤون | وعهد في هواها لا يكون
حذى عهدي على عيني وطرفي | وحسبك صادقاً اني أمين

ومات المأمون وهو وزيره ، اعتصب أيام المأمون ووزرائه

* ثم ملك بعده أخوه المعتصم أبو اسحاق محمد *

بويع يوم وفاة المأمون وقد تقدم ذكر السنة ، وكان المعتصم شديد لرأي شديد البنية يحمل الفرسان وحتى يا حطوب .وكان موصوفاً بالشجاعة وسمي المثمن من أحد عشر وجهاً .هو الثامن من ولد العباس.. الثامن من الخلفاء. وولي الخلافة وعمره ثماني عشرة سنة. وكانت خلافته ثماني سنين .وثمانية أشهر . . توفي وله ثمان واربعون سنة .وولد في شعبان وهو الشهر الثامن. وخلف ثمانية ذكور. وثماني بنات. وغزا ثماني غزوات. وخلف ثمانية الف الف درهم كانت أيام المعتصم أيام فتوح وحروب هو الذي فتح عمورية

* شرح الحال في ذلك *

كان السبب في غزو المعتصم عمورية أن ملك الروم خرج الى بلاد المسلمين فهب حصناً من حصونهم فقال له رنطره وقتل من به من الرجال وسبى الذرية والنساء. فقال إنه كان في جملة السبي امرأة هاشمية فصحت وهي تقول وامعتصماه. فعلم المعتصم ما فعله ملك الروم بالمسلمين فاستعظمه

وكبر عله وبلعه ماقالب الهاشمه فقال وهوى محلسه لبيك لبيك ونهض من ساعته وصاح فى قصره الرحيل الرحيل ثم ركب دابته وسمط خلفه شكالا وسكة حديد وحقيبة فيها زاده ثم نور وأمر العساكر بالتعبير وعبر عبرا لم يعبر مثله خليفه . فلما اجتمعت عساكره وفرغ من تجهيزه وعزم على المسير أحضر القضاة والشهود فأشهدهم انه قد وقف املاكه وأمواله على ثلاثه أثلاث . ثلث لله تعالى . وثلث لولده وأقاربه . وثلث لمواليه ثم سار فظفر ببعض اهل الروم فسأله عن احصن مدنهم وأعظمها وأعزها عندهم فقال له الرومى إن عمورية هى عين بلادهم فوجه المعتصم اليها وجمع عساكره عليها وحاصرها ثم فتحها ودخل اليها وقتل فيها وفى بلادهم وسبى وأسر وبالغ فى ذلك حتى هدم عمورية وعفى آثارها وأخذ بابا من أبوابها وهو باب حديد عظيم فحمله الى بغداد وهو الآن على أحد أبواب دار الخلافة يسمى باب العامة * وكان قد صحبه ابو تمام الطائى فمدحه بقصيدته البائية التى أولها

(بسيط)

السيف اصدق انباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب

ومنها يقول للمعتصم

خليفة الله جازى الله سعيك عن ... جرثومة الدين والاسلام والحسب

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها ... تنال الا على جسر من التعب

ومن جملتها مايشير به الى مبالغة المعتصم فى قتالهم واستئصاله إياهم

لم تطلع الشمس منهم يوم ذلك على ... بان بأهل ولم تغرب على عزب

ومن جملتها مايدل على شدة ما كان عنده من الحقد عليهم وهو قوله

ما ربع مية معمورا يطيف به ... غيلان أبهى ربى من ربعك الخرب

ولا الحدود وان ادمس من حجل   أشهى الى ناظرى من حدك الترب

وكان وقعه عمورية فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين • والمعتصم هو الذى بنى سر من رأى

﴿ شرح السبب فى بناء سامرا وكيفية الحال فى ذلك ﴾

كان بغداد دار الملك وبها سرير الخلافة من بعد المنصور إلا أن هارون الرشيد أحب الرقة بالشأم فأقام بها ومع ذلك فكانت الرقة له كالمنزه وقصوره وخزائنه ونساؤه وأولاده ببغداد بقصر الخلد ومن ولى بعده من الخلفاء كان سرير ملكهم ببغداد

فلما كانت أيام المعتصم خاف من بها من العسكر ولم يثق بهم فقال اطلبوا الى موضعاً أخرج اليه وأبنى فيه مدينة وأعسكر به فان رابنى من عساكر بغداد حادث كنت بنجوة وكنت قادراً على أن آتيهم فى البر وفى الماء فوقع اختياره على سامرا فبناها وخرج اليها

وقيل إن المعتصم استكثر من المماليك فضاقت بهم بغداد وآذى بهم الناس وزاحموهم فى دورهم وتعرضوا بالنساء فكان فى كل يوم ربما قتل منهم جماعة • فركب المعتصم يوماً فلقيه رجل شيخ فقال للمعتصم يا أبا اسحاق فأراد الجند ضربه فمنعهم المعتصم وقال له مالك يا شيخ فقال لا جزاك الله خيراً عن الجوار جاورتنا مدة فرأيناك شر جار جئتنا بهؤلاء العلوج من غلمانك الأتراك فأسكنتهم بيننا فأيتمت بهم صبياننا وأرملت نساءنا والله لنقاتلنك بسهام السحر يعنى الدعاء • والمعتصم يسمع ذلك فدخل منزله ولم ير راكباً إلا فى يوم مثل ذلك اليوم فركب وصلى بالناس العيد وسار الى موضع سامرا فبناها وكان ذلك فى سنة احدى وعشرين ومائتين

ولما مرض المعتصم مرضه الى مات فيها نزل فى سفينة ومعه زنام الزامر وكان أوحد وقته فجعل يجار على قصوره وبساتينه تتاطئ دجلة وقول لزنام ازمر (سريع)

يا منزلا لم تبل أطلاله حاشى لأطلالك أن تبلى
لم أبك أطلالك لكننى بكيت عيشى فيك إذ ولى
والعيش أحلى ما بكاه الفتى لا بد للمحزون أن يسلى

ولما احتضر جعل يقول ذهبت الحيل ليست حيلة ثم مات وذلك فى سنة سبع وعشرين ومائتين

شرح حال الوزارة فى أيامه

أول وزرائه كاتبه قبل الخلافة الفضل بن مروان . كان من البردان وكان عاميا لا علم عنده ولا معرفة وكان ردىء السيرة جهولا بالأمور وفيه يقول بعض شعراء عصره (طويل)

تفرعن يا فضل بن مروان فاعتبر فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم أبادهم القيد والأسر والقتل

الثلاثة هم الفضل بن يحيى بن خالد والفضل بن سهل والفضل بن الربيع . وكان الفضل بن مروان قد تمكن من المعتصم وحسده الناس على منزلته عنده ثم نكبه وأخذ جميع أمواله وعفا عن نفسه فبقى مدة يتنقل فى الخدمات حتى مات فى أيام المستعين

وزارة أحمد بن عمار بن شادى للمعتصم

ثم وزر له أحمد بن عمار . كان رجلا موسرا من أهل المذار فانتقل الى البصرة واشترى بها أملاكا وكثر ماله . وكان طحانا ثم أصعد الى بغداد واتسع

مها حاله صالو كان عرح ى الصدمه كل نوم مائه د ار وكاب الفصل س
مرو ن قد وصفه بالأمانه عند المعصم فلما نكب الفصل ـ نص نظر المعصم
على عمر أحمد س عمار فاســورره ،كان حاهلا ىاد ب بور ره وصــه صول
حمص سعر ، عصره (نم)

سحان رى لحالق لبارى صـ ب ورو ا ى عمار
،حكب صحاماً على نطه عــر دعكان ولا د ر
كمرب بالمقد ر ى م مكن ند حرب ى د كل معد ر

فــكب مده ى و ره المعصم حى ورد كاب من نعض العمال ىا كر
فه حصب الناحيه ،كه ، الكلاء فـاب المعم حمد ى عمار س الـكلاء
فلم ىا ر ما معول فدسا محمد ى عبد الملك ىاب وكان أحد حوصه و أ ساعه
فــأله عن الـكلاء معال أول لىاب ســى ىعلا فاد طال فلملاء و لـكلاء
فاد ىس وحف مهو حـس فعال لمعصم لأحمد ى عمار نصر ـب ى
لدوو ى وهد بعرص على لـكب ىم سور ه وه ب ى عما ه فاحه ىا

• ور ره محمد ى عبد الملك ب للمعصم •

كان أبوه باحر ى بام للماموب مو ـ ونسا محمد مادب مر ه ه
وكان د كاً مه ع ى كل سىء حى ص ر باد ه ه فىه ىا ،دكا ك ابه
وسعر و د ا ه حه ه ىاد ب لرئاسه وهو ىد ما لد حى كاب ا ـ
فاـ و ره على ما عده حه مرص اه و ه ه صا ه كى ى عد ه
من صر ىه وكان جبار مسكه فعا لمه الا ابـ حس حاب ه صا ى
الحلق ومات المعصم وهو وزيره وكان لـ مد ع مد مر لا ه لو ى ساب
وأحاله به على ى ا اب فسمه و سار على المعصم ب لا معصه سـاً عمل

المعتصم قوله ووقع فيما كان أمر به للواثق من ذلك فكتب بخطه كتاباً وحلف فيه بالحج والعتق والصدقة أنه إن ولي الخلافة ليقتلن ابن الزيات شر قتلة

فلما مات المعتصم وجلس الواثق على سرير الخلافة ذكر حديث ابن الزيات فأراد أن يناطله فخاف أن لا يجد مثله . فقال للحاجب أدخل الي عشرة من الكتاب فلما دخلوا عليه اختبرهم فما كان فيهم من ارتضاه . فقال للحاجب أدخل من الملك محتاج اليه محمد بن الزيات فأدخله فوقف بين يديه خائفاً فقال لخادم أحضر الي المكتوب الفلاني فأحضر له الكتاب الذي كان كتبه وحلف فيه ليقتلن ابن الزيات فدفعه الى ابن الزيات وقال اقرأه . فلما قرأه قال يا أمير المؤمنين انا عبد ان عاقبته فأنت حاكم فيه وان كفرت عن يمينك واستبقيته كان أشبه بك فقال الواثق والله ما أبقيتك الا خوفا من خلو الدولة من مثلك وسأكفر عن يميني فاني أجد عن المال عوضاً ولا أجد عن مثلك عوضاً . ثم كفر عن يمينه واستوزره وقدمه وفوض الأمور اليه . وكان ابن الزيات شاعراً مجيداً في شعره رثى المعتصم ويمدح الواثق

(منسرح)

قد قلت اذ غيبوك واصطفقت عليك أيد بالماء والطين
اذهب فنعم المعين أنت على الدنيا ونعم المعين للدين
لا يجبر الله أمة فقدت مثلك الا بمثل هارون

ثم ان محمد بن عبد الملك الزيات مكث في وزارة الواثق مدة خلافته لم يستوزر غيره حتى مات الواثق وولي أخوه المتوكل فقبض عليه وقتله

قيل ان ابن الزيات عمل تنوراً من حديد ومسامير الى داخل ليعذب

به من يريد عداته فكان هو أول من حمل فيه ، وقيل له ذو ما كسب بذنوب الناس ، انقضت أيام المعتصم ووزرائه

﴿ ثم ملك بعده ابنه هارون الواثق بويع سنة سبع وعشرين ومائتين ﴾

كان الواثق من أفاضل خلفائهم . وكان فاضلا لبيباً فطناً فصيحاً شاعراً وكان شبيهه بالمأمون في حركاته وسكناته . ولما ولي الخلافة أحسن الى بني عمه الطالبيين وبرهم . ولم يقع في أيامه من الفتوح الكبار والحوادث المشهورة ما يؤثر . ومات الواثق في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

﴿ شرح حال وزارة في أيامه ﴾

لم يستوزر الواثق سوى محمد بن عبد الملك الزيات وزير أبيه . وقد سبق طرف من حاله ومات الواثق وهو وزيره ، انقضت أيام الواثق

﴿ ثم ملك بعده أخوه جعفر المتوكل ﴾

كان المتوكل شديد الانحراف عن آل علي عليه السلام . وفعل من حرث قبر الحسين عليه السلام ما فعل . وأبى الله الا أن يتم نوره . وقال من يعتذر له إنه كان كأبيه وكالمأمون في الميل الى بني علي عليه السلام وانما كان حوله جماعة منحرفون عن أهل البيت عليهم السلام فكانوا دائماً يحملونه على الوقيعة فيهم ، والأول أصح ولا ريب أنه كان شديد الانحراف عن هذه الطائفة ولذلك قتله ابنه غيرة وحمية

﴿ شرح مقتله على سبيل الاختصار ﴾

كانت بينه وبين ابنه المنتصر منافسة وكان كل منهما يكره الآخر ويؤذيه فاتفق المنتصر مع جماعة من الامراء على قتله وقتل الفتح بن خاقان . وكان أكبر أمرائه وأفضلهم فهجموا عليه وهو يشرب فخبطوه بالسيوف فقتلوه

وقتلوا الصبح معه. وأشاعوا أن الصبح قتله فقتلناه به. وجلس ابنه على السرير بعده. وذلك في سنة سبع وأربعين ومائتين

• شرح حال الوزارة في أيامه •

لما بويع بالخلافة المنتصر محمد بن عبد الملك أقام أياماً ثم نكبه وقبض عليه وقتله كما تقدم شرحه * ثم استكتب رجلا من كتابه فقال له أبو الوزير من عزم أن يسميه بالوزارة فكتب له مدة يسيرة ثم نكبه وأخذ منه مائتي ألف دينار واستوزر الجرجرائي

• وزارة أبي جعفر محمد بن الفضل الجرجرائي للمتوكل •

كان شيخاً ظريفاً حسن الأدب عالماً بالغناء مشهوراً به خف على قلب المتوكل فاستوزره مدة يسيرة ثم كثرت السعايات به فعزله المتوكل وقال قد ضجرت من المشايخ أريد حدثاً أستوزره فأشير عليه بعبيد الله بن يحيى بن خاقان

• وزارة عبيد الله بن يحيى بن خاقان •

كان عبيد الله حسن الخط وله معرفة بالحساب والاستيفاء الا أنه كان متخلفاً .وكان مجدوداً فكانت سعادته تغطي عيوبه. وكان كريماً حسن الأخلاق .كان كرمه أيضاً يستر كثيراً من عيوبه . وكان فيه تعفف .فقيل ان صاحب مصر حمل اليه مائتي ألف دينار وملابس سفطا من الثياب المصرية. فلما أحضرت بين يديه قال لوكيل صاحب مصر لا والله لا أقبلها ولا أثقل عليه بذلك. ثم فتح الاسفاط وأخذ منها منديلا لطيفاً ووضعه تحت مخدته وأمر بالمال فحمل الى خزانة الديوان وصحح بها وأخذ به دوراً لصاحب مصر

وكانت سيرة عبيدالله هيئة والجند يحبونه. فلما جرت الفتنة عند قتل المتوكل خاف عبيد الله فاجتمع الجند على بابه وقالوا له أنت أحسن الناس

حال ور رمك و فال ا محب لـ طسا ـ محمط لك وىحرسك ى مال هده لسه ٠ لا رمو ماه وحمطوه ٠ اب لمتوكل هو و ره مصب م لمتوكل وورر ثه

ـه م ملك نمده سه محمد لمسعص نوىع ب صدحه لله لى سال نوه ا

كان لمسعص ـ مآ فاىكا سما كالقدم لما ولى ماه محدب الناس أنه لا نطول له الا ر مده وىـ وه سه ونه ن كسى ح ى ماه وه ىسـع م مالملك نمده ٠ هالو لما و ى لمسعص ماه و ىع ه مالحلافه حلس على ىساط ـ و لناس مىله ٠ علىـه ؟ امه محسه ماماو ـه وصر لىها لمسعص و ـىحسها ٠ هال لى حه هـ ىـ عرفون ـ ها فاحجمو وهالو لا ىعرف هاسحصر رحلا محسآ عر ا مره هر ا فاححم ا حل فصال له المسعص فال وما علىك نا ى هلس لك دمب فصال رحل على هد لساط مكتوب ما سرونه ى ؟ ى فىلب ى فلم سع مالملك ىعده لا ىسه ـ ر ٠ سه لمسعص من دلك ونهص من محلسه ممصىا فلم تم ىسه ـ ر حى ت ٠ دلك ى سه سان ٠ نمس وما ىن

٠ ح حاب و ره ى ىامه ٠

لما ٥ ىع مالحلافه سوورركاىسه حمد ـ حصب

٠ وورره حمد ن حصىب لمسعص ٠

كان حمد ممه ى صـاعه مطبوما علىه ى عطه ٠كاب ىىه مر ٥ ٥ حده وصىس ق حسه ىلم منه ا ٔ ر د ىعرص له رحـل من رىاب ىىو ىجم ٠ ح علىه حى صاىىه وصمط رحله مالركاب فاحىد حمد ٠ حرح حله ٠ ن ا كاب ركله ىها ى صدره ىعال ىىه ىعص السعر

(كامل)

فل للخليفة يا ابن عم محمد اشكل وزيرك انه ركال
قد نال من أعراضنا بلسانه ولرجله عند الصدور مجال

ومات المنتصر واحمد بن الخصيب وزيره . انقضت أيام المنتصر

* ثم ملك بعده المستعين هو احمد بن محمد بن المعتصم *

لما مات المنتصر اجتمع الامراء واكابر المماليك وقالوا متى ولينا أحداً من ولد المتوكل طالبنا بدمه وأهلكنا فأجمعوا على مبايعة المستعين وقالوا هو ابن مولانا المعتصم فاذا بايعناه لم تخرج الخلافة من ولد المعتصم فبايعوه في سنة ثمان وأربعين ومائتين وكانت ملك أيام فتن وحروب وخروج خوارج فممن خرج فيها فقتل ابو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام

* شرح الحال في ذلك *

كان يحيى بن عمر قتيل شاهي قدم من خراسان في أيام المتوكل وهو في ضائقة وعليه دين فكلم بعض أكابر أصحاب المتوكل في ذلك فأغلظ له وحبسه بسامراء ثم كفله أهله فأطلق وانحدر الى بغداد فأقام بها مدة على حال عسر مرضية من الفقر . وكان رضي الله عنه دينا خيرا عالما حسن السيرة فرجع الى سامراً مرة ثانية وكلم بعض أمراء المتوكل في حاله فأغلظ له وقال لاي حال نعطي مثلك فرجع الى بغداد وانحدر منها الى الكوفة ودعا الناس الى الرضي من آل محمد فتبعه ناس من أهل الكوفة من ذوي البصائر في التشيع وناس من الاعراب ووثب في الكوفة وأخذ ما في بيت المال ففرقه على أصحابه وأخرج من في السجون وطرد عن الكوفة عاملها وكثرت جموعه

فارسل اليه المستعين ببغداد وهو محمد بن عبد الله بن طاهر عسكراً فالتقوا بشاهي وهي قرية قريبة من الكوفة فكانت الغلبة لعسكر بن طاهر، فكشف الناس ويحيى بن عمر فقتل فحمل رأسه الى محمد بن عبد الله بن طاهر ببغداد فجلس محمد بن عبد الله بن طاهر للهناء بذلك فدخل عليه الناس فوجاً يهنئونه وفي جملتهم رجل من ولد جعفر بن ابي طالب عليهم السلام فقال له ايها الامير انك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياً لعزي به فأطرق محمد بن عبد الله ساعة ثم نهض وخرج الناس ورثاه الشعراء فممن رثاه بن الرومي بقصيدته التي اولها (طويل)

امامك فانظر أي نهجيك تنهج   طريقان شتى مستقيم وأعوج

منها

سلام وريحان وروح ورحمة   عليك وممدود من الظل سجسج

ولا برح القاع الذي انت جاره   يرف عليه الاقحوان المفلج

وهي قصيدة سائرة [illegible] تركنا اكثرها وكانت وقعة شاهي في سنة خمسين ومائتين وخرج عليه [illegible] الطالبيين فكانت الغلبة في جميع ذلك للحروب له

[illegible] كان مستضعفاً في رأيه وعقله [illegible] وكانت [illegible] الفتن ودولته مضطربة لا تستقر ولم يكن فيه من خصال الخير شيء ولا أنه كان كريماً وهوباً وخلع في سنة اثنتين وخمسين ومائتين ثم قتل بعد ذلك

شرح حال وزارته [illegible]

لما ولي المستعين قرر محمد بن الخصيب على وزارته ثم [illegible]

بعده أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد

* وزارة بن صالح محمد بن يزداد

كان عنده أدب وفضل وكانت توقيعاته وتخويه من حسن التوقيعات ولاحوته

ومن توقيعاته في رجل ليس عليك بأس ما لم يكن منك بأس

قالوا ولما توفي ابو صالح بن يزداد ووزارة المستعين ... الاموال فضعف ذلك على أمر الدولة وكان قد ضيق عليهم فهددوه بالقتل فهرب ... الأحوال ... المستعين وزارة محمد بن الفضل الجرجري وشجاع بن القاسم الكاتب ... أحد منهما بالوزارة ... طال ... الابام وكانت ذات فتن وحروب وخلاف كثير ... ايام المستعين ووزرائه

* ... بعده المعتز بالله هو أبو عبد الله محمد بن المتوكل *

بويع بالخلافة سنة ... وخمسين ومائتين عقيب خلع المستعين وكان المعتز ... الشخص حسن الصورة ولم يكن ... ورأيه وعقله بأس لا ... الاتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في ... كالأسير ... إن شاؤوا أبقوه وإن شاؤوا خلعوه وإن شاؤوا قتلوه

لما جلس المعتز على سرير الخلافة قعد خواصه ... و المنجمين ... فقالوا له ... كم يعيش ... وكم ... في الخلافة ... بالمجلس بعض الظرفاء فقال أنا أعرف من هؤلاء ... عمره ... فقالوا له فكم تقول إنه يعيش وكم يملك قال مهما أراد الاتراك فلم يبق في المجلس الا من ضحك

وفي أيام المعتز ظهر يعقوب بن الليث الصفار واستولى على فارس وجمع

جوعا كثيرة ولم تقدر المعز على مقاومته ثم ان الاتراك ثاروا بالمعز وطلبوا منه مالا فاعتذر اليهم وقال ليس في الخزائن شيء فاجمعوا على خلعه وقتله فحصروا الى بابه وأرسلوا اليه وقالوا له اخرج الينا فاعتذر بانه شرب دواء فهجموا عليه وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس فكان يرفع رجلا ويضع أخرى لشدة الحر وكان يحتمي بلطمه وهو يبكي بيده ثم حملوه في بيت وسدوا بابه حتى مات بعد ان أشهدوا عليه انه خلع نفسه وذلك في سنة خمس وخمسين ومائتين

شرح حال الوزراء أيامه

أول وزرائه ابو الفضل جعفر بن محمود الاسكافي

وزارة الاسكافي للمعتز

لم يكن له علم ولا أدب ولكنه كان يستميل القلوب بالمواهب والعطايا وكان المعتز يكرهه وكانوا ينسبونه الى التشيع ومال اليه بعض الاتراك وكرهه البعض الآخر وجرت بسببه فتنة فعزله المعتز

وزارة ابي موسى عيسى بن فرخان شاه للمعتز

كان كريما فاضلا بعد ان كان قبل الوزارة ولي بعض الدواوين فصرف عنه وله به سجعات فبلغه الف دينار فلطف بالدين بين يديه حتى كسبه وحاله بذلك على بعض الابواب فلما حصل المال كتب ذلك النائب الى عيسى بن فرخان شاه يعلمه أن المال قد حصل ويستأذنه في حمله اليه وكان صديقا له وكتب اليه ان فلانا الشاعر لازمني مدة وما حصل له مني حسن شيء فادفع هذا المال اليه فدفع المال الى الشاعر فأخذه . ثم صرف وجرت بسببه أيضا فتنة من الاتراك فعزله المعتز

﴿ وزارة ابي جعفر احمد بن اسرائيل الانباري للمعتز ﴾

كان أحد الكتاب الحذاق الاذكياء. قالوا كان يحفظ وجوه المال جميعها دخلا وخرجا على ذهنه وقالوا انه ضاعت مرة جريدة من الديوان فأوردها من خاطره فلما وجدت الجريدة كانت كما قال من غير زيادة ولا نقيصة. ثم ان الاتراك وثبوا على احمد بن اسرائيل فأخذوه وضربوه واستصفوا أمواله وشفع فيه المعتز وأمه الى مقدم الاتراك وهو صالح بن وصيف فلم يلتفت اليهما وحبسه وضربه بعد ذلك في أيام المهتدي حتى مات

ولما فعل صالح بن وصيف بأحمد بن اسرائيل ما فعل استحضر جعفر ابن محمود الاسكافي واستوزره للمعتز ثانية وقد سبق ذكره ولما تولى الوزارة في المرة الثانية قال بعض الشعراء (منسرح)

يا نفس لا تولعي بمقصد ... وعللي القلب بالمواعد

وسطري قد رأيت ما ساقه الله الى جعفر بن محمود

انقضت أيام المعتز ووزرائه

﴿ ثم ملك بعده المهتدي بالله هو أبو عبد الله محمد بن الواثق ﴾

كان المهتدي من أحسن الخلفاء مذهباً وأجملهم طريقة وسيرة وأظهرهم ورعا وأكثرهم عبادة. كان يشبه بعمر بن عبد العزيز ويقول اني أستحي أن يكون في بني أمية مثله ولا يكون مثله في بني العباس. وكان يجلس للمظالم فيحكم حكما يرتضيه الناس. وكان يتقلل في مأكوله وملبوسه

حدث بعض الهاشميين قال كنت عند المهتدي في بعض ليالي رمضان فقمت لأنصرف فأمرني بالجلوس فجلست حتى صلى المهتدي بنا المغرب. ثم أمر باحضار الطعام فأحضر طبق خلاف وعليه رغفان وفي إناء ملح وفي إناء

حل فأكل وأكلت أكلا مقصراً طناً في انه يحصر طعام أحود من ذلك فلما رأى أكلي كذلك قال أما كنت صائماً قلت لى قال أطلبت تريد الصوم غداً قلت وكيف لا وهو شهر رمضان فقال كل وسوف عساك فلس هاهنا عن ما ترى فصحت وقلت له ذلك يا أمير المؤمنين وقد أسبغ الله عليك نعمه ووسع رزقه فقال ان الامر كما تقول والحمدلله ولكني كرهت أن تكون في بني أمية مثل عمر بن العزيز وأن لا تكون في بني العباس مثله

وكان المهدي ... طرح الملاهي ... الساء ... ممع أصحابه من الظلم والتعدي

في أيام المهدي خرج صاحب الريح وسنورد خبره في أيام المعتمد ان شاء الله تعالى

كان المهدي قبل بعض الموالي ... عليه الاوراث وهاجوا وأخذوه أسيراً وعدوه ليخلع نفسه فلم يفعل فخلعوه ... ومات. وذلك في سنة ست وخمسين ومائتين

شرح حال الوزارة في أيامه

لما بويع بالخلافة أقر جعفر بن محمود الاسكافي على وزارته ثم عزله واستوزر سليمان بن وهب

وزارة سليمان بن وهب بن سعيد للمهدي

من قرية من أعمال واسط وكانت لهم سابقة وكانوا نصارى ثم أسلموا وخدموا في الدواوين حتى آلت بهم الحال الى ما آلت

كان أبو أيوب سليمان بن وهب أحد كتاب الدنيا ورؤسائها فضلا وأدبا وكتابة في الدرج والدستور ... عقلاء العالم وذوى الرأى منهم

حدث سه عبد الله هال حدثي ى هال كان مد سعادى ى كس
. ناصى س ىدى محمد س ىرد د و ر المأمون وكنا حماعه من الصدان س
ىدمه د رح ى الليل لى د ره باب و حد ما ى د ر المأمون بالنوبه لهم
عساه ىمرص ى الليل هال فكاىت له نوبى ىخرج حادم وهال هاهنا حد من
نو ب محمد س ىرد د ىعال حصاب له ىم ها هو د هادحلى لى المأمون ىعال
ى عمل سحه ى المعى الفلاى ووسع س سطورها و ىصد ها لأصلح مىها
ىد صلاحه هال ىخرحت ىد ىما وكىب الكىاب ىه سحه وىصىـه
حصر مه له فلما ى هال كىب السحه ىلت مل كىب لكىاب
ىعال ىصد مه ىلت ىم ر د ى ىعره ى كالمىحب مى فلما ىر ه ىسدب
لاسىحسان على وحهه و ىم ر ه ى هال ا حسن ما كىب ناصى
ىكن رىد ىـ ىىده هد السطر ووحر ه ىد لسطر وحط ىا ىىهما ىعلمه
فاحىدب الكىاب وحرحىب وحلىب ناحىه ىم محوب السطرىن وعملب
ا ر د وحه ىاىكىاب وكان ىد ىص ى طله و كىب عىه فلما ىره ىد
ىعرف موصع لمحو فاسىحسىه وهال ناصى لا درى ىـ ى سى ىعحب
س حوده محوك م س سـ ىه ىهمك ىد س حسن حطك م س ىـ ىعك
نارك الله فىك ىعلب ىده وحرحب وكان دلك ىوب علو مىرلى وصار
المأمون لا ىحرى معه الا ىال هانو سلىمان ى وهب ولما حرب له هده
المصه كىب الىه ىعص السعر (سىط)

ىوك كلمك الىـأو العىد كما ىد آ كلمه وهب ىوحىس
طىب محمد ىد ك عا ىه ولىس ىعد رمسوىا فلاىهى

هاىه كان سلىمان ى وهب ىمىى ىر هىم ى ممون ىكان ىر هىم ى

مسون سعسى مسه سسه ا حلاس فاحمعو كلهم على ب مسكر
رهم فأ كب سليمان بن وهب بلمه . . سده ، حلاص عن الله فلما صح
رهم عرفه حلاص . ممل به سليمان . فاب له كم بصوفلى انوب
صم لك مال هد فاقصح هم ب لمهم ، صب عليه وكتب سليمان
بن وهب اليه (محب)

مال الدس اس ر ب هب سسه ه حلاص
ب سمك سـ فالعه ى حلاص
هحر ربى ه سى مه و ماص
ه دلك ماسا لمم علب حه ص
مساعد ه وساه حى ذ ما حرص
و لك فامس مى ب حروح مصاص

حدب محمد بن لمدبر قال كان حس . و أبا ه سليمان بن وهب
. محمد ب سه ن معا ب بالاممه ب ه سلمان بن وهب يوما مد سب
ب لماه كان فالا عوب ى وب . ى حد سر فاسعاب محمد بن مال
وقال له و لله لا ر ب حى سمك . قوبا وحاف سد حوف ن سع هد
حدب عا قال بن لمد محدب . ن دلك سوم بلاس يوما فلما كان بوم
بلاس قال ى أحمد بن سه سال بن مصد و امول وصحه المماه وكان مد
حصه الباريح وحسب معن لا بعلم فقال له سليمان ب وهب ا قوبا صدق
وكذب فلما كان المساء لآحره صرق الباب علسا صرقا شديدا مسامع
صيح البساره البسا ه مات و بق فاحرحو بن سنه مصحك محمد بن
ب مقال مومو معد محمص ا قوبا وحاه الفرح معال لمان ب وهب

كيف نقدر أن نمشي مساه ومازلنا نسيده ولكن سبب محصر دواب
ركبها ما ساط أحدس اسرائيل وموت السوداء عليه . وكان شكس الاحلاق
وقال له ويحك يا سليمان منتظر مجيء مرسك حتى سولى حلمه آخر فقال له
في الحبس جماعة من الكتاب فمول مركون على حالهم حتى ينظر في أمورهم
فلبث في الحبوس زيادة على هذا ويكون سبب ذلك توجهك راكباً الى
منزلك ما فاعل ما صانع فضحكنا وخرجنا مساه في الليل وأجمع رأينا على ان
نسير عند بعض أصحابنا حتى يحصي الاخبار فوافقه امد رأينا في طريقنا رجلين
يقول أحدهما للآخر ان هذا الخليفة الجديد قد عرف أحوال المحبسين من
الكتاب وأصحاب الجرائم فقال لا يخرج عن احد حتى أنظر في حاله فمضينا
الى ن من الله تعالى في أسرع وقت وله الحمد . ومن شعره

(منسرح)

نوائب الدهر أدبتني وانما يوعظ الاديب
قد ذقت حلواً وذقت مراً كذاك عيش الفتى ضروب
ما مرّ بؤس ولا نعيم الا ولى منهما نصيب

وكان بنو وهب من رؤساء الناس وحذاقهم وفضلائهم وكرمائهم . وكانت
دولتهم ناضرة وايامهم مشرقة والادب في زمانهم قائم المواسم . والكرم واضح
المعالم . وخلع المهتدي وهو وزيره . انقضت أيام المهدي بالله ووزرائه

ثم ملك بعده المعتمد على الله هو أبو العباس أحمد بن المتوكل

(بويع سنة ست وخمسين ومائتين)

كان المعتمد مستضعفاً وكان اخوه الموفق طلحة الناصر هو الغالب على
اموره . وكانت دولته المسددولة عجيبة الوضع . كان هو وأخوه الموفق طلحة

كالشريكين في الخلافة . للمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بامرة المؤمنين . وللأخيه طلحة الأمر والنهي وقود العساكر ومحاربة الاعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء . وكان المعتمد مشغولا عن ذلك بلذاته * وفي تلك الايام كانت وقائع صاحب الزنج

* شرح حال صاحب الزنج ونسبه وما آل امره اليه *

ظهر في تلك الايام رجل قال له علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . فأما نسبه فليس عند النسابين بصحيح وهم يعدونه من الادعياء . واما حاله فانه كان رجلا فاضلا فصيحاً لبيباً اديبا . استمال قلوب العبيد من الزنج بالبصرة ونواحيها فاجتمع اليه منهم خلق كثيرون وناس آخرون من غيرهم وعظم شأنه وقويت شوكته . وكان في مبدإ حاله فقيراً لا يملك سوى ثلاثة أسياف حتى انه أهدي له فرس فلم يكن له لجام ولا سرج يركبه بهما فركبه بحبل فاقتتب له حروب وغزوات يطول شرحها فأدى نسبها وعظم حاله وهيبته وانتهت عساكره السودان في البلاد الدراية والبحرين وهجر ونهد اليه الموفق طلحة بعساكر كثيرة فالتقيا بين البصرة وواسط . دامت الحرب بينهما سنين كثيرة وبنوا مدينة هناك وأقام كل من الرجلين يرابط الغزو في الآخر . وفي آخر الامر كانت الغلبة للجيش العباسي فأخذ قتلا وأسرا وقتل صاحب الزنج وانتهبت مدينته . وكان قد بناها وسماها المختارة وحمل رأسه الى بغداد . فكان يوماً مشهوداً . وقيل ان عدد القتلى في تلك الوقائع كان الى الف وخمس مائة الف انسان . ومات المعتمد سنة تسع وسبعين ومائتين

* شرح حال الوزارة في أيامه *

قد تقدم أن أخاه الموفق كان هو المستولي على الخلافة فكان يعزل الوزراء ويوليهم

وزارة أبي الحسن عبد الله بن يحيى بن خاقان للمعتمد

لما ولي الخلافة المعتمد عقب الآثار على عبد الله بن يحيى بن خاقان فأحضره واستوزره على كره شديد منه وتقصي وتنصل. وكان عبدالله خبيراً بأحوال الرعايا والأعمال صائباً الأمول وقد تقدم ذكره في خلافة المتوكل

وزارة حسن بن مخلد للمعتمد

وزر له لما مات عبد الله بن يحيى استوزر المعتمد الحسن بن مخلد. وكان كاتباً لأخيه الموفق فاختصه له بوزارة المعتمد وكتابة الموفق. كان الحسن بن مخلد من دير قني ويقال إن أباه كان نصرانيا فخرج من بينه ما خرج. وكان الحسن أحد كتاب الدنيا. قالوا كان له دفتر صغير فيه بيده فيه أصول أموال الممالك ومحمولاتها وينظر فيها فلا ينام كل ليلة حتى يقرأه ويحفظ ما فيه حتى لو سئل في الغد على أي شيء كان منه أجاب من خاطره من غير توقف ولا مراجعة دستور قال الحسن بن مخلد: كنت مرة واقفاً بين يدي الموفق بن المتوكل ورأسه يمس ثوبه بيده. فقال لي يا حسن قد أعجبني هذا الثوب كم عندنا في الخزائن منه فأخرجت في الحال من خفي دستوراً فيه عمل ما في الخزائن من الأمتعة والدواب والمعتقة فوجدت فيها من جنس ذلك الثوب ستة آلاف ثوب فقال لي يا حسن يحتاج إذا كتبت إلى البلاد في تحصيل ثلاثين ألف ثوب من جنسه وحملها في أسرع مدة

ثم عزله المعتمد واستوزر سليمان بن وهب وقد سبق وصف طرف من حاله. وشرعت من تلك الأيام دولة بني وهب تنمو

• ور ره ابى الصعر اسماعيل س طىل ~

اسووره الموفو لاحه المعىمد. وكان أنو الصعر كرىماً مطماما محملا • لمع من الورارهملماً عطيما • وحمع له السف والقلم فطر ى أمر العساكر أنصا وسمى الوورر السكور كان ى ساه على طرعه عىر مرصىه فلم مالطه ومدحه السعر • كالبحىرى و س لروى وعىهما وهحوه . وكان أنو الصعر سىسب لى ى سىان ورىب سسه مرموىا الى سىان حصن بعص السىاب وفوه عمروه وهالو هو دعى . • كان س لروى مد مدحه عصىده يوسه طوىله أولها (ىسىط)

حسىك له صل عدىان وكىان ... مى يوىان عاح ورمان

عصوىان عا يال ا هرىا كىه ... • ما الدو كه ممادعىل الىاں

• مى الىاس هده العصىده د ر المىصح لىكرمه امها من دكرا الو كىه وكان الموصع لدى اع فىه الو كىه سى د ر الممصح . • س حمله هده العصىده

هالو بو الصعر من سىان فلب لهم ... كلا لعمرى ولىكن مىه سىان

كم من ابب مد علا يانى له ش ها ... كما علا رسول الله عدىان

فلما سمع أبو لصعر بوله هالوا بو السعر من سىان فلب لهم كلا طن أن س الروى مد هحاه بهد ىاصاً . به سرص أنه دعى و سىه على ى الصعر لامر فاستحكم سه و ىرص به . • يوصل س ارمى لى إوامه سوره لحال فلم ىصل ى دلك مول فائل ومال له اسىحان الله فاىطر لى السىب الثاى وحسن معناه فانه معنى محىرع مامدح حد ىمله فلك . ىصح وحرم بان اس الروى هحاه وحرمه فهجاه س اروى وأفحش ى هحائه فيما هحاه به

قوله (خفيف)

عجب الناس من أبي الصقر اذو | لي بعد الاجارة الديوانا
ان للحظ كيمياء اذا ما | مس كلبا أصاره انسانا

وقوله (سريع)

مهلا أبا الصقر فكم طائر | خر صريعاً بعد تحليق
زوجت نعمى لم تكن كفؤها | فصانها الله بتطليق
لا قدست نعمى تسربلتها | كم حجة فيها لزنديق

ومن غريب قوله فيه (بسيط)

ما بال فرخ أبوه نبل ريح | يكنى أبا الصقر ما اهل الدواوين
قروه من كنية ليست تليق به | يدعى أبا الصقر من كان ابن شاهين

وقبض عليه المعتمد وحبسه وعاقبه ثم قتله في محبسه واستصفى أمواله.
واعلم ان هؤلاء وزراء المعتمد كالحسن بن مخلد. وسليمان بن وهب. وأبي الصقر
ابن بلبل تولوا الوزارة وعزلوا مراراً مرتين وثلاثة

﴿ وزارة أحمد بن صالح بن شيرزاد القطربلي للمعتمد ﴾

استوزره الموفق لأخيه المعتمد. وكان أحمد كاتباً بليغاً فاضلا عارفا بما
يلزم مثله فرزقه مجداً في التعلم والنثر. ووصف احمد امرأة كاتبة. فقال كأن
خطها حسن صورتها وكأن مدادها سواد شعرها وكأن قرطاسها أديم وجهها
وكأن قلمها بعض أناملها. وكأن بيانها سحر مقلتها. وكأن سكينها غنج لحظها
وكأن مقطها قلب عاشقها. ومكث احمد بن شيرزاد في وزارته نحواً من
شهر ثم مرض ومات. وذلك في سنة ست وستين ومائتين

﴿ وزارة عبيد الله بن سليمان بن وهب للمعتمد ﴾

كان عبد الله بن سليمان من كبار الوزراء ومشايخ الكتاب . وكان بارعا في صناعته حاذقا ماهرا ثم انه مات فاستصحب المعتضد خبرا جزع عليها فقال له عبد الله بن سليمان فقال يا أمير المؤمنين يهون المصائب عليه لانك تجد من كل مفقود عوضا ولا تجد أحد منك عوضا . وكأن الشاعر عناك بقوله (بسيط)

يبكي علينا ولا نبكي على أحد ... نحن أغلظ أكبادا من الابل

وفي عبد الله بن سليمان يقول الشاعر (بسيط)

دا أبو قاسم جادت يداه لنا ... لم تحمد الاجوادين البحر والمطر

وان مضى رأيه أو حد عزمته ... تأخر الماضيان السيف والقدر

وإن أضاءت لنا أضواء غرته ... تضاءل النيران الشمس والقمر

من لم يبت حذرا من حد صولته ... لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر

ينال بالظن ما يعيى العيان له ... والشاهدان عليه العين والاثر

ومات عبيد الله في سنة ثمان وثمانين ومائتين ... أيام المعتضد ووزارته

ذكر خلافة المعتضد بن أحمد

هو أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل بويع سنة تسع وسبعين ومائتين

كان المعتضد شهما عاقلا فاضلا حسن السيرة . ولي والدنيا خراب والثغور مهملة فقام قياما مرضيا حتى عمرت مملكته وكثرت الأموال وضبطت الثغور وكان قوي السياسة شديدا على أهل الفساد حاسما لمواد أطماع عاكره عن أذى الرعية محسنا الى بني عمه من آل أبي طالب . وكانت أيامه أيام سوق

وحو رح كىرى مىهم عمرو ں للىں الصعار. كان مد عطم ىنأىه وفحم أمره و ىسوى على أكىر ىلاد العحم . وكان ىمول لو ىسىٮ أں أعمد على ىهر ىلح حىد امں دهب لعملىں. وكان ىطىحه ىحمل على ىىمائه حمل فآلب عافىه لى العىد ولا ىرو لىدل. ههاالمعىصد ق إصلاح المسىص من مملكىه والعدل ق رعىه حى ماب ووى الحز ش ىصىمه عىد الف الف دىار لالف مكرره مر ىں. ومابى ىسه ىسع وعىاس وماىىں

ىسرح لورره ق ىامه

فر عىد الله ں سلىمان على ورىره. وقد مصى سده مں أحاره. فلما ماب عىد الله عرم المعىصد على ں ىىأصل سأفه ولاده وىسصى أموالهم. فحص العىم ں عىد الله وىسعىان ىىدر المعىصد ىكىب حطآ ىالى الف دىار هاب وورره المعىصد

وررره العىم ں ىىد الله ں سلىمان ں وهب

كان العىم ں ىىد الله من دهاه العالم ومن افصل لورره. وكان ىىمآ فاصلا لىىآ محىملآ رمآ. ىآ حىارآ. وكان ىطىس ق دىىه وهو الدى ىىل ں لرومى ىالسم . وكان ں ا وى معىطآ الىهم ىمدحىم وكانوا ىصىون ق حىمه ق ىعص لاوفات ىحاه وكان هحاه. وق ىى وهب ىمول اىں المعىر

(طويل)

لآل سلىمان ں وهب صىائع	لدى ومعروف لى مىدما
هم ىدالوا الى لدهر حىد ىىاسه	فمعلوا من ىوب والدى الدما

وق هحائم ىمول ىعص الىعراء (بسيط)

د رىىى ى وهب ىىه له	لم ىدرأىهم لاىى من الدكر

فصل اه عد ه ں ه فص ذكر سه مقدمين دو

ه اں لمعصد هو ه ره عص ه لمعصده ه ه

ه ه اں عده سه الكتبي ناه

هو ه محمد على ں لمعصد ه ع ں سه سبع ه ساں ه ں
كان الكتبي ه ں فاص ں حـ هو ـد ں ں لمسجد حامع نا حـ ه
مـد د وں ناه الكى ر معه ه موه ه ں حو رح حر حو
ه عمو ں على حـح ه ماصلو ساهسه ه فلو ه ٮه ه ماه عه ه ه ـ ح
لمكں ه حو سه ه ه اع ه ه مل مص سمانه
ه الكى هو ه ا ں اح ـ ص ه سـد د وكاں ه فاه لمكتبي
سه حمس ه سه ں ه ں

ـ ح حاں ه ه ں ناه

ـا ں لمعصد كاں الكں با ه ه فقاه و ر مه ں عـسد لله
احد لـ مه امكتبي عـه لمرصى ه كـ ه علمه د ـ ه حه ـه ناه ده
ه مصـ ـ حا الكتبي ں نعد د و فر ه على ه ه وعه ما ا وحل مر
لعـم ق ناه لمكى ه عصـ ساه ملما دكـه ه فاه ـ رلى لمكتبي نامان
ں حسں فاـو ه

و ره له ں ں حسں

فاں لصوى ه ں عحـ اساهدت ه ں عله ـ ا ه صا ف لامور
ى ـ الداس ں حسں ں ه ں لا ما ه ـل ں ه ـ مو العـم
ں سـد لله وفد حـه ں د ه وصـل ـد ه لده ثم ق حر لموه لمذكو
اں الله ـم وحلع المكتبي على لعاس ں حسں و مو ره حا ولاه ه ر

القسم بن عبد الله فضل بده

كان العباس بن الحسن ذا دهاء ومكر وأدب وافر . وكان ضعيفاً في الحساب ولم تكن سيرته محموده . وكان متكلاً على كتابه في الامور بعمله . وكان يقول انا بالأعمال أنا أوقع الكتب و هم اعلموا ما فيه المصلحة . ولم تزل الامور مضطربة في أيامه حتى وثب عليه الحسين بن حمدان وجماعه من الجند مع قتله وذلك في أيام المقتدر وعصب مال المكتفي ووزيره

ذكر ملك بعده المقتدر بالله

هو ابو الفضل جعفر بن المعتضد بويع له بالخلافه في سنه خمس وتسعين ومأتين وعمره ثلاث عشره سنه

وكان المقتدر سمحاً كريماً كثير الانفاق . ودرست رسوم الخلافه من الجمال بسببه لا ذرت . والنفاس وكثره الخلع والصلات . كان في داره احد عشر الف خادم خصي من الروم والسودان . وكانت خزينه الجوهر في أيامه مترعه بالجواهر النفيسه . فمن جملتها الفص الياقوت الذي اشتراه الرشيد بثلاثمائة الف دينار والدره اليتيمه التي كان وزنها ثلاثه مثاقيل الى غير ذلك من الجواهر النفيسه فرّقه جميعه وأتلفه في أيسر مدة في أيامه قتل الحلاج

(شرح الحال في ذلك)

كان الحلاج و اسمه الحسين بن منصور ويكنى أبا المغيث . أصله مجوسي من أهل فارس ونشأ بواسط وقيل بتستر وخالط الصوفيه وتلمذ لسهل التستريّ . ثم قدم بغداد ولقي أبا القسم الجنيد . وكان الحلاج مخلطاً يلبس الصوف والمسوح تاره . والثياب المصبغه تاره . والعمامة الكبيره والدراعة تاره . والقباء وزيّ الجند تاره . وطاف بالبلاد ثم قدم في آخر الامر بغداد وبنى بها داراً

. حلف أر . الناس و عماد بهم ه ه و ر مه علمه و سعـل من مذهب
لى مذهب و ـ موى العامه سحارتى كان ـ ـ مدها مها ه كان حفرى حس
فو رع الطرقات ـ وصما ونصع فه فاصه ماء ثم حفر فى موضع آخر ونصع
فه صما ا ـ حر ما لـ الموضع ومعه أصحابه فحـ احوبه الك ى ما ـ و به
و سوصؤن به فأى هو ى ذاك لموضع لذى مـد ـ موسس ء ـه مكا
ـ حرج لما ء ـ بوب ـ سوصؤن ثم ـعل كذلك فى الموضع الآخر عـند
حوء ـ فخرج الصماء من عن لا ص بوهم ـ ن ذلك من كرمات لاولما
ولذلك كان عسع ما هو كه ما حره وعمعه ا وعرحه ا ى عه وفيما سمعت
اس به ـ سكلم كلام اصوبه وكان خلفه ـ الا عو ذكره من حلوب عص
. له سما ه ا   (هزج)

د ـى ـه ـ سوب ى ى ـ ى ـ دمـ
سـعاى ـ مـ لما ـ ب عمل عـ مـ بالصـ ـ
فلما ـ رب الكاس دنا ما عم والسـ
كذ ـ ى ـ ب ا ح مع اسس فى الصـ ـ

وكه سعف الناس به وملهم اله حتى كان امامه ـ سى به له وكان
موب لاصحابه ـه مو ى وسا ى ـ محمد وده ماب ـ حهم الكم فلما ى
هذ ا ساد ـ به عدم لمعد ى ورره حامد ى اماس باحصا ـ ومما ربه
فاحه د و ر و جمع له القصاه و لا ـه ـ ودر فاه ف أسماء وحسب مله
فصه ب الف ـ سوص على ن موب فا ب فمعمى ـ ده و حلاه ـ حر رسه
وخرجب ـ ه وقال لاصحابه سد مله لا يهولنكم هذ فانى خوب لكم ـ سد
شر ـ قالو و سد قتل مله   (٥ ٠ م)

صلب المـ مر كل أرض   فلم أرى ناص مسعر
طلب مصادى فاسعدى   ولـ نى فعب لكب حر

ودات فى سنه سبع وثلاثمائة ومدة مدد باحاب العرى ورب من
مسـ ـد معروف بالكرحى صى الله عـ ـه وش ـب لأنام فلم الفرحه
لحجر الأسود ومكث فى مد سم ـكه من عـ ن سنه حى دعلى با
ا عـ عى ن حسن ن محمد ن عمر ن عى ن حسن ن ـد ن
على ن حسن ن على ن أبى طالب عليهم السلام وعرب دولة الله ـدر
كاب دمه دب علمكه مصر سنه ولاسيما ووو انه وحدمه علمه
فكاب ده ـه ده مه ها على ا ـ سا وحـدمه هو مسعود له
خرب الباق باهه وحلب ورب لأمور وحلب كامه خلع ـه ـد
ـه ول من ملك لأنام مت لأمه دصمه با رب

ح حال الدولة العلويه ـد ـ باما على ـ ل الاحصار

هده دوله ـسعب كتاب ممالك الأبصار ـد فكان ـد ؤها حـ
ر لـ ـدى مرـ ـر سنه ـب وسعين و شين و اؤها فى سنه سبع
وستين وخمس مئه وكادت هـده الدولة ن ملك ملكا ساماه ن ـ ـ لأمة
لـ والا ا ـ ـ ـى الموسوى مدس له وجه سوله (حمـ ـ)

امامى على لهم مـ ـدى   مسوب فاصنع وعت حمى
ويا محاسـ ـن ـ ـسـ ـه كا   ع صار مـ ـى
حمل عـ ـ ى بلاد المادو   وعـ ـ ـلا ـه العلوى
من نوه بى مولاه مولا   ى د صادى الله ـد الفصى
ـب ـد ى ـ فـه ـد ا ـاس حمـا محمد وعلى

ابـ دل بذلك لحو هر وأومى بذلك لرسم ربي

سـ ح سد ، هده الدوله

أول خلفائهم المهدى بالله وهو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن اسمعيل الثالث ابن أحمد بن سمعيل الثاني بن محمد بن سمعيل الاعرج بن جعفر الصادق عليهم السلام. وقد روى نسبه على صورة أخرى وفيه خلاف كثير. والصحيح أنهم علويون ينسلون من محمد ولا شك. وهذه الصورة التى أوردناها هاهنا هي المعول عليها . الخطوط ونساخ النساس

وكان المهدي من خاف بني هاشم من عصره فهرب إليه ولد بعد دسيسة ... وما أمن وقتل ولد سلمية ثم وصل إلى مصر في زى التجار وأمر بمره بالمغرب ودعا الناس إلى نفسه فقالوا له ... فيه خلق كثيرون وسلموا عليه بالخلافة وقويت شوكته وعظم حاله. ثم وصل إلى ... وبنى مدينة سماها المهدية وسمعر ... ملك مرعيه . ملاد المغرب وملك النوحى حميعها. ثم ملك الاسكندرية وحرجها وحرج مصر الصعيد. توفي سنه ... وعشرين وثلاثمائة ثم سير الخلافة فيه وحد بعد وحد حتى انتهت النوبة إلى العاضد آخر خلفائهم. وهو أبو محمد عبد الله بن الأمير يوسف بن حافظ لدين الله

(شرح انتهائها)

ولي العاضد بن ... خمس وخمسين وخمسمائة وهو صبي . فقام بأمر دولته الأمير ... حتى توجه أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى مصر ... من اختلاف حول الدولة لصغر الخليفة واختلاف آراء وزرائه ... وسار صلاح الدين مع عمه أسد الدين شيركوه

كارها فلم تطل مدة اسد الدين شيركوه فمات فاستولى صلاح الدين على المملكة وسورة العاضد وخلع عليه خلع الوزارة فى سنة اربع وستين وخمس مائة. وتمكن صلاح الدين من الدولة وقدم عليه اهله فأقطعهم الاقطاعات السنية وأزال يدي أصحاب العاضد وتفرد بالحكم ومرض العاضد وطاولت مرضه. ثم مات فى سنة سبع وستين وخمس مائة واحجم الناس فمن يدعى له بالخلافة على المنابر

فلما كان يوم جمعة تقدم رجل عجمي الى المنبر وخطب وذكر الخليفة المستضيء فلم ينكر احدعليه وسر من حال ثم قطعت الخطبة للفاطميين وانقرضت دولة الفاطميين منها واستقل صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر من غير منازع وحبس من كان يخاف من اقارب العاضد فقبض على جوارى والاموال ومن جملتها جبل الياقوت وزنه سبعة عشر مثقالا. قال ابن الأثير المؤرخ أنا رأيته ووزنته ومن جملتها قضيب زمرد طوله أربع أصابع فى عرض عقد ووجدوا طبلا بالقرب من موضع العاضد فظنوه عمل للعب فسخروا من العاضد فضرب به إنسان فضرط ثم ضرب به آخر فخرج له كما جرى لصاحبه فصار كل من ضربه ضرط فالقاه أحدهم من يده فكسره واذا الطبل قد عمل لاجل القولنج فندموا على كسره. وكان ذلك فى أيام الخليفة المستضيء من بنى العباس فوردت البشائر اليه بفتح مصر وباقامة الخطبة له بها فأظهر السرور ببغداد وهنأه الشعراء وأرسل المستضيء تقليد السلطنة الى صلاح الدين بالموصل والحكمة فصار من ذوى الملك من سناه وبرع الملك ممن ساواه

رجعنا الى ترجمة خلافة المقتدر

وخلع المقتدر وبويع عبد الله بن المعتز فمكث يوماً واحداً فى الخلافة

ء سه و المصدر علىه فاحده وفىله وه ىهد ىد هه ى لمىه ى لحلما
مه ل ل لاى وى ءىه ءحرب ى لم د وى مؤس لمطفر ءه
لحوس ىامره دب ى حرب مىل ه ا لمىد ممعه و ه وحىل ى ى
ىاى مؤىس المصور ممكىب حسه م مه على فارعه عرى ءمال ه حا
ه حل سوكى مرى و ه ىادىه ءاى ىا احر ه ولى فمىاه ودلك
ى سه ى ءىلا ىاىه

ه مرح حاب ء ءى ىامه

لما لس لمىد على ى حلافه ء لما ى لحسى ء حد ه
ا لكىى على ء ه فاا ءىل لما ى حسى ءحرب الى ه ى لمىد
ءى عىد لله ى لمه ء عر لم د حد ى رب ء سو د

ء د ى لمرب

هاب سوى ه ءى مى ى عىاب دحسال هال ء سو مرب ءى
حل الىاى فصلا ءكر ا ءسلا ووها ءمر ء ه ءكاى هد ىو حسى على ى
المرب ءى حل الىاس وعط ءكر حود ءكاى ىاه و ىه ىاال
وكاى لمىدر لما حرب له لمسه ءحلع وىىع ى لمىه ىه صر لمىد
ىاه وى مرب لحلافه للمصدر ىىال ى ى حسى على ى لمرب فاحىه ه
ءسو ء ءحلع علىه فىهص ىسكى المىه حسى وص ودر لا وله ى
يوم وحىد وفرر لمو عىد ء سماى للىاس وهىب لما لمىله لا ولا مو
مى مىه امىد ءحوى د ىه فد ىدى ءى دلك ىمى ىمص سمره
لا وله الله ىدرىه (ءماى)

ودرب ى ساعه دوله عال مه لى ى ر

وولي ابن الفرات الوزارة ثلاث دفعات للمقتدر قالوا كان إذا ولي ابن الفرات الوزارة تغلو الشمع والثلج والكاغد لكثرة استعماله لذلك لأنه ما كان يشرب أحد كائناً من كان في داره في الفصول الثلاثة إلا الماء المثلوج ولا كان أحد يخرج من عنده بعد المغرب إلا وبين يديه شمعة كبيرة صغيراً كان أو كبيراً وكان في داره حجرة معروفة بحجرة الكاغد كل من دخل واحتاج إلى شيء من الكاغد أخذ حاجته منها

حدث عنه أنه قال ما رأيت أحداً تأنى في أسباب الحوائج إلا كان هيامي بالإحسان إليه أشد من هيامه . قال وكان قبل الوزارة يعمل لجلسائه وندمائه جامات سكر ينقلونها فلما ولي الوزارة خص الفراشون الندماء والجلساء بتلك الجامات فأنكر ذلك عليهم وأمر بإحضار الجامات وقال لا يرى منه يرتفع شأني بحط منه له بحجابي . ولما خرج ابن المعتز وسعى في خلع المقتدر ثم أنا حسن ابن الفرات حضرت إلى ابن الفرات رقاع من جماعة أرباب الدولة على مبايعتهم لابن المعتز وخروجهم عن المقتدر فأشار عليه بعض الخاصة بأن يحضر ويطالع بها المقتدر ليعرف بها العدو من الصديق فأمر ابن الفرات بإحضار الكانون وقعد بازائها وجعل تلك الرقاع فيه بحضرة من الناس ولم يقف على شيء منها وقال للحاضرين هذه رقاع أرباب الدولة ولو وقفنا عليها تغيرت نياتهم لنا وإن علمنا بأسمائهم أهلكنا رجال الدولة . وكان في ذلك أتم الوهن على المملكة وعلى أركانها كما هو أركانها من ذلك نياتهم متغيرة . وكذلك نيتنا فلا تنفع بهم وما زال ابن الفرات ينتقل في الوزارة إلى المرة الثالثة فقبض عليه وقتل وذلك في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة

ـ وزارة الخاقاني

هو أبو علي محمد بن عبد الله بن يحيى بن خاقان . لما قبض المقتدر على ابن الفرات في المرة الاولى أحضره . وكان حاقداً من ابن الفرات فطلب قلبه وسوّره وخلع عليه خلع الوزارة

كان الخاقاني سيئ السيرة والتدبير كثير التوليه والعزل . قيل انه ولى في يوم واحد سبعة عشر ناظراً للكوفة وأخذ من كل واحد رشوة فانحدروا واحداً واحداً حتى اجتمعوا جميعهم في بعض الطريق فقالوا كيف نصنع فقال حدثهم ان أردتم النصفة فمن أن نحدر الى الكوفة آخرنا عهداً بالوزير فهو الذي ولايته صحيحة لأنه لم يأت بعده أحد فاتفقوا على ذلك فوجه الرجل الذي جاء في الآخر نحو الكوفة وعاد الباقون الى الوزير ففرقهم في عدة أعمال وهجاه الشعراء . فمما قيل فيه (خفيف)

للدواوين مدة ولست عويل	. لمآل الخروج سهم طويل
ساق لحظوحين ألف	ملك رقى عن وعقل ضئيل
ان سمعتم من خانه ولحو	فالأرتجاع حسم عجيل

ومما قيل فيه (وفر)

وزير لا يحل من الرقاعه	يولى ثم يعزل بعد ساعه
ويدني من تعجل منه مالا	ويبعد من توسل بالشفاعه
اذا أهل الرشا صاروا اليه	فأحظى القوم أوفرهم بضاعه

وقبض المقتدر عليه وحبسه واستوزر عليّ بن عيسى بن الجراح

* وزارة علي بن عيسى للمقتدر *

كان علي بن عيسى شيخاً من شيوخ الكتاب فاضلا ديناً ورعاً مبرهناً موزعاً . قال الصولي: وما أعلم انه وزر لبني العباس وزير يشبه عليّ بن عيسى

في زهده وعفته وحفظه للقرآن وعلمه بمعانيه وكتابته وحسابه وصدقاته
ومبراته. قالوا كان دخل علي بن عيسى من ضياعه في كل سنة سبعا وثمانين
ألف دينار ينفق نصفها على الفقراء والضعفاء ونصفها على نفسه وعلى عياله
وأصحابه ويعنى بأمور الوزارة، فضبط الدواوين والأعمال وقرر الموحد
فكانت أيامه أحسن أيام وزارته. فما كان جاء علي بن عيسى حتى أكثر
من قولهم إنه كان ينظر كثيراً من حوادث الأمور فيما يتلقاه عن الكتاب
ولما ولي الوزارة وقف صدقاته ومبراته ووقف وقوفاً كثيرة من ضياع
السلطان، فرد لها دخلاً نافعاً ينفق في البر ويجعل حاصله لإصلاح الثغور
والحرمين الشريفين. وكان يجلس لرد المظالم من الفجر إلى العصر ويقتصد
على شيء من الطعام وأخشن الملبوس. فهو لو نظر المقتدر مراراً كان هو وهو
حسن علي بن الفرات فإنما له من صبره وزهده وبره ذلك

وزارة حامد بن العباس

كان حامد يتولى دهراً أعمال السواد فكان أحد من تولى أعمال حضرته
وكان كريماً مفضالاً محتملاً جميل حاشيته رئيساً في نفسه غزير المروءة فاشي
النعمة في ستخرج المال قليل الأسف يتبع الطامع واحدة لا أن كرمه
كان يقضي على ذلك

حدث عنه أنه دخل مرة إلى دار المقتدر فطلب منه بعض خواص
الخليفة شيئاً لا يدوبه فأخذ الدواة ووقع له بمائة كر، فجاء له آخر من الخواص
أيضاً فصاح إلى جانبي الدواة فوقع له بمائة كر وما زال يطلب منه واحد
واحد من خواص الخليفة فهو يوقع حتى فرق ألف كر في ساعة واحدة. ولما
عرف المقتدر فعله فهم حامد وقلة خبرته بأمور الوزارة أخرج الله علي بن

عـى ں الحراح مں الحاس وصمه ه ه حمله كاا ٮ له فكان على ں ٮـى
لحرنه هو الاـل ه مكل ماعقده عقد ه كل ماحله حل ه وكان ٮماله ر ره
لحامد ه حصه ٮالعلى ں عـى حى قال ٮعص الـعر ه (كامل)

ـال لاں ـى موله ٮـى ـا ں محاهد
ٮ لو ر و ـــ ـحره لحد ـه حامد
حـلوه عدك ـــ ه اصـلاح ـمر ها ـد
ٮهما ـكـكـ فقال له ـكم ه حداً و حد

وكان حامـد ٮلس الـوـد وحاس ى دـٮ له ره ه لى ں ـ ى
حلس ـ ٮدٮه كاا ـاٮ ه اس ٮه سو ـ ه لا ـ ه ں ى له ورره لا أنه
ـو له رر لى حه ه فقال ٮعص الـعر (ـ ح)

عحـٮ مں كلـ مار ـا ں ه رر ں ـ ش لاد
ـه سو د ٮلا ورر ه د ه رر ٮلا سو د

ـم عرل حامد وٮـ ورر الى در عـد لى ں ال ر ـٮ ه سلمه الـه
همله ـ ا

ه ر ره ى القسم عـد الله ں محمد ں ـد الله ں ٮحى ـ حاقاں
ه طال أٮامه ه و ه ـكںلعـه ه ٮو ر وـعر ه ه حلـ لامور ـا ـه
ه ودر ه عرل ه ٮموـں ـه ٮاں عـ ه ه لاٮمـائه

ور ره أبى العماس أحمد ں ـد الله ں محمد ں لحصٮ لا ه ـدر
كان صالح الأدٮ حـد العقل مليح لحط ٮاما ٮد كر حـاں لاحمار
والاـعار ه كل الـٮ ق ولا ـه أم ٮ اً محـاً وهو ں ا العماس المذكوركان
ٮلاطف أصحاب الصد ه ٮودد اليهم و ٮاد بهم وكانو ٮحـوٮه وـمصون له

دائماً ونصموه عند المصدر فاص أن حصل فى من الفوق سمص الحهاب خهر المصدر حسناً وأرسله صحبه بعض أمرائه لى ىلك الجهه . ثم كان المصدر شديد التعلع ى أخبار هذا الحس فأرسل ىن الخصيب طيوراً صحبه بعض ساته مع لجس . وقال لصاحبه سرح كل يوم طيوراً وعلها لاخبار ساعه ساعه فكانت ترد لاخبار على الطيور لى أحمد بن عبد الله بن الخصيب فعرضها على المصدر ساعه بعد ساعه حتى ن المصدر . عجبه من أمر الحس وى فعجب المصدر من دلك . وقال من أين لنا محمد بن الخصيب أخبار هذا حس فعرف الصوره . وقال له من سوهمه لى مثل هذه ولىس له طول بهده القصه فكيف تكون جده . اجتهاده د صار ورزآ فاسوزره

قال وكان بو العباس أحمد بن عبد الله بن الخصيب عفيفاً متورعاً عن مال السلطان و ىه محاسباً للجنايه محافظاً على الامانه ثم ضعف أمره واحترم حسه السيده ثم المصدر . وكان كاسها فلى ورزره فعزل وقبضت أمواله . وذلك فى سنه أربع وثلاثمائه

وزره ابى على محمد بن على بن مقله للمصدر

هو صاحب الخط الحسن المنسوب الذى ضرب بحسنه الامثال . وهو أول من استخرج هذا الخط ونقله من الوضع الكوفى الى هذا الوضع ونسبه به بن البواب . كان فى ابتداء أمره يخدم فى بعض الاعمال ويرتزق فى كل شهر ستة دنانير . ثم تعلق بأبى الحسن بن الفرات الوزير وحص به . وكان ابن الفرات كالبحر سماحاً وجوداً فرفع من قدره وأعلى من شأنه فتمكن من بديه بعرض عليه رقاعاً فى مهمات الناس فنفع بسبب ذلك . وكان ابن الفرات يأمره بالتحصيل من هذه الجهة إيثاراً لنفعه فما زال على ذلك حتى طاب حاله

وكثر ماله . ولما ولي ابن الفرات الوزارة الثانية حكى ابن مقلة في دولته وحسن حاله وعرض جاهه . ثم ان السلطان رجع عنه وعن أبي الحسن علي ابن الفرات فاستوحش كل منهما من صاحبه فكفر ابن مقلة إحسان ابن الفرات ودخل في جملة أعدائه والسعاة عليه حتى جرت النكبة على ابن الفرات فلما رجع ابن الفرات الى الوزارة قبض عليه وصادره على مائة الف دينار أداها عنه زوجته . وكانت ذا نب مال طائل وكان لابن مقلة يد طولى في الكتابة و الانشاء وكانت توقيعاته غير مذمومة ومن شعره فيها وله شعر فيه

(سريع)

جرى الدهر على رسمه ... ثم أخرجه سيد المصارف
أصبت بوجهه مارجا ... تؤلف شيء غير مألوف

حدث أبو عبد الله أحمد بن إسماعيل المعروف بزنجي كاتب ابن الفرات قال لما نكب ابن مقلة وحبس فدخل اليه في محبسه ولا كاتبه ولا توجعت له على ما بيني وبينه من المودة والصداقة خوفا من ابن الفرات فلما طالت به المحنة كتب الي رقعة فيها (طويل)

ترى حرمت كتب الاخلاء بينهم ... أبن لي أم القرطاس أصبح غاليا
فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا ... وقد دهمتنا نكبة هي ما هيا
صديقك من راعاك في كل شدة ... وكل تراه في الرخاء مراعيا
فهبك عدوي لا صديقي فانني ... رأيت الاعادي يرحمون الاعاديا

ومن شعره ما كتب به الى ولده وقد مرض (كامل)

لما تك رجلي صحة وسلامة ... ووقاك في من طارق الاهواء
ذكرت شكاتك وكأس في يدي ... فرجتها دمعي مكان الماء

ومن شعره (خفيف)

لست د دله ادا عصى الدهـــر ولا ساعفا اد واتانى

انا نار فى مرتقى نفس الحا سد ماء جار مع الاحوان

سووره المصدر وخلع عليه خلع لوزارة ش سه سب عد ه ولا

و سعل أعاده لوزارة أمرأ ومنا ونذل ، اما مسلمه حس .انه الف د

ثم عزل وقبض عليه ثم شد ، وما زال سطب به الاحوال حتى سووره

الرضي ، ثم حرت خطوب أوحست الرضي خسه ا ره وصوى طه

وسعى به أعداؤه الى الرضي فحوفوه من مالته فقطع يده ليمنى وكتب فى

حبس مده مقطوع اليد وكان وح على يده فقول ١ ٢ ات با كذا وكذا

مصحفا وكذ وكذ حديثا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ووصف ى ـ ى لارض فمرنا ىعلم كما ىعطع أيدى اللصوص

ومن شعره بعد ما قطع يده (خفيف)

ملات احياه لكن سئمت أما ، وفت سنى

ثم أحسنا ستمت عهدي حفظ أرواحهم فما حفظونى

ليس بعد اليمين لذة عيش يا حياتي بانت يمينى فبينى

وفى ذلك يقول بعض الشعراء (طويل)

لئن قطعوا يمنى يديه مخافة لاقلامه لا للسيوف الصوارم

فما قطعوا رأيا اذا ما أجاله رأيت الردى بين القنا والملاحم

فلما قطع الراضي يد ابن مقله كتب باليسار ولما كان كتب باليمنى

ثم شد على يده المقطوعة قلما وكتب بها فلم يعرف بين خطه قبل قطعها وبعده

ومن الاتفاقات العجيبة انه تولى الوزارة ثلاث دفعات وسافر ثلاث

دماب ودوں ىلاب دماب د ں ا ر حامه ما فىل ا ٥دىك مدفطم
ىده ىعدىاه ىه ں مه ىسلمه ىه ىاس وىىه ىه ىمده وه ىه طلىه
حه قىـه ه دمىه ا ها

و ه ں مىه ىماں ں حىں ں ح لا ه ىد

ه ىكں ه ؤ ه ں ه ىكں ں ده ىب و ىاماں اىاں
ىاحده حىب

ه ال ه ىدحد ں ىد على ىه ں ىد ىله ه ر لمىصىد و لمىكى
حں ىه ه ں ىله ه ىدىه ىكره ىر احا حا ىب له ده
ا اىه فىں ه ر ں ىىاب اب ه ىر ىں ىى كان على ر ں
اىىوه ىد حدىں ىد ه حما اعلى ر ه ه لا ا ں ه ىد ه ى لى ىو ه
ه كاں كاىاں و ه ىحه ىىه ىه ں ه ره

وكاں لمىد ىا ىرں ں ه ىه ىسار على ں عا ى ں حرح فىں
ىىو ره ىاىر طىه ىاىو ه ق ىه ىاى ه ه لا ىىاىه ىه ه ص
علىه ه ىو ىكلود ں

ه ه ں ىسم ىىا ىله ں محمد لكلود ں لمىصدر

ه ىص ىه وه ىكں ىىا دوكه ں لمصاد ں ں ىامه وىىص
ىىد علىه و ىوه و حوه هو ں ىىه ىه خلف ىه لا ا حل مد دىك ى
لو ره و ىعص ىا ه ه لى ىاىه فكاں و ىه ىىده ىر ں

و ره حىىں ں له ىه ں ىىد ىله ں سليماں ں ه ھب لمصدر
كاں ىىاں له ىو لحىں ه ں ىه عرف ىىاں ق ه ر ه هوه ر
المصدر و ىود ىامىه ه ر لمصد ه لىىكى وحده ىىد ىله و ر المه صد

وأبو جده سليمان بن وهب وزير المهدي وفي ذلك يقول الشاعر له

(رمل)

يا وزير بن وزير بن وزير بن وزير
نسقاً كالدر إذ ينظم في عقد النحور

لم يكن لحسين بن القسم بارعا في صناعته ولا مشكور سيرته في وزارته ... تهيأ له المدة حتى عجز واضطربت الاحوال عليه فمدحه سعيد بن عبد الله بن طاهر بقوله (خفيف)

لم يكن قبل هذه الشعر قبلي لانه ليس يهتدي له الاشعار
غير أني أراك من أهل بيت ما على المرء أن يسودوه عار

فهجاه جحظة بقوله (وافر)

وقد كان الوزير أبا الجمال ويحسب البلاد الدا سابا لي
بعيد عن البلاد فمن قليل يرى الايام في صور الليالي
فقصت بحمد الدنيا وولت فآذيت كل شيء بالزوال

ولما ظهر للمقتدر عجزه وعجزه قبض عليه وصادره ... ثم نفى الى أيام الراضي وأبعد عن العراق . فلما تولى ابن مقلة الوزارة تقدم بقتله وأرسل اليه من قطع رأسه وحمل رأسه الى دار الخلافة وفي سفط تحمل السفط في الخزانه . وكان لهم عادة بمثل ذلك

فحدث أنه لما وقعت الفتنة ببغداد في أيام المتقي أخرج من الخزانه سفط فيه يد مقطوعة ورأس مقطوع وعلى اليد رقعة ملصقه عليها مكتوب هذه اليد يد ابي علي بن مقلة وهذا الرأس رأس الحسين بن القسم وهذه اليد هي التي وقعت بقطع هذا الرأس فعجب الناس من ذلك

« وزارة ابن الفضل جعفر بن الفرات »

ـ طال أيامه ولم يكن له سيرة تؤثر ومال المقتدر وهو وزيره فاسه عصب أيام المقتدر ووزارته

« ثم ملك بعده أخوه القاهر »

هو أبو منصور محمد بن المعتضد بويع سنة عشرين وثلاثمائة

وكان شهماً مقداماً على سفك الدماء هوجاً محباً جمع الأموال رديء السياسة صادر جماعة من أمهات أولاد المقتدر وصادر أم المقتدر فعلقها برجل واحدة منكسة الرأس وعذبها صنوف عظيمة من الضرب والاهانة وسمع منها بالاهانة وبلاس القدسار ونصب عدداها بما فعلته وما صبرنا على ولدها ومما جرى عليها من العذاب

وفي سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة خلع القاهر

وكان سبب ذلك أن وزيره ابن مقلة كان قد استتر خوفاً منه فكان يسعى عليه فلوب الجند ويحذرهم منه ويحسن لهم أن يهجموا عليه ويخلعوه وسملوه حتى سالت عيناه على خديه ثم حبس في دار السلطنة ومكث في الحبس مدة ثم أخرج منه عند ملك الأخوة وكان مرة يحبس ومرة يفرج عنه فخرج يوماً ووقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس وقصد بذلك التشنيع على المستكفي فرآه بعض الهاشميين فمنعه من ذلك وأعطاه خمس مائة درهم ولم يجر في أيامه من الحوادث المشهورة ما يؤثر

« شرح حال الوزارة في أيامه »

استوزر ابن مقلة وزارة ثانية وهي الوزارة الثانية وقد تقدم شرح طرف من سيرته فلا حاجة إلى اعادته ثم استوزر محمد بن القاسم بن عبد الله بن

سليمان بن وهب ولم يتمكن من الوزارة ولا طالت أيامه. ثم قبض عليه ونكبه واتفق أن عرض له قولنج فمات بسبب ذلك * فقصت أيام القاهر ووزرائه في تلك الأيام بسبب الدولة البويهية

(شرح حال دولة آل بويه وابتدائها وانتهائها)

أما نسبهم فيرتفع من بويه الى واحد وحد من ملوك الفرس حتى يتصل بيهود بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام وكذلك إلى آدم أبي البشر وانتسبوا من الديلم وإنما سموا بالديلم لانهم سكنوا بلاد الديلم

أما ابتداؤها فانها دولة بسبب ما لم يكن في حساب الناس ولم يخطر بنفسه بال أحد قد وجدت لأمر وأذلت العالم واستولت على الخلافة. فرتبت الخلفاء وولتهم. واستوزرت الوزراء وصرفتهم. وتعادت الأحكامها أمور بلاد العجم وأمور العرب. وأطاعتهم رجال الدولة بالاتفاق. هذا بعد الضيق والفقر والذل والمسكنة ومقاساة الحاجة والاضطهاد فانت حدثم أبا شجاع بويه وآباءه وجده كانوا كآحاد الرعية الفقراء ببلاد الديلم. وكان بويه صياد السمك وقد كان فقير الدولة قد تملكه البلاد تصرف بسببه الله تعالى وتقول كنت أحتطب الحطب على رأسي

فكان من مبدإ دولتهم ما حدث به شهريار بن رستم الديلمي. قال كان أبو شجاع بويه في مبدإ أمره صديقاً لي فدخلت عليه يوماً وقد ماتت زوجته أم أولاده الثلاثة الذين تملكوا البلاد وهم عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة أبو علي الحسن ومعز الدولة أبو الحسين أحمد. وقد اشتد حزن أبي شجاع بويه على زوجته فعزيته وسكنت قلبه ونقلته إلى منزلي وحضرت له طعاماً وجمعت اليه أولاده الثلاثة فبينما نحن عندي اذ مر بالباب شخص يقول

المنجم المعزم مصنف الماماب كتاب لرق والطلسمات . فاستدعاه أبو شجاع ىوىه
وقال له قد رأيت البارحة رؤيا هسرها لى رأيت كاني أبول ويخرج من
ذكرى نار عظيم ثم ىسا ستطالت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفرجت
فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب فأصبحت الدنيا بتلك
النيرن . فقال المنجم هذا منام عظيم ولا افسره الا بخلعه وفرس فقال له بوىه
والله ما أملك إلا الثياب التي على جسدي وإن أعطيتك إياها بقيت عريانا
قال المنجم فعشرة دنانير فقال له بويه والله ما أملك دينارا فكيف عشرة
ثم أعطاه شيئا يسيرا . فقال المنجم اعلم أنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون
الارض ومن عليها ويعلو ذكرهم في الآفاق كما علت تلك النار ويولد لهم جماعة
ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب الى ربه فقال له بويه أما تستحي تسخر
ا أنا رجل فقير وأولادي هؤلاء فقراء مساكين فمن أين لهم والملك
فقال له المنجم فأخبرني بوقت ولادة واحد واحد من أولادك فأخبره
بويه بذلك فجعل ينظر في الطوالع ثم قبض المنجم على يد عماد
الدولة أبي الحسن على فقال هذا والله الذي يملك البلاد ثم ذلك هذا من
بعده فقبض على يد أحمد أبي علي الحسن فاغتاظ منه أبو شجاع بويه وقال
لأولاده صفعوه فقد أفرط في السخرية بنا فصفعوه وهو يضحك منه فقال
المنجم لا بأس بذلك اذا ذكرتم لي هذا حال عدو ولا سيما فأعطاه أبو شجاع
عشرة دراهم ونصرف

وأما ترقي أولاد أبي شجاع بويه فانهم دخلوا في الاجناد وتصاقوا
في العساكر وما زالوا يتعلمون في خدمة ملوك العجم من واحد الى واحد
ومن حال الى حال حتى ترفع حال عماد الدولة وولي الكرخ ولاه إياها

مرداويج . ثم سعل منها الى غيرها حتى ملك قطعة من أعمال فارس . ثم عرضت مماليكه حتى كتب الى الراضى الخليفة يسأله أن يقاطعه على أعمال فارس فى كل سنة بعد النفقات والإطلاقات عما يحمله الى دار الخلافة وهو ثمانى مائة ألف ألف درهم على أن ينفذ الخليفة اليه بخلعة السلطنة والمنشور . فنفذ الراضى اليه بذلك على يد رسول وسلّمه اليه وأوصاه ألّا يسلّم الخلعة والمنشور اليه حتى يقبض منه المال فلما وصل الرسول اليه غالطه وأخذ الخلعة منه فلبسها والمنشور فقرأه على رؤوس الأشهاد وضرب نفسه بذلك ووعد الرسول بالمال ودافعه مدة . فمات الرسول عنده وعلت الحيل بالخلافة فكف المال واستبد بالامر وكان عماد الدولة أول ملوك بنى بويه ثم ملك منهم واحد بعد واحد حتى انقضت دولتهم

وأما نهاؤها فى آخر أمرها ضعف حالها وما زال ينزايد ضعفها حتى ذهبت بوبه الملك الى آخر الدولة بن جلال الدولة فى أيام طغرل بك وكان كالحمار حرون أفضى الى أن هرب منه . فاستتر . ومات فى سنة احدى وثلاثين وأربع مائة وعليه انقرض ملكهم .

ثم ملك عبد القاهر أبى جعفر الراضى بالله

هو أبو العباس أحمد بن المقتدر بن المعتضد بويع فى سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة

كان شاعراً فصيحاً ليناً جمع حلفاء فى أشياء . منها أنه آخر خليفة دون له شعر . وآخر خليفة تفرد بتدبير الملك . وآخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة . وآخر خليفة جالس الندماء ووصل اليه العلماء . وآخر خليفة كانت مراتبه وجوائزه وخدمه وحجابه تجرى على قواعد الخلفاء المتقدمين

وفى أيامه سـنه احدى وعسر ں وثلاثمائه عطم أمر مرد ويج باصبهان وهو رحل حرح سلك الوحى . وقيل به ير يد ن يأخذ بغداد ويمل دوله الى الفرس ويطل دوله العرب فورد خبر فى ايام لراضى ان غلمان مرد ويج اجمعوا عليه فقتلوه

وفى أيام لراضى ارتفع أمر بن حسن على ن بويه

وفى أيام لراضى ضعف أمر خلافه العباسـه . فكانت فارس فى يد على بن بويه والرى واصبهان والجبال فى يد أخيه حسن بن بويه . والموصل ودبار بكر وديار ربيعه ومصر فى أيدى بنى حمدان . ومصر والشام فى يد محمد بن طغج . ثم فى أيدى الفاطميين . والأندلس فى يد عبد الرحمن بن محمد الاموى وخراسان والبلاد الشرقيه فى يد نصر بن احمد السامانى وكانت وفاه لراضى فى سنه تسع وعشرين وثلاثمائه

شرح حال وزراء فى أيامه

أول وزرائه ابو على بن مقله . وهى الوزاره الثالثه من وزارات بن مقله بذل فيها خمس مائه الف دينار حتى استوزره الراضى ثم سعى لحبه وخرب فيه وحسن عزله فعزله الراضى واستوزر عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح وقد مضى من أخبار بن مقله ما فيه كفايه

وزاره عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح

لما قبض الراضى على بن مقله خاطب على بن عيسى بن الجراح واراده على الوزاره فأبى وامتنع واعتذر بالعجز فاستشاره فيمن يوليه فأشار بأخيه عبد الرحمن بن عيسى فأحضره وقلده الوزاره وركب والموكب بين يديه . ثم لم تطل أيامه واختلت الأمور عليه فاستعفى من الوزاره فقبض عليه وامكن

له سعره نؤر

ه و ره ى حمعر محمد س اله مم الـكرحى بالرصى بالله ه

مـا فعص لرصى لى عـبـد لرحمن س عسى سوورر ما حمعر محمد س لعسم لـكرحى وكان فعد حد ى عامه عمه فاحاحو ـه فصمو ه س عو مه ر د لافه رمع صانع حتى تمكس كرحى وورر ه س مساه ره حلمه ىعه ما س س دلك وهاو هـد مؤدن سعص بدوله فكان لامر كما فالو علىه ه حلعب لاحو ب وصعر ب لأ ورلدىه فاسىر فالو لمـا رد لاسعار فلم رس م مله وحلس فىها و حرحب لمرمله لى امرمله وهو ى وسعها وما ب مسمه حى م ر وصودر مه حلص

و ره سلىمان س حسس س محلد بالرصى بالله

مـا عحر لـكرحى س ىهوص باعبا و وره و ـسر حصه لرصى بالله سلىمان ب لحسس ب محا و سووره وحلع علىه حلع و ره مه به عحر ب ىدمر لأمو معلب صحاب سـىوف على لممملكه طما رى حلعه لـ صى عحر ه ره سلىمان س حسس س مـ رسال ى س ر س وهو كه لامر فاسماله وسير لامور مه و سه مه لامر وكلعه ىدىمر لممالكه فانصم سه م لعسكر وصاره حربا و د وحه و س ىدى الخلىفه فاحلـسه عوى لو ر و سعد س ى مه لامر بالامور ووى العطار والعهاب ورصب المطالمات له ورد لحكم ى جمع لأمور ى طره وه ى للوورر سوى لاسم ه س عـر حكم ولا ىدمر ومس ىلك لاىام صطهدب لخلافه لمباسه وحرحب لامور منها و سولى لاعاحم و لامرء و رىاب لسـىوف على لدوله وحىو لاموب وكعو ىد الخلىفه وفررو له سىئاً سىه

ولمه فاصره ووهن من بومىد ثم لخلافه

* ورره ى الفتح الفضل بن حعفر بن لفرب للرضي بالله *

لما ستوى مه لامر بن ى على لامور شر على رضي الله

بان بولى لورره للفضل بن حعفر بن لفرب صاه ه ه حدب ه لامور

فاحصه ه لرضي وعلده بورره

حدب بو حسن بن نابب بن سان عن ى لحسن على بن هسام

فال لما فاد لفضل بن حعفر بن رب ه ره مسب بن عله وكان

مىرولا مسه ه فصلب ه مسح نك سدنا بن احرس ه هند لو ر

و ه بور ه فعال ا ه ه ولى حاحه بن لاحماع ه فصلب سى ن

كسب لسه رقعه مد ه عن حرلـه ه ه سه هوه بماه حصو لـ

فعال حاف ن ى ى ا ـ دعى حصو ى ه سدى بمسه

(متقارب)

ه فابله قد صعب لصوب ـه كف هد له لحديد

فعلب لها لاعدلـ ـ ه ولا كان فولك لا سديد

مسلى طاوعـه هـه على دررى حاصا مـه بد

كان رحلا مهو ه سبع صـدر ه لنفس بانى لطمه عل ق

لخدمات ه سلب ه لاحوـه ن عد و ه ه صد ه ه عرب حى دى

ه سه صدره ه فوه عـه وكبر همه ن جمع لمسا ر ه كوب لاحظا ه

نعلب على حمان حورسانه لنصـه فاسو ره ى بمرله وفاد لورره

سليمان بن لحسن بن مخلد ه قد مر دكره فلا حاحه ى عادبه وهو حر

وررته * مصب أيام لرضي بالله بن المصدر وورته

ثم ملك بعده أخوه المتقي لله أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله

بويع له سنة تسع وعشرين وثلاثمائة . ولم يكن له من السيرة ما يؤثر ويسطر عنه لأمور . واستولى عليه رجل من أمراء الديلم يقال له توزون فهرب المتقي ومعه ابنه وأهله إلى الموصل خوفاً على نفسه من حرب ببغداد

وجرت في تلك الأيام حروب وفتن . وفسد أمر الخلافة وأخذها كان بها ثم إن توزون كتب إلى المتقي يستميله وحلف له أيماناً غليظة أنه لا ينال بمكروه من جهته فاغتر المتقي بذلك وانحدر من الموصل إلى بغداد ووصل إلى السندية من نهر عيسى فخرج توزون إلى لقائه والناس كافة فلما رآه توزون قبل الأرض وكان قد أوصى جماعة من أصحابه بأن يحتاطوا به فاحتاطوا به وأدخلوه إلى خيمة ثم قبض عليه وسمل عينيه وخلعه وبايع المستكفي . ومات المتقي في سنة خمس وثلاثمائة

شرح حال الوزارة في أيامه

أبو سليمان بن حسن بن مخلد علي ... ثم استوزر أبا الخير أحمد بن محمد بن ميمون . ولم يكن له سوى الاسم من الوزارة ولم يكن له سيرة تؤثر . ثم جرت أمور أدت إلى القبض عليه وإلى عزله

وزارة أبي عبد الله البريدي للمتقي

قد سبق شرح حاله وقوة نفسه وجمعه للعساكر . ثم إنه في أيام المتقي وصل إلى بغداد ومعه جموع كثيرة فأظهر المتقي السرور به ثم استوزره وهو كاره لذلك . وجرت بينه وبين المتقي مراسلات أدت إلى أنه أرهبه وأفزعه فحمل خمسمائة ألف دينار . ووقعت حروب بين البريدي وأمراء العسكر فنهبوا داره وانهزم إلى واسط . فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه دون شهر

ه ورره ى سحاق محمد س رهم لاسكاف المعروف بالمرزعلي ابه ى ه
م نصل نامه علس ى له ره حده د مس يوما وكان ـ ـ و ره
نه حه يوما يحلس مه لامر فهو صاد يوما ى الكتاب ويسمهم
فه ملصون علسه خلا المرزعي ىعص صحاب ىه لامر وقال له ى
ـ وررى لامر يصب له أصناف هـد مجمع له لامول و ا حوحه
لى هد الصدع فاسو ره يو ى مد ه ىس مه مد نامه عس عله ه ـ و
الكرحي فلم عال نامه نصاه ب فرا بحو حمس يو ا
ورره اله بدى مره نامه
سورره لمي وكانه بالاصعاد ى بعد د فاصعد ى و سعد فاسه
فمكث ى وررره ده ـ ر وه ـسـب له شر وحرب ىـه ويس لمى
حروب وكان طالب لابام بام فس ولما توى تو عىد الله ه بدى ه ره
هحاه نه المرح لاسه ى معرف كتاب لاناى عصده وله فها

(حفف)

ما ما سعصى ى ما ص مىدى   هد ه ى ه ه ب له باى

(مم)

ما توى لحر سد ى عوب   ملى فعلى المعمود
حس سا حس ىه حمس   ا باى ى ب ود
قد داه ا لا ام صصا   فعاد ه ـه مه محمد
حلم يحلم العلى وله   عصده حل سده لمعمود

ورره ى العباس محمد ى سد الله لاى اى لمسمى
مكث ى لوزره سـده حمس ىما وىكن ا عله لا درى

الامور . وضعف أمر الوزارة والوزراء فى تلك الايام ضعفاً كثيراً

* وزارة أبى الحسين علىّ بن أبى علىّ محمد بن مقلة للمتقى *

استوزره المتقى ولم تطل أيامه وخلع المتقى وهو وزيره فانقضت أيام المتقى ووزارته

ثم ملك بعده أبو القسم عبد الله المستكفى بن المكتفى بن المعتضد *

بويع له سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، ورد الخبر اليه بوصول معزّ الدولة بن بويه فخاف خوفاً شديداً و اضطرب الناس وأهدى المستكفى الى معز الدولة ألطافاً وفاكهة ووصل معز الدولة الى حضرة المستكفى فرد اليه إمارة الامر . وأعطاه الطوق والسوار وآلة السلطنة وعقد له لواء . وهو أول ملوك بنى بويه فى حضرة خلفائه . وهو الذى لقبه معز الدولة ولقب أخاه الآخر عماد الدولة وأمر أن تضرب ألقابهم على الدنانير والدراهم . ونزلت الديلم دور الناس ببغداد ولم تكن تعرف ذلك من قبل . ثم ان معز الدولة ركب يوما الى دار الخلافة وسلم على المستكفى وقبل الارض بين يديه وأمر المستكفى فطرح كرسيّ فجلس عليه معز الدولة ثم تقدم الى المستكفى رجلان من الديلم تواطآه معز الدولة فمدا أيديهما نحوه فظن المستكفى انهما يريدان تقبيل يده فمد يده فجذباها ونكساه من السرير ووضعا عمامته فى عنقه وسحباه فنهض معز الدولة وضربت البوقات والطبول واختلط الناس ودخل الديلم الى حرم الخليفة وحمل المستكفى الى دار معز الدولة فاعتقل بها وخلع من الخلافة ونهبت داره وسملت عيناه ولم يزل بدار السلطنة معتقلا حتى توفى سنة ثمان و ثلاثين وثلاثمائة

﴿ شرح حالى الوزارة فى أيامه ﴾

أول وزرائه السامرىّ ابو الفرج محمد بن علىّ . لم يكن له حكم ولا استبداد ولم تطل أيامه وقبض عليه وهجاه بعض الشعراء بقوله

(كامل)

الآن إن كبر الصغير رزيه | قالوا كمرت تحت عتاب النار
أأكون رحلى مركبى وحشمى | حتى على دلّ نداك وعار
والسّ من رقّ فى اصطبله | ماشيا ... فاره محتار
ككلب حمار بالخيول وكان | قطن ... به كراه حمار
أنا قد ذهبت فرقوبى ... | هذا من الانصاف فى الاقدار

ثم اضطربت أحوال الخلافة فلم يبق لها رونق ولا وزارة وطالت البويهيون وصارت الوزارة من جهتهم ولا عمال اليهم وفرز للخلفاء شيء طفيف برسم إخراجاتهم فانقضت أيام المستكفى ووزرائه

﴿ ثم ملك بعده المطيع لله ابو القسم الفضل بن المقتدر ﴾

بويع سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وكان أمره ضعيفا وفي ايامه رد الحجر الاسود الى مكانه وكانت القرامطة الخوارج قد أخذوه ثم ردوه وقالوا أخذناه بأمر ورددناه بأمر. وقوى الفالج على المطيع وثقل لسانه فدخل سبكتكين حاجب معز الدولة فدعاه الى خلع نفسه وتسليمه ولده الطائع ففعل ذلك وعقد الامر لولده وخلع نفسه. ومات فى سنة اربع وستين وثلاثمائة

﴿ ثم ملك بعده ابنه عبد الكريم ابو بكر الطائع لامر الله ﴾

بويع له سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

كان الطائع شديد القوة وكان قد استعمل شدة فى الشبان كثير حلى

وما حسر أحـد أن يدنو منه فخرج الطائع اليه فحمل الكيس عليه فسحب له حتى مكن يديه من عرشه ثم سدى بجاراً وأمره بقطع عرشه بالمنشار فقطعه النجار وهما في يد الطائع

وفى أيامه قويت شوكة آل بويه ووصل عضد الدولة الى بغداد واستحكم البويهيين . ثم قبض البويهيون على الطائع فى سنه احدى وعمانين وثلاثمائة وبويع بعده للقادر بعد خلع الطائع لله

ثم ملك بعده القادر ابو العباس احمد بن اسحاق بن المقتدر

وبويع له سنه احدى وثمانين وثلاثمائة

كان القادر من أفاضل خلفائهم حسن الطريقة كثير الخير كثير البر والمعروف والعبادة . تزوج بنت بهاء الدولة بن عضد الدولة على صداق مبلغه مائة الف دينار . وفى أيامه ترجع وقار الدولة العباسية وبنى بويه حدث بينهما الفتن . ومكث القادر فى الخلافة مدة طويلة . ومات فى سنه اثنين وعشرين واربعمائة

ثم ملك بعده ابنه ابو جعفر عبد الله القائم بأمر الله

بويع فى سنه اثنين وعشرين واربعمائة

كان القائم من أفاضل خلفائهم وصالحيهم . وطالت مدته فى خلافته ورد به فار الدولة وحسن قوتها . وفى أيامه انقرضت دولة بنى بويه فظهرت دولة بنى سلجوق

شرح حال الدولة السلجوقية وبدايتها وانتهائها .

هذه دولة قويت شوكتها وعظمت مملكتها ونفذت مقدماتها فى الحضرة الخليفية . واستولت على الخلافة . وخطب لها على المنابر . وضربت اسماء

« ذكر ابتداء حالهم »

هم قوم أصلهم من الترك الخزر وكانوا يخدمون مع ملوك الترك . ونشأ أحدهم سلجوق وكانت امارات النجابة لائحة عليه . ودلائل السعادة ظاهرة على حركاته . فقربه ملك الترك وخصه به . ثم استاء . وسماه في لغتهم قائد الجيش . فسمع سلجوق بعلو همته و...... ذكره وعمله و..... لا كان اليه . فقال زوجة ملك الترك قالت ..... ملكاً يملك وارأى عندي أن يقتله قبل أن ..... الناس اليه فقال سوف ..... ما أصنع في أمره . ثم حس سلجوق شيء من ذلك الغرض وقرر له المسير فجمع عسكره ومن ..... معه وحاشيته وسار من طاعته .... قائداً معهم ..... وخرج بهم من بلاد الترك الى بلاد المسلمين . فلما دخلوا ..... الاسلام سكن المسلمون وتمكنوا من المراعي والمساكن .... وقع في حروب ..... من أصناف الترك وكان لملك الترك إتاوة على تلك البلاد الناحية له فقطعها سلجوق وطرد نوابه ومات سلجوق وعمره مائة سنة . ثم نشأ أولاده في القوة والنعمة والدولة فاستولوا على كل موضع ..... من بلاد العجم . وما زال مرهم ينمي حتى ملك طغرلبك وهو أول سلاطينهم طائفة من بلاد العجم . وما زال امره يقوى حتى غلب البساسيري على بغداد ..... وقتل من بها وأخرج الخليفة القائم ..... خطبة لخليفة . وكانت فتنة البساسيري فتنة عظيمة . فحينئذ كتب القائم الى طغرلبك السلطان ..... الى بغداد لنصرة على البساسيري فسار طغرلبك ..... الى بغداد . فلما سمع البساسيري بذلك انتقض عليه أمره وفارق بغداد ودخل طغرلبك الى بغداد وأعاد

رونق الدوله الخليفيه وخطب له بالسلطنه على منابر بغداد . وكان ذلك أول سلطنتهم بالحضرة * وأما ابهاؤها فانها مازالت أمورها تضعف حتى انقرضت بالكلية في أيام الناصر . وذلك في سنة تسعين وخمس مائه فعالى الله * ومات القائم في سنه سبع وستين واربع مائه

* شرح حال الوزاره في أيامه *

وزر له فخر الدوله ابو نصر محمد بن محمد بن جهير

* وزاره بن جهير *

كان فخر الدوله من عقلاء الرجال ودهاتهم كان في ابتداء أمره فقيراً مدقعاً وتراقت به الاسباب . فمن مبادئها أنه كان جالساً بالكرخ يوماً فعبر عليه رجال ممن يتصل بالخربات ومعه فصوص عن قد استحالت ألوانها فاشتراها منه بثلاثه دنانير وجلا بعضها . فخرج أحدها ياقوتا أحمر . وخرج الآخر فيروزجا جيداً فصاغ لكل واحد منهما خاتماً من ذهب . ثم انه تقلبت به الامور حتى مضى في رساله الى ملك الروم فبذل له الخاتمين فأعطاه عشرين الف دينار فكانت أصل غناه ونعمته ثم تنقل في الخدمات حتى اتصل بابن مروان صاحب ديار بكر فخدمه مدة وأثرى عنده ثروه ضخمة فسمت همته الى وزارة الخليفة فأرسل سراً الى القائم وعرض عليه نفسه وبذل له ثلاثين الف دينار فأرسل القائم بعض خواصه في رساله الى ابن مروان . وكان غرضه من إرسال ذلك الرسول أن يجتمع بفخر الدوله سراً ويقرر معه ما أراد . ثم لما أراد الرسول الرجوع الى بغداد خرج فخر الدوله كأنه يودعه فانحدر معه الى بغداد . وكان قبل ذلك قد فرّق أمواله بالبلاد وأنفذ منها شيئاً الى بغداد

فلما وصل الرسول الى بغداد وصحبته فخر الدوله أرسل القائم اليه أصحابه يلقونه. ثم خلع عليه خلع الوزاره ونهض فخر الدوله بأمور الوزارة أحسن نهوض . وكانت الاطراف المتاخمة للعراق عاصيه على الخليفه . وكان ملوكها أصدقاء فخر الدوله فكاتبهم وراسلهم واستمالهم فدخلوا في طاعه الخليفة . ثم عزل فخر الدوله عن الوزاره بسبب كدر جرى بينه وبين نظام الملك وزير السلطان. ثم أعيد فخر الدوله في الوزاره ولما أعيد الى منصبه قال ابن الفضل الشاعر يمدحه (رجز)

قد رجع الحق الى نصابه وأنت من دون الورى أولى به

ما كنت الا السيف سلته يد ثم أعادته الى قرابه

ولما عاد الى الوزاره فرح الناس به فرحاً شديداً فقال ابن سمعاء الدبيع بوزاً له لم يكن يملك غيره وتصدق بلحمه فأعطاه الوزير بغلا بآلته وأعطاه مائه دينار من الذهب

ولما مات القائم قام الوزير فخر الدوله بأخذ البيعه للمقتدي أحسن قيام وكانت مده وزارته للخليفتين القائم والمقتدي خمس عشره سنه وشهراً. ومات بعد ذلك في سنه ثلاث وثمانين وأربع مائه

. وزاره رئيس الرؤساء عليّ بن الحسين بن احمد بن محمد بن عمر بن المسلمه

كان وزير القائم قبل ابن جهير . ومن أجله وقعت فتنه البساسيري. وكان قبل الوزارة أحد المعدلين ببغداد وممن له معرفه بالفقه وأنس بالعلم ورواية الحديث وحلّ أمره . وعظمت منزلته. ووقع بينه شر وبين البساسيري التركي. وكان أحد الامراء فاقتضى الحال أن البساسيري هرب ثم جمع الجموع وورد الى بغداد واستولى عليها . ثم ظفر بابن المسلمة رئيس

الرؤساء فقال به

ﻫ في حمله ما فعل به أنه حبسه ثم أخرجه مقيداً وعليه جبة صوف وطرطور من لبد أحمر وفي رقبته مخنقة فيها جلود مقطعة شبيهة بالتعاويذ وأركب حماراً وطيف به في المحال ووراءه من يصفع بجلد وينادي عليه ورئيس الرؤساء يقرأ (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) وشهره في البلد

فلما اجتاز بالكرخ نثر عليه أهل الكرخ المداسات الخلق وبصقوا في وجهه ووقف بازاء دار الخلافة من جانب الغربي . ثم أعيد وقد نصبت له خشبة في باب خراسان فأنزل عن الحمار وخيط عليه جلد ثور قد سلخ في الحال وجعلت قرونه على رأسه وعلق بكلاب في حلقه وشيل في الخشبة حياً الى أن مات من يومه ؛ انقضت أيام القائم بأمر الله ووزرته

ﻫ ثم ملك بعده ابن ابنه المقتدي بأمر الله ﻫ

وهو أبو القسم عبد الله بن الذخيرة بن القائم ؛ بويع في سنة سبع وستين وأربع مائة

كان المقتدي بالله همة حسناً بالامور من أفاضل خلفائهم فمن له مع السلطان ملكشاه واقعة عجيبة . كان السلطان ملكشاه قد قصد بغداد فوصلها في سنة خمس وثمانين وأربع مائة . وقد تغير نيته على المقتدي . فأرسل ملكشاه الى المقتدي يقول له تخرج من بغداد وتسكن أي بلد شئت فانزعج المقتدي من ذلك وطلب منه أن يمهله شهراً . فقال ملكشاه ولا ساعة واحدة وترددت الرسل بينهما ثم استقرت الحال بوساطة تاج الملك أبي الغنائم وزير ملكشاه أن تؤخره عشرة أيام . فقال ملكشاه يجوز . ففي عقيب الفطر

صلى السلطان وخرج الى الصيد . ثم و ... في نصف شوال وصطف روجته ... جانوب العسكر ... سمر مع المقتدى ... محمود في السلطنة . وعمره ... سنين ... له وخلع المقتدى ... وخرج العسكر وخاتون ... محمود بن ملكشاه الى إصبهان وكنى الله المقتدى ... ملكشاه . . . وتوفي المقتدى فجأة في سنة سبع وثمانين وأربع مائة

ه ... حال الوزارة في أيامه ه

لما بويع المقتدى بالخلافة أقرّ فخر الدولة بن جهير وزير ... على وزارته وقد مضى من سيرته ما نغني عن ذكر شيء آخر

ه وزارة ابنه عميد الدولة محمد بن محمد بن محمد بن جهير للمقتدى ه

كان القائم والمقتدى يرسلانه في رسائل الى السلاطين فيصح على يده وكان فاضلا حصيفاً . فاستخلاه نظام الملك وزير السلطان وكان يحب ... ويقول وددت أن ولدي مثله . ثم زوجه ... واستوزره المقتدى وفوض الأمور اليه . ثم عزله ... له نظام الملك فأعيد الى الوزارة . فقال ابن الهبارية الشاعر في ذلك يهجو عميد الدولة (بسيط)

لولا صبية ما استوزرت ثانية فاشكر حراً صرت مولانا الوزير به

صبية هي بنت نظام الملك الوزير التي زوجها عميد الدولة . ثم وقع بين عميد الدولة وبين سلاطين العجم . فطلبوا من الخليفة عزله وأشار أصحاب الخدمة بذلك . فعزله وحبس بباطن دار الخلافة ثم أخرج ميتاً فدفن . وكان يقول الشعر في شعره (بسيط)

الى متى أنت في حل وترحال تبغي العلى والمعالي ... عال
يا طالب المجد دون المجد ملحمة في طيها خطر بالنفس والمال

وللمالى صروف فلما انحدرت الى مراد امرئ نسى بلا مال

« وزارة أبى شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين الهمدانى للمقتدى »

كان رجلا دينا خيراً كثير الخير والبر والصدقة. وقف له على بيت خرج على وجوه البر والصدقات خاصة بما قدره مائة وعشرون الف دينار وكان الذى أورد هذا البيت كاتباً من جملة عسه وكتبه يكتبون صدقاته خاصه ولما ولى ظهير الدين المذكور كتب اليه ابن الحريرى صاحب المقامات

(متقارب)

هنيئاً لك الصدر فاخر هنياً كما قد رزقت مكاناً عليا

وبت كآبائك الاكرمين لبست الوزارة كهفاً رضيا

تجلت أعباءها يافعا كما أوتى الحكم يحيى صبيا

كان يصلى الظهر ويجلس لكشف المظالم الى وقت العصر وكان الحجاب ينادون فى الناس من كانت له حاجة فليعرضها

ومن مناقبه أنه لما وقعت الفتن بين السنة والشيعة بالكرخ وباب البصرة من مدينة السلام تقاضى بين اراقة الدماء غاية التقاضى حتى قال له المقتدى ان الامور لا تمشى بهذا اللين الذى تستعمله. وقد أطمعت الناس بحلمك وتجاوزك ولا بد من نفى دون عشرة من كبار اهل المحال حتى تهوم الساسة وتسكن هذه الفتن. فأرسل الوزير الى الخليفة وقال له قد تقدم الخليفة بنفى دون عشرة من كبار اهل المحال ولا يمكنى المراجعة فيهم وما آمن ان يكون فيهم أحد غير مستحق للمؤاخذة او ان يكون الملك ليس له فأريد ان تبعث بقائمة الى هذه الحال وتشترى املاك هؤلاء المنفيين فاذا صارت الاملاك لى نقضها وأسلم بذلك من الاثم ومن سخط الخليفة وتقدمه

الخمس في الحال . ففعل المحتسب ذلك . ثم بعد ذلك ارسل وعصاه وحج بيت
الله تعالى ولم تؤرخ عن وزير أنه حج في ايام وزارته الا هذا فان الوزراء قبله
كانوا يحجون بعد خلوتهم من الوزارة الا البرامكة فانهم حجوا في حال
وزارتهم وطلب السلطان جلال الدولة ملكشاه من المقتدي عزل هذا الوزير
فخرج توقيع المقتدي بعزله على حالة جميلة لم يتصرف بعدها وزير وانصرف الى
داره وهو ينشد (وافر)

وليها وليس له عدوّ   وفارقها وليس له صديق

ثم اعتزل وزهد ولبس ثياب القطن وتوجه الى الحج وأقام بمدينة
الرسول صلوات الله عليه وسلامه فكان يكنس المسجد النبوي ويفرش
الحصر ويشعل المصابيح وعليه ثوب من نمط الخام وبدأ بحفظ القرآن
وختمه هناك وله شعر لا بأس به فمنه قوله (خفيف)

ان من شتت الجمع من الشمـ   ـل قادر أن يجمع أهلا
ليس مستبشعاً وان طال هجر   رب هجر يكون عقباه وصلا
واذا أعقب الوصال فراقاً   كان ذاك الوصال في القلب أحلى

ومات رضي الله عنه في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . انقضت ايام
المقتدي بأمر الله ووزرائه

ثم ملك بعده ابنه المستظهر بالله أبو العباس أحمد

بويع له بالخلافة في سنة سبع وثمانين وأربعمائة

كان المستظهر كريماً وصولا حسن الاخلاق كثير الهيبة لين العريكة
مهذب الخلال محباً للخير مبغضاً للظلم . وفي أيامه ملكت الباطنية واستولوا
على المعاقل والحصون بخراسان وكان اصل دعوتهم بخراسان الحسن بن صباح

وهو رجل أصله من مرو . وسافر الى مصر وأخذ من دعاة آل أبى طالب بها المذاهب وكان رجلا ذا دهاء وصاحب حيل . ثم انه رجع من مصر الى خراسان وصار داعياً لآل أبى طالب وتوصل بأنواع التوصلات حتى ملك قلعة من بلاد الديلم تعرف بالرودبار فلما ملكها قوى أمره واستهوى طوائف من الناس وفشا مذهب الباطنية وقوى واعتقده خلق من الاكابر فى باطن الامر وما زال يستفحل أمره الى أن قصدت العساكر المتوالية قلاعهم وفعلت بها ما فعلت ومات المستظهر فى سنة ثنتى عشرة وخمس مائة

شرح حال الوزارة فى أيامه *

لم تكن للوزارة فى أيامه كبير أبهة ووزر له رئيس الرؤساء أبو القاسم على بن فخر الدولة بن جهير ثم عزله ولم تكن له من السيرة ما يؤثر . ووزر له من وزرائه جماعة وقبض عليهم

وزارة أبى المعالى هبة الله بن محمد بن المطلب للمستظهر *

كان رجلا كافياً من كفاة الدولة العباسية . استوزره المستظهر بعد رئيس الرؤساء بن جهير وكان قبل الوزارة يلى ديوان الزمام . فحدث عنه بعض أصحابه قال دخلت يوماً اليه قبل الوزارة وهو صاحب ديوان فرأيته مفكراً مضطرب الخاطر فسألته عن السبب فقال كنت قد أنهيت الى المستظهر فى السنة الخالية اجتهادى فى عمارة البلاد وتسطلى للارتفاع وتوفرى للحاصل وقلت قد حصل فى هذه السنة ما بلغ ثمانين ألف كر . وفى السنة المستقبلة يحصل مائة ألف كر فخرج جوابه يشكرنى ويثنى على ويتعرف شىء من سماته ... وقلت هذه ثمرة الاجتهاد ثم جردت همتى للعمارة واستفرغت جهدى وطاقتى فى عمارة السنة لم يتفق أن تحضر شىء يبلغ من الارتفاع فى .

كثير وجرت أحوال أخر اقتضت حقوق الارتفاع بحسب نقص عن ارتفاع السنة الخالية جملة فكتبت مطالعة الى الخليفة أعرفه فيها حقوق الارتفاع وذكرت له كنه الحاصل ولم أشرح له السبب في نقصة الارتفاع وقلت في نفسي ان سألني عن السبب ... له شرحت جوابه لي شكرني ومنّ عليّ وسرني شيء من شأنه كما فعل في السنة الخالية فقلت في نفسي وا ويلاه هذا حالي معه في حالة الاجتهاد والتقصير وقد شكرني على الحالين المتناقضين وهذا يدل على أنه لا يفكر فيما يقوله ويفعله. فما يؤمنني أن يقبض من هو قريب اليه من أعدائي يعرض عليه في أمري ما يكون سبباً لهلاكي فلا يتأمل القصة بل يقدم على ما يوافق عرض العدو. قال الحاكي فقلت له يصدّك الله ويفك مما تحذر. وما ترجع حتى سلمه وأزال عنه وكان هذا أبو المعالي ابن المطلب من علماء الوزراء وفاضلهم وأخيارهم ... أيام المستظهر بالله ووزرائه

ثم ملك بعده ابنه المسترشد ابو منصور الفضل بن المستظهر بالله

بويع في سنة اثنتى عشرة وخمس مائة

كان المسترشد رجلا فاضلا. ولما بويع بالخلافة هرب أخوه الامير أبو الحسن وأخو ... ومضى الى حلة ... مستجيراً بدبيس بن صدقة صاحب الحلة وكان دبيس بن صدقة أحد أجواد الدنيا. كان صاحب الدار والحمى والذمار. وكانت أيامه أعياداً وكانت حلته في زمانه محط الرحال. وملجأ بني الآمال. ومأوى الطريد. ومعتصم الخائف الشريد. فأكرمه دبيس اكراماً زائداً عن الحد وأفرد له داراً. أكرمه كرماً كثيراً ومكث عنده مدة على أحسن حال. فلما علم أخوه المسترشد بالله به عند دبيس

فلو لذلك وخاف من أمر يحدث من ناحيته. فبعث نقيب النقباء علي
ابن طراد الزينبي الى الحلة بجماعة وأمانه . وأمره ان يحدثه على دبيس
ويطلب منه أن يسلم اليه الامير ابا الحسن . فقال دبيس أما البيعة
فالسمع والطاعة لامر أمير المؤمنين وبايع . واما تسليم جاري فلا والله
لا أسلمه اليكم وهو جاري ونزيلي ولو قتلت دونه الا ان اختار . فأبى الامير
أبو الحسن التوجه بصحبة النقيب الى أخيه فمضى النقيب وحده . ثم بعد ذلك
ظفر به المسترشد فحبسه في بعض دوره على حالة جميلة وجرت بين الخليفة
المسترشد وبين السلطان مسعود وحشة وتفاقم الامر بينهما وأفضى الحال الى
الحرب . فتوجه الخليفة المسترشد وصحبته العسكر وأرباب الدولة . وعبر مسعود
لقتالهم . فلما التقوا والتحم القتال تكسر عسكر المسترشد واستظهر السلطان
مسعود عليهم ونهب عسكره من العسكر الخليفي أموالا عظيمة فقال ان
صناديق المال كانت على مائة وستين بغلا وهي أربعة الف الف دينار
وكان الرحل على خمس مائة جمل . وكان معه عشرة الف عمامة . وعشرة الف
جبة . وعشرة الف قباء . كل ذلك من فاخر الثياب كان قد أعدها للتشريفات
ان ظفر فقال ان جملة ما نهب عشرة الف الف دينار ونهى مسعود عن اراقة
الدماء وقبض على أصحاب الخليفة وحملهم الى القلعة . وأما الخليفة فأفرد له
خيمة ووكل به جماعة . وسار مسعود والخليفة معه الى مراغة فوصل كتاب
السلطان سنجر الى مسعود يأمره بالاحسان الى الخليفة واعادته الى بغداد
مكرما معززاً وأن يتلافى الحال معه وأن يرد عليه أمواله وأن يحمل له من
الحشم والتركات والاسباب أعظم وأجمل مما ذهب منه ويبعثه الى بغداد على
أتمّ حال فامتثل مسعود جميع ذلك وصنع له من التركات والاسرة والخيم

والحول أشياء حمله . ووقع العزم على العود الى بغداد . واستصحبه من مسعود والعسكر فهجم جماعة من الباطنية على المسترشد فضربوه بالسكاكين في خيمته وبها وبين مراغه فرسخ وحد وقتلوا معه جماعة من أصحابه وخرج عليهم مسعود بذلك ركب منزعجا طائرا للخروج وأخذ القوم فقتلهم . ثم حمل المسترشد على رؤس العلماء والامراء الى مراغه فدفن بها . وقبره الآن بها معروف تحت قبة حسنة رأيتها بعد وصولي الى مراغه في سنة سبع وستين وستمائه

واختلف الناس في قتل المسترشد في سبب قتله . فقال قوم ان مسعودا لم يعلم بذلك ولا رضي به . وقال قوم بل مسعود هو الذي واطأ الباطنية على قتله وأمرهم بذلك لانه خافه حيث قويت نفسه على جمع الجموع وجر الجيوش ولم يمكنه قتله ظاهرا فعمل ما فعل من الاحسان اليه ظاهرا ثم قتله باطنا . ثم انه أخرج جماعة من أهل الجرائم فقتلهم وأوهم الناس أنه قد قتل قتلته . ثم أطلقهم سرا . وذلك في سنة تسع وعشرين وخمس مائة

﴿ شرح حال الوزارة في أيامه ﴾

من أفاضل وزرائه أبو علي الحسن بن علي بن صدقة . كان فاضلا نحريرا عالما بقوانين الرئاسة خبيرا . استوزره المسترشد سنة ثلاث عشرة وخمس مائة ولقبه بجلال الدين سيد الوزراء صدر الشرق والغرب ظهير أمير المؤمنين وكان له معرفة بالحساب وأعمال السواد فعزيته لا ينسب اليه شيء من الكرم

ثم ان المسترشد قبض عليه وعزله من الوزارة ولم يكن ذلك عن اراده من المسترشد وانما دعته الضرورة الى القبض عليه لان وزير السلطان كان يبغض عليه

ثم بعد ذلك عدة زال المانع فأعاده المسترشد الى وزارته وخلع عليه خلع الوزارة وتقدم الى أرباب الدولة بالمشي بين يديه الى الديوان وهو أول وزير مشى أرباب الدولة بين يديه رجاله

كان الوزير ابن صدقة يوماً جالساً في دست الوزارة فدخل عليه سديد الدولة بن الأنباري كاتب الانشاء وفي كمه أسباب قد هجا فيها الوزير فسقطت الرقعة من كمه قدّام الوزير فأخذها سريعاً وتناولها فكان فيها من جملة أبيات

(بسيط)

أنت الذي كونه فساد في عالم الكون والفساد

فلما رآها سديد الدولة في يد الوزير سقط في يده خوفاً وخجلاً. فلما قرأها الوزير قطع القصة وصرف الحديث عن نفسه الى سديد الدولة. وقال أعرف هذه الأبيات ومن عملها

ولصوه السديد جهلا وهو بريء من السديد

فنظر الوزير هذه البيت في الحال فاستحى السديد بن الانباري وامسك عن الجواب

ولما عزم السلطان سنجر على الوصول الى بغداد وتوعد الخليفة كتب اليه الوزير بن صدقة والله لئن تحرك لأعطين جميع ما وراءك عنك وأقطعك عنه. ولئن سرت فرسخا لأسيرن اليك فرسخين

ومرض الوزير أبو علي بن صدقة في آخر أيامه فعاده المسترشد وأنشده

(طويل)

دعمنا بك الآفات حتى اذا أتت تريدك لم نسطع لها عنك مدفعا

ولم يزل أمره يضمحل حتى توفي في سنة اثنتين وعشرين وخمس مائة

- وزارة الشريف أبي القاسم علي بن طراد الزينبي -

هو أبو القاسم علي بن طراد بن محمد نقيب النقباء ابن أبي القاسم علي نقيب النقباء ابن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وانما عرفوا بالزينبي لأن أمهم زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس - فهو ا . كان معروفا من المعرفة نحو من الوزارة بأسباب الرئاسة وهو الذي جمع الناس على خلع الراشد . وقام في خلعه وأخذ البيعة للمقتفي القيام العظيم واتفق مع السلطان مسعود على ذلك ووزر لخليفتين المسترشد والمقتفي

ولما استوزره المسترشد شافهه بالولاية فقال له كل من ردت اليه الوزارة تشرف بها إلا أنت فإن الوزارة تشرفت بك وقال فيه الأديب الكامل من ذي الخلعة . فتقدم الى أرباب المناصب بالمشي بين يديه الى الديوان ومكث على ذلك مدة . ثم قبض عليه المسترشد وعزله . ثم أعاده الى أحسن ما كان عليه . فلما خرج المسترشد الى حرب مسعود كما تقدم شرحه خرج الوزير معه . فلما جرى على المسترشد ما جرى حظي الوزير عند السلطان مسعود وقربه وأعلى محله واستصحبه صحبته الى بغداد . وقام الوزير بين يديه في خلع الراشد وخلافة المقتفي القيام الذي عرفه له مسعود وشكره عليه وسأتي أخباره بعد ذكر وزارته للمقتفي

- وزارة الوزير أبي نصر أحمد بن الوزير نظام الملك للمسترشد -

كان كريما جميل الصورة وزر للمسترشد بالله فشكرت سيرته . لما عزم المسترشد على عمارة سور بغداد قسط على الناس جملة عشر ألف دينار فقام الوزير أبو نصر بها وأداها عن الناس من ماله . وقد طال أيامه فوق

في سنة أربع وأربعين وخمس مائة

ثم وزارة أنوشروان بن خالد بن محمد القاساني للمسترشد

كان رجلا من أفاضل الناس وأماثلهم وأخيارهم ولي الوزارة للسلاطين والخلفاء . وكان يستعفي من الوزارة فيجاب إلى ذلك ثم يخطب لها فيجيب كارهاً . هو الذي صنف له ابن الحريري المقامات الحريرية وإليه أشار في أولها بقوله فأشار من إشارته حكم وطاعته غنم

طلب الأرجاني الشاعر من الوزير أنوشروان خيمة فأرسل إليه بدنانير كثيرة وقال له اشتر بها خيمة فقال الأرجاني في ذلك

(منسرح)

لله در ابن خالد رجلا أحيا لنا الجود بعد ما ذهبا
سألته خيمة ألوذ بها فجاد لي ملء خيمة ذهبا

وكان أنوشروان بن خالد كثير التواضع مشهوراً بذلك يقوم لكل من دخل عليه فهجاه ابن الهبارية الشاعر بقوله (بسيط)

قد تواضعك المشهور عن صفة يدو بني أحلها بالكبر شيم
فعدت عن صفة الراجي وقمت له قد وقفت على الطلاب لا لهم

ومنه يقول أيضاً يشير إلى كثرة قيامه (بسيط)

رأيت سيرته تبقى مراوداً في يد الغلام
فقلت لا تعرض لشرب الدواء في غير ما سقام
فما به حاجة إليه فإنه دائم القيام

وكان بين أنوشروان بن خالد وبين الوزير الزينبي عداوة وتباغض وتنافس على الوزارة فعزل الوزير الزينبي وولي أنوشروان بن خالد فعرّب

الناس اله سلب الرمى فدحل الحمص سص الساعر عله وأنسده فصـده أولها (كامل)

سكراً لدهرى بالصمر وبالم ـــ ـا أعاص حسم عن ـ ـمم

سر الى أنوسـ وان واى الرمى فاسحسن الناس منه دلك و سدلوا به على وفائه وحرسه . ثم إب انوسـ وان س حالد مات وأنسد الرمى لى الوزاره فعرّب الناس اله ـسه أنوسـ وان فدحل عله الحمص بعض وانسده (طويل)

عب ولا راب ملك الملل إنى ـ ـ فقدت اصطبارى يوم فقدان حالد

ومات انوسـ وان ى سـنه ست و ثلاثين وخمس مائة ابعص أيام المسترشد بالله ووزرائه

ثم ملك بعده ابنه الراشد بالله ابو جعفر منصور بن المسترشد

بويع له بالخلافه عقب وصول الخبر بقتل ابيه سنه تسع وعشرين وخمس مائه. وجهز الراشد عسكراً كثيفاً وبوجه بحاربه مسعود . وبوجه مسعود نحو العراق طالباً لتملكه فوصل الى بغداد في خمسة الف فارس ودخلها فكف الراشد عن حربه وخرج منها متوجهاً الى الموصل . ودخل السلطان مسعود بغداد و سدد تدبير الامور فيها وأظهر العدل ومنع الجند من الاذى . وجمع الفقهاء والشهود وأخذ خطوطهم بالقدح في الراشد وكتب محضراً بخلع الراشد وانفذه على القضاة وتولى ذلك له الوزير الزينبي . وكان مسعود قد استشار الزينى فيمن يوليه الخلافه فقال له يامولانا هاهنا رجل يصلح لها فسأله عن اسمه فقال له يامولانا ان سميته أخاف أن يقتل ولكن اذا دخلنا بغداد سميته لك . فلما احتاجوا الى اخلاء خليفه سمّى الزينبي له أبا عبد الله محمداً

المقتفي عم الرشيد فبايعه واجلسه على سرير الخلافة . ثم ان الراشد لم يتم له بالموصل أمر فسار عنها الى اصبهان فوثب عليه جماعة من الملاحدة فقتلوه على باب صفهان . وذلك في سنة اثنين وثلاثين وخمس مائة . وقبره هناك معروف

شرح حال الوزارة في أيامه

لما أفضت الخلافة اليه استوزر جلال الدين أبا الرضى محمد بن صدقة وزير أبيه في أيامه . وخاف مما جرى فالتجأ الى زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل فأجاره وأصلح أمره . ثم لما خرج الراشد من بغداد استخدمه هذا أبو الرضى في بعض خدمات غير الوزارة . ومات في سنة ست وخمسين وخمس مائة . ولم يكن له من السيرة ما يؤثر . فقصرت أيام الراشد ووزارته

ثم ملك بعده عمه المقتفي لامر الله ابو عبد الله محمد بن المستظهر

بويع له بالخلافة سنة ثلاثين وخمس مائة

كان المقتفي من أفاضل الخلفاء . ولما خلعه مسعود وبايع له وكان قد أخذ جميع ما بدار الخلافة من ذهب وأثاث ورحل وغير ذلك وتصرف بوجوه في جميع أعمال العراق وأرسل الى المقتفي يقول له اذكر ما تحتاج اليه أنت وكل من تتعلق بك حتى نعين لك به قطاعات . فأرسل اليه المقتفي يقول بتداء بالدار ثمانون بغلا تنقل الماء من دجلة لينظر به السلطان فانظر انت كم يحتاج اليه من بعد في كل يوم ماء يحمله ثمانون بغلا فقال مسعود لقد أجلسنا في الخلافة رجلا عظيما فالله يكفينا شره . وجرت في أيامه فتن وحروب بينه وبين سلاطين العجم كانت الغلبة فيها له . وثارت في أيامه الفاروب المفسدون بعض تعضهم انهم يوص . توفي المقتفي في سنة خمس وخمسين وخمس مائة

﴿ شرح حال الوزارة في أيامه ﴾

أول وزرائه الزينبي أبو القاسم علي بن طراد العباسي وزر أخيه المسترشد المذكورة حين تولى لأنه هو الذي قام في بيعته وأشار على مسعود بتمكينه فوليه في وزارة المقتفي . ثم جرت بينه وبينه وحشة خاف فيها منه فاستجار بدار السلطان وأقام بها مدة معتصماً من المقتفي الى أن روسل الخليفة من جهة السلطان في معناه فأذن في عوده الى داره مكرماً فانصرف الى داره وأقام بها على قدم البطالة وتصحيح أمره ورق حاله ولم يشفه عطيا وصلته بيده حتى انه مرض فاشتهى نفسه شيئاً من المشموم فلم يقدر على ثمنه وقد كان أمير أ كبر . له لما كان مستجيراً بدار السلطان على حواشيه وأتباعه وأرباب دولته وكانت مواهبه دره على أكثر أرباب الدولة وغيرهم من العلماء والوافدين والطالبين . ولما مرض مرضه الى مات فيها كتب اليه المقتفي رقعة يسأله فيها وبعده بكل جميل فقال الوزير

(طويل)

تبت وخاض الموت بيني وبينها وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

وقال وصاني بحفظ حرمي و أطفالي . فلما توفي قام المقتفي بجميع ما يحتاج اليه أولاده وصغاره وأجرى عليهم جرايات الكثيرة

﴿ وزارة نظام الدين أبي نصر المظفر بن علي بن محمد بن جهير الموصلي للمقتفي ﴾

كان له أنس بالعلوم وخاصة بالحديث النبوي صلوات الله على صاحبه ولم تطل أيامه ولم يكن له من السيرة ما تؤثر

﴿ وزارة مؤيد الدولة أبي القاسم علي بن صدقة للمقتفي ﴾

منه بيت مشهور بالوزارة معروف بالرئاسة . وكان مؤيد الدولة حسن

الصوره والخلق اكمل لا علم عنده بقوانين الوزاره. وكان كبير الجسد والصدغين اسوة ارباب الخلعه المسمى لامر الله. قالوا كان هذا مؤعن الدوله الوزير قليل الاشتغال بالعلم. وكان مصحف القراءه في الكتب. وكان قد أدمن في قراءه جزء واحد من أجزاء القرآن وفي كتاب واحد من كتب الأدب فكان لا يزال الجزء المذكور والكتاب بين يديه يقرأ فيهما فربما حفظه حتى على الناس حاله مده وزارته. فلما مات ظهر ذلك منه ولم يكن له من السيره ما يؤثر

ثم وزاره عون الدين أبي المظفر يحيى بن هبيره للمقتفي

وَلي منشؤه من قريه تعرف بالدور من أعمال دجيل تعرف اليوم بدور الوزير منسوبه الى ابن هبيره. وكان أبوه أكاراً بالقريه المذكوره. وكان يحب ولده على تحصيل الأدب ودرك الفوائد. وكان يردده كثيراً الى بغداد ويحضره الى مجالس الصدور وصدور المجالس وكان هو كما قيل

(مديد)

ولها من نبتها طرف

ومات أبوه وهو صبي فتفرد بالاشتغال وتقلبت به تصاريف الامور وضربته شدائد وكابد من الفقر أهوالا. وتنقل في الخدمات فكان لا ينتقل من خدمه الا الى أكبر منها وما زال ينتقل من خدمه الى أخرى أرفع منها حتى تقلد الوزاره للمقتفي فتمكن منها مده ومشاهرته في كل سنه مائه الف دينار. وكان كريماً جواداً سمحاً لا يخرج من السنه وفي خزانته منها درهم واحد. وكان المقتفي والمستنجد يقولان ما وزر لبني العباس كيحيى بن هبيره في جميع أحواله. وكانت له في قمع الدوله السلجوقيه يد قويه وحيل مرضيه. وكان وقوراً حليما متواضعاً * لما تولى الوزاره دخل الديوان وعليه الخلع فرأى غلاماً

من غلمان الديوان واقفاً عن بعد فاستدناه وبصق في وجهه وأمر له بذهب وكسوة ثم قال لا إله إلا الله أذكر مرة وقد دخلت هذا الديوان وجلست في بعض المجالس فجاء هذا الغلام وجذب يدي وقال قم فليس هذا مكانك وقد رأيته الساعة واقفاً وأثر الخوف ظاهر عليه فأحببت أن أواسيه وأزيل رعبه ورأى يوماً في الديوان حدثاً فقال لحاجبه أعط هذا الحدثي عشرين دينارا وكرّ خطه وقل له لا تدخل الديوان ولا ترينا وجهه فتآمر الناس وتشوفوا الى معرفة السبب في ذلك فتفطن الوزير لذلك فقال لهم كان هذا الحدثي شحنة في قريتنا فقال شخص من أهل القرية فجاء هذا الشحنة وأخذ جماعة من أهل القرية وأخذني معهم مكتوفاً في عرض الفرس وبالغ في أذاي وصفعني ثم أخذ من كل واحد منهم ستاً وطلبها مني وصبت أنا معه فقال لي أعطني ستاً فحلفت فقلت والله ما أملك ستاً فأعاد عليّ الضرب والإهانة ثم قال لي اذهب الى لعنة الله ثم أطلقني فأنا لا أحب أن أرى صورة وجهه

ومن أفكاره اللطيفة أن الوزراء كانوا قبله يلقبون ألقاباً من جملتها سيد الوزراء فتقدم هو الى الكتاب أن لا يكتبوا هذا اللقب في ألقابه وقال إني افتكرت في هذا فرأيت أنه تعالى قد سمى هارون وزيرا حتى قال عزّ من قائل حكاية عن موسى عليه السلام (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري) وسمعت عن النبي عليه السلام أنه قال (لي وزيران من أهل السماء جبرائيل وميكائيل ووزيران من أهل الأرض أبو بكر وعمر) وقال عليه السلام (إن الله تعالى اختارني واختار لي أصحابا فجعلهم وزراء وأنصاراً)

وحدث عنه بعض مجالسه قال كنا يوما عنده فدخل الحاجب فقال يا مولانا بالباب رجل سوادي يذكر أنه فلان ابن فلان ومعه شملة مكورة

وهو يطلب الحضور بين يديك لمعرفة الوزير وقال له أدخله . قال فدخل شيخ
طويل من اهل السواد عليه ثياب غليظة من القطن وعمامة قوطن ملوية وفي
رجله جمجمان فسلم على الوزير . وقال يا سيدي أم الصغيرات بنت زوجته لما
علمت أني اجيء الى بغداد قالت لي سلم على الشيخ يحيى بن هبيرة واستوحش
له وقد حضرت لك هذا الخبز على سبيل هدية الوزير وهش به وقال جزاها
الله خيرا وحل تلك الشملة فاذا فيها خبز سمر مشطور بكامخ الثوم فأخذ
الوزير منه رغيفا وقال هذا نصيبي من هذه الهدية وفرق الباقي على الصدور
الحاضرين وسأل الرجل عن حوائجه وحوائج زوجته فقضاها وقال للحاضرين
قد كان جاري في قريتي وبيتي في زرعي واعرف منه الامانة

ومن جملته انه كان شخص ببلاد العجم رجل كلما أقيمت الخطبة يوم جمعة
في الجامع يقوم ويذم الخليفة ويدعو للسلطان فاتصل ذلك بالوزير بن هبيرة
فأحضر شخصاً من اهل بغداد وجهزه ان يسافر الى تلك البلدة واعطاه ستة
دنانير ذهبا وقارورة فيها عطر وقال له اذا دخلت تلك البلاد وحضرت يوم
جمعة في الجامع ورأيت الرجل الذي يسب الخليفة فانهض اليه وقف على رؤوس
الحضار وأثن على كلامه واظهر البكاء عند سب الخليفة وقل إي والله فعل الله
به وصنع وقل جرني عن عيالي ووطني وأخرجني غيره ثم افعل في الجمعة
كذلك وقل له قد جلبت اليك أملاً فلك دنانير وضع هذه الدنانير حشو فيه
واخرج عنه وبادر الى استعمال هذا العطر على وجهك ولحيتك فانه تحدث في
الوجه سمرة وفي شيب اللحية سوادا ويغير لونك حتى لا تعرف فيها . ففعل
الرجل ذلك وكانت الدنانير مسمومة فلما راح ذلك الرجل الى بيته ما زال
يتململ حتى مات . في يومه . واستعمل الرجل المنفذ الصبغ فأخفى به نفسه

ورجع الى بغداد

ومن جملة انه كان كتب الى ملوك الاطراف باطلاقات صغار في رق حصف ونسى في حلد ساق لركابي حفد رما بدحط ابيه ثم بركه حتى لمحه بسعره الى حيث اراد ومن موه حاسه ، انه كان يوماً جالساً بالديوان بين يديه الامراء والصدور والاكابر مستعطين السقف حية كبيرة فوقعت على كتف له رر ... حتى من كمه الى حجره ففر كل من كان هناك من رهاب لدوله عن مستقره ، وعجو من من ... وله رر جالس لم يتحرك عن مكانه ولا تغير من ذلك ما كان فيه بلبسه شيء ثم أمر المماليك بقتلها فقتلت بين يديه

وفي الجمله فكان ابن هبيرة من أفاضل الوزراء ... وماجدهم وله في تدبير الدوله وضبط المملكه اليد الطولى وله في العلوم والتصانيف اليد على اهل عصره وله أشعار كثيرة منها (طويل)

نعم المى ورى بحاله حرصه	يجود على صعب د تحصيل
اذا قيل مال المرء قل صدقه	فيح ... كل ما كان عن ...

وفي آخر أيامه عرض له ... الذي مات وهو ساجد فذلك في سنه ستين وخمس مائة ، فعصبت بابه المستنجد لامر الله ووزرته

ثم ملك بعده ابنه المستنجد بالله أبو المظفر يوسف

بويع عقيب موت أبيه في سنه خمس وخمسين وخمس مائة

كان المستنجد شهماً عارفاً بالامور لما ولي الخلافه أزال المكوس والمظالم إلا انه عمل عملة قبيحة بحل المقاطعات وأعادها الى الخراج . فشق ذلك على الفلاحين بالكوفة والسواد مشقة عظيمة . فبسوا هذ الفعل الى ابن

هبيرة واسوه بالمساهد

وفى أيامه سد. فتح مصر وصعف دولة الفاطميين بها. وفى أيام ولده المستضىء تكامل فتحها على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب

ومات المستنجد مخنوقا فى الحمام خنقه أكابر دولته عقب مرضه خوفا كان قد عرض له لانهم خافوه على نفسهم . وذلك فى سنة ست وستين وخمسمائه

شرح حال الوزراء فى أيامه

لما بويع بالخلافة أقر ابن هبيرة على وزارته وزاد فى رفع منزلته وقد مضى من سيرة ابن هبيرة ما يغنى عن الاعادة

وزارة شرف الدين محمد بن يحيى بن هبيرة امنه عز الدين

نائب عن أبيه بعد وفاته . وكان فاضلا رئيسا عفيفا بالسيادة ساير آرسو المعانى حسن آبالادب وحدث السوى . وحبس بعد موت ابيه فلم يزل فيه بعد الحبس . ورثى عنه هذان البيتان أنهما له

(خفيف)

لم يصب لاحد صبراً جميلا   وانكم خلف صاحبا سبيلا

ولكم قلت للذى صار لحيا   ن على الوجد ولأسى سل سبيلا

وزارة شرف الدين أبى جعفر محمد بن أبى الفتح بن البلدى للمستنجد بالله

كان قبل الوزارة ناظراً بواسط . فأبان فى مدة ولايته عنا عن قوة وجلادة ورهامات تامة وحول دربة . فعظمت منزلته عند المستنجد فكوتب عن الخليفة الى واسط بما يقتضى أن يكون وزيره فأكد الحال فى ذلك . فحكم فى الوزارة . فحكم بعد ذلك فكانت ملوك الاطراف

وهو بواسط ثم أصعد الى بغداد وخرج الموكب لتلقيه وفيه جميع أعيان الدولة . وكان عضد الدين أبو الفرج محمد بن رئيس الرؤساء أستاذ الدار بينه وبين ابن البلدي كدر فكره عضد الدين الخروج الى لقيه . وقد كان الخليفة تقدم اليه بالخروج فبذل جملة ألف دينار على أن يعفى من الخروج اليه فقال الخليفة ان جعلها عشرة آلاف دينار يعفيه من الخروج فورنت في الحال وحملت فلما صارت في الخزن تقدم خليفة اليه بالخروج لتلقي الوزير . وقيل له هذا المال جنايته من كونك تكره ما تؤثر وترجع في التقدمات التي تقدم اليه فدفع المال منه وخرج عابر الى الجانب الغربي صحبة الموكب . . . . كلهم الى . . . فلبثوا هناك . فلما وقعت عين عضد الدين أستاذ الدار على الوزير أراد عضد الدين أن يترجل فصاح به الوزير والله لئن ترجلت ترجلت أنا أيضا فخدمه . ثم مشيا على ظهور الدواب . وسار من بدنه ووصل الوزير الى مجلسه الناج . وفرق في . . . ثم حضر . . . . . بالوزارة وخلعت عليه خلع الوزارة . ثم كتب اليه النهوض بالمدائن . . . بأعباء الوزارة فسار أمره على السداد الى أن سرى للمستنجد بالحرب من قبل عضد الدين أستاذ الدار وأركان الأمر . . . وإدخال الحمام . وهو مريض حتى مات من الحرارة . ثم بعث عضد الدين أستاذ الدار الى ولده المستضيء وبايعه وسط عامة . . . . مؤكدة . . . . . أن يكون هو وزيرا . . . . يكون ولده أستاذ الدار . وفلان أمير العسكر . وفلان كذا وكذا . فأمر المستضيء بجميع ذلك وخلع عليهم خلعة . ثم بويع المستضيء بالخلافة بيعة خاصة واستدعى الوزير ابن البلدي لبيعته . فلما حضر . . . الدار عدل به الى مكان وضربت فيه عنقه وأخرج

فرمى على مرتبة نائب الوزارة. ثم سحب والى فى دخله. وكان حسن الطريقة مشكور الاخلاق. اعتقلت أيام المستنجد بالله ووزرائه

. ثم ملك بعده ولده المستضىء ابو محمد الحسن بن المستنجد بالله

ولد فى سنه ست وستين وخمس مائة . لم يكن سيرته أس . فى أيامه وردت البشائر الى بغداد بفتح مصر و نقرض الدولة الفاطمية

ولما جلس على سرير خلافته عدد مثل من البلدة ورزأته ويوفى فى سنه خمس وسبعين وخمس مائة

شرح حال الوزارة فى أيامه

أول وزرائه عضد الدين أبو الفرج محمد بن أبى الفتوح عبد الله بن رئيس الرؤساء الذى كان قبل ذلك أستاذ الدار

كان عضد الدين من أفاضل الناس وأعيانهم . وكان أستاذ الدار فى أيام المستنجد . فلما جرى للمستنجد ما جرى ستولى عضد الدين ونهض ثم خرج المستضى من حبسه ومبايعته وخلافته فاستوزره المستضىء . و نص عضد الدين أعباء الوزارة نهوضاً مرضياً وعرق فى يوم جلوسه ثم دست الوزارة ذهباً كثيراً وحبطه على المعتمين بالمساجد والجوامع والمدارس والربط ولطف بالامور لطفاً لم يكن فى حساب الناس وبيته بيت مشهور بالرئاسة معروف قديماً بيت الرجال . وكان ابن التعاويذى الشاعر البغدادى شاعرهم ومنقطعاً اليهم وانحى حال عمره معهم ولهم خاطب بقوله (سريع)

قعدت سطر العمر فى مدحكم طناً حكم ابكم أهله

وبدت أقسه هجاه لكم مصاع فكم عمرى كله

وله فيهم مدائح كثيرة فى خلالها

(طويل)

وما زلت في آل الزمان معزل ... عن الحور مندولا لي الامن والخصب
فان أشرف دنياً عدمح سواهم ... فان حمص الصبر منصبها الحب
وان عاد لي عطف الوزير محمد ... فمد أكسب النائي ولان لي الصعب
وزير اذا اعتاص الزمان فرأيه ... هناه به يطلى حلائقه الجرب

وما زال أمر عضد الدين يجري على السداد حتى عزله المستضيء وقبض عليه وسبب عزله كان يوماً جالساً في الدست ويحم عليه جادم من خدم الخليفة فقال له هذا امير المؤمنين يامرك. ثم أطبق دونه ودخل الاتراك والجند الى دوره فنهبوا ما فيها ودخل العوام ايضا وكسب الصادقون الآبنوس والعاج بالدنانير وأخذ جميع ما كان فيها. فخرج عضد الدين وهو يشاهد ويقول للاتراك أما تستحيون مني. أما دخلتم داري. ثم أكلتم زادي فلم يمنعه ذلك فلم يمض الا ساعة واحدة حتى صارت داره بلاقع. ثم حمل الى الحريم ووكل به هناك مدة. ثم أعاده المستضيء الى الوزارة وحكمه وبسطه فقضيت له الامور وعظم شأنه وكثرت خيراته وهابه وأحبه الناس. وكان سخيا وهو آية في سرف النفس. فقيل انه ما اشترى لداره قط سكراً بأقل من الف دينار

حدث عنه بعض مماليكه قال حاج مرة الى الف دينار فأمرني ان يقرضها من أولاده أو من حرمه وكان أمسى فقال لي يا ولدي قد احتجت الى الف دينار خذها خلك بعد أيام فقلت السمع والطاعة يا مولاي ثم مضيت واحضرت له خمسة الف دينار وقلت يا مولاي هذه والله اكتسبتها منك فخذ منها ما شئت فأطرق ساعة ثم قال والله لا أحدث نفسي بها حبة واحدة خذها او تصرف. ثم أنشد

(كامل)

والصاحب المسوع نصح أن يرى ما بما ما في يدي أساعه

ولم يزل أمره في الوزارة الناسية جارياً على السداد حتى كان آخر مدته فطلب من الخليفة الاذن له في الحج فأذن له فجهز تجهيزاً لم ير مثله ثم عبر الى جانب الغربي من مدينة السلام ليتوجه الى الحلة والكوفة ومنها الى مكة وبين يديه جميع أرباب الدولة فلقيه رجل بيده قصة مظلمة فقال يا مولانا مظلوم مظلوم وناوله القصة فتناولها الوزير فوثب عليه وضربه بسكين في خاصرته ووثب عليه آخر من الجانب الآخر فضربه في خاصرته ووثب آخر وبيده سكين فلم تصل اليه وتكاثر الناس على الثلاثة فقتلوهم ثم مات الوزير وصلي عليه ودفن في تربته وقيل ان الثلاثة الذين قتلوه كانوا من الباطنية من جبل السماق

وحكى بعض أهل قطيعا قال دخلت فقيل الوزير ساعة جيء به فوجدت هناك قرابته ثلاثة رجال وقد قدموا واحداً منهم الى الحرب وأشاروا ثم صلى الرجلان الآخران عليه ثم قام أحد الآخرين وصلى الآخر عليه حتى صلى كل واحد منهم على الآخر وأنا أراهم وهم لا يرون فعجبت مما فعلوا ثم لما قتل الوزير وقتل الثلاثة أملت وجوههم فاذا هم هم

وزارة ظهير الدين أبي بكر منصور بن أبي القاسم نصر بن العطار

كان تاجراً في ابتداء أمره ثم ارتقى المنصرفين ووقف على المستضيء فاستوزره وكان ثقيل الوطأة على الرعية وكانت العامة تبغضه فبقي الى أن مات المستضيء وولي الناصر وهو آخر وزراء المستضيء اعتقب أيام المستضيء ووزرائه

ثم ملك بعده ابنه الإمام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله .
بويع بالخلافة في سنة خمس وسبعين وخمسمائة

كان الناصر من أفاضل الخلفاء وأعيانهم بصيراً بالأمور مجرباً سائساً
مهيباً مقداماً عارفاً شجاعاً متأيداً حاد الخاطر والبادرة متوقد الذكاء والفطنة
لمّاعاً عن مدد فهم من فضيلة علم ولا نادرة فهم تفاوض العلماء مفاوضة خبير
ويمارس الأمور السلطانية ممارسة بصير . وكان يرى رأي الإمامية . طالت
مدته وصفا له الملك وأحب مباشرة أحوال رعيته حتى كان يمشي في
الليل في دروب بغداد ليعرف أخبار الناس وما يدور بينهم . وكان كل أحد من
أرباب المناصب والرعايا يخافه ويحاذره حتى كأنه يطلع عليه في داره . وكثرت
جواسيسه وأصحاب أخباره عند السلاطين في أطراف البلاد . وله في مثل
هذه قصص غريبة . ووقف كتباً . وسمع الحديث النبوي صلوات الله على
صاحبه وسلامه . ولبس لباس الفتوة وألبسه . وبني له خلق كثير ومن سائر
الأرض وعني بها . ورمى بالبندق . ورمى له ناس كثيرون . وكان فقيه زمانه ورجل
عصره . في أيامه انقرضت دولة آل سلجوق بالكلية . وكان للناصر من المبار
والوقوف ما يفوت الحصر . وبنى من دور الضيافات والمساجد والربط ما
تجاوز حد الكثرة . وكان مع ذلك بخيلاً . وكان وقته منصرفاً في تدبير أمور
المملكة وفي التولية والعزل والمصادرة وتحصيل الأموال . يقال عنه إنه ملأ
بركة من الذهب فرآها يوماً وقد بقي من نورها حتى تملأ . ونقص شيء يسير
فقال ترى أعيش حتى أملأها . فمات قبل ذلك . فقال المستنصر تشهد هذه
البركة فقال ترى أعيش حتى أفنيها . فكذلك فعل . مات الناصر في سنة اثنتين
وعشرين وستمائة

- سرح حال الوزاره ى أيامه -

لما بويع الناصر بالخلافة أمر ابن العطار وزير ابيه على قاعدته أياما ثم قبض عليه وحبسه في باطن دار الخلافه. ثم أخرج بعد ايام ميتاً فسلم الى أهله ليجهزه ويدفنه فغسله واخرجه في تابوت على رأس حمال ليدفنه فمر به بعض الناس فرجموه ورموا الحمال بالتابوت وهرب فأخذته العوام وجروه من التابوت وسلبوا به وشدوا في رجله حبلا وفي ذكره وسحبوه ووضعوا في يده حسبه ولطخوها بالعذره ونادوا به يا مولانا طهر الدين وقع لنا

ومن ضرب ماوقع في ذلك أن بعض الاتراك غمز حماما وحمل بحرامه عوز على ذ بعض الحرين فأدى ذلك الحار سلب عراه فشكا ذلك الى الوزير فربه ولم أخذ بيده وقال له تب والا قطعت رأسك في عره فقال ان بن العطار لما سحبه العوام وسلبوه جاروا به على باب الحمام المذكور فاتفق انه وقع في الحراه فسحبوه فيها خطوات فعجب الناس من ذلك

• (وزاره جلال الدين أبى المظفر عبد الله)

كان في بغداد أمره أحد الشهود المعدلين. ثم تقلب به الاحوال حتى ولي الوزاره. وأرسله الناصر صحبه عسكر كثيف الى محاربه السلطان طغرل بن أرسلان بن طغرل السلجوقي فالتقيا. فكانت الغلبه لعسكر السلطان وانهزم عسكر الخليفه وثبت الوزير فأسر ومكث مده في الاسر ثم أطلق فوصل الى بغداد مختفياً ولم تطل مدته بعد ذلك

(وزارة معز الدين سعد بن علي بن حديدة الانصاري)

كان رجلا فاضلا منصوبا موسرا كثير المال روى بن نجيب الصد د أنا حمر محمد بن أبي صالب الشاعر أصعد الى بعد د مطلبا لي هذ الوزير بن ناظر البصرة وانشده قصيدة من جملها

(كامل)

وقائل الاعـسار عـسر عامله لكن بنو عم و لا حمار
فهم ابو أيوب خال محمد في دره ، جاره لجار
ماه ه في النسب الصحيح و ب من ذلك الفضل فبلى بذلك جور
ولقد نزلت عليك مثل نزوله في دار جدك والنزيل عار
فلاه أطلع ،النبي محمد نجى الله وقومك لا اصار

قالوا فلما سمعها الوزير رق له وبكى وخلع عليه ووصله وقضى حوائجه وأعفه من ناظر البصرة وعزله ومات الوزير المذكور معزولا شبه سب عنه وسيانه

* وزارة مؤيد الدين بن المطهر محمد بن احمد بن القصاب *

هو العجمي الاصل ،كان بوه يبيع لحم على رأس درب الصـ بين بغداد وأ هو مشتغلا بالعلوم والأدب وبرع في علوم المتصرفين كالحساب ومعرفه الكروب والمساحات والمقاسمات ، ثم بصر أسباب الوزارة وكانت نفسه قوية وهمته عالية ، قاد العساكر وفتح الفتوح ، وحمع بين رئاستي السيف والقلم ومضى الى بلاد خورسان وفتحها وقرر امورها وقو عدها ، ثم مضى الى بلاد العجم وصحبه العساكر فملك اكثرها ، ثم ادركه اجله فمات هناك

ه و ره السد نصر لدس ناصر ں مهدی العلوی لر ری الناصر ه

هو نا مدر ں المولدو لاصل ر ری المنشأ نعد دی الدس والوفاه

کان من کفاه لرحال وفضلائهم و عاتهم ودوی المره منهم ـسمل

بالآدب ں صباه فحصل منها صرفا صالحا ثم سعر نامور لدو وں فاق منها

کان ں سد سره سوب عں النصب عر لد ں المرتضی الصی نصب

بلاد لعجم کلها ٥منه سفاد هو ں لم ئاسه وکان عر لدس النصب من احد

لعاه وعطها لسادب فلما فعل النصب سر لدس فتله علاءلد ں حو ررمساه

هرب ٥ده لنصب ـ ف لدس محمد وفصد مدـه السلام مسحر نالخلعه

ـاه صحبه ىاثه صـه لدں ـ المهدی ٥کان من عصلاء لرحال فاحه ه

لناصر فره ناه لا د سدند فصار نسسـه ٥ه سر فما سطوـ علوك

لاصر ف فوجد عـده حه ه نامه ناحوـ سلاصں العجم ومعرفه ناموره

٥موعده وخلاق کل و حد منهم فکان الناصر کلما سسار ٥ه ں سیٔ من

دالك محده مصىا عں الصوب هاسحلصه لسه ورىه ولا نصب الطالسں

ـه فوض اله مور لو ٥ فکف فيها مده محری ٥وره علی نم سدد وکان

کر ـاً وصولا علی لحمه ـف النفس حدںعه ٥ه کان بو نا حالسا ں

دسـالور ٥ ٥ں ىده قطعه سود کبه ٥ فرئ الوزر نعض الصدور حاصر ں

وهو طح ناصر اليا فقال له ـحدك هده هدسا ٥ه فوهبه ناها وقام لرحل

محرح فلما مد عں مجلس وزر ـسدىاه نـ عه ٥قال له ر ىد ں ىصصحا

٥ صـدوں لمال فما(نحره عر نابـ) ٥ نمر محلع عليه ودفع اله محب ساب

وقال له سحر ں هده الساب ٥٥مدحه لا ىری الساعر لاعحمی نفد ىده

٥ـهوره ں العجم من حمله ٥مدحا

(بسيط)

وزير مشرق ومغرب نصر ملت ود ين كه نادر ـب عالمي تا أبد منصور
صر بر كالك بودركسب مشكلات أمور كه ة جو نعمه داود در أد ـ ر بور

وأرسلها الاشهرى صحبة بعض التجار مع بعض القفول . وقال للتاجر أوصلها الى الوزير وان قدرت أن لا يعلمه من قائلها فافعل . فلما عرضت القصيدة على الوزير استحسنها وطلب التاجر ودفع اليه الف دينار ذهباً وقال هذه سلمها الى الاشهرى ولا تعلمه ممن هي

وقبض الناصر عليه كارهاً لأمور اقتضت ذلك . وكان القبض عليه في سنة أربع وستمائة . وحمل الى دار في دار خلافته فأقام بها تحت الاستتار على حالة الاكرام والرفاهة الى أن مات تحت الاستتار في سنة سبع عشرة وستمائة

* وزارة مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم وزير القمي للناصر *

هو قمّي الاصل والمولد . بغدادي المنشأ والوفاة . ينتسب الى المقداد بن الاسود الكندي . كان رحمه الله خبيراً بأمور الملك خبيراً بأدوات الرئاسة عالماً بالقوانين . عارفاً باصطلاح الدواوين . خبيراً بالحساب . ريان من فنون الادب . حافظاً لمحاسن الاشعار . راوياً لطرائف الاخبار . وكان جلداً على ممارسة الامور الديوانية . ملازماً لها من الغدوة الى العشية . وكان في ابتداء أمره قد تعلق بخدمة سلاطين العجم . وكان يلوذ ببعض وزراء العجم بأصفهان في حال صباه ولم يبلغ العشرين من عمره . وكان ذلك الوزير قد ضجر من الكتاب الذين بين يديه ونسبهم الى أنهم يخالفون بخدمته فأبعدهم عنه واستكتب القمي طناً منه انه لمجرد حداثة سنه لا يقدم على مخالفة ما يشير

به . فكتب الصبيّ كتب من بديه مدة . وفي بعض الايام أحضرت من يدي الوزير جملة من الثياب التنيس بعضها صحيح وبعضها مقطوع . فأحضر الصبيّ من بديه ليثبت عددها ويحملها الى الخزانه . وكان الوزير يورد عليه كذ وكذ ثوباً صحاحاً فيكتب الصبي كذ وكذا ثوباً وما يكتب لفظه صحاحاً فقال له الوزير : لا تكتب كما أقول لك . فقال يا مولانا لا حاجه الى ذكر الصحاح . فاني اذا وصلت الى ذكر ثوب مقطوع ذكرت بجنبه أنه مقطوع فتخصيص المقطوع بالذكر يدل على أن ما لم يوصف بالقطع صحيح . فقال الوزير لا بل اكتب كما أقول . فرحمه الصبيّ . فخرج الوزير للملك وارتفع صوته والتفت الى الحاضرين . وقال يا عرب الكتاب الكبار الذين كانوا عندي لأجل مخالفتهم ولجاجهم فيما أقوله . و سلكت هذا الصبي صبيّاً مني به لحداثه سنه لا يكون عنده من الحرؤ و لمخالفه ما سدم فاذ هو أشد مخالفه من ولئك . فخرج بعض خدام السلطان من بين يديه . وكان جالساً قريباً من مجلس الوزير وسأل عن كثره الصياح وحرد الوزير . فعرف الخادم صوره ما جرى بين الوزير والصبي . فدخل وحكى للسلطان ما قيل . فقال له اخرج وقل للوزير يخلي ما اعتهده الصبي الكاتب . فنبل الصبيّ في عيون الناس وعظمت منزلته وأنس الصبيّ بهذا الخادم وصار الخادم يسيره ويشكو اليه ويأنس به فاتفق أن السلطان غضب على هذا الخادم وعلى رجل آخر ليوجها في رساله الى ديوان الخلافه فالتمس الخادم أن يكون الصبيّ صحبته فأرسل صحبته فتوجهوا الى بغداد وحضر الخادم ورفيقه عند الوزير ابن القصاب فشافهوه بالرساله وسمعوا الجواب . وكان جواباً مشترطاً في الرساله . ولكنه كان نوعاً من المغالطه فقنع الخادم ورفيقه بذلك الجواب . وما نبهوا على فساده وخرجوا

فرجع الفتى ووصف بين يدى الوزير ... وقال له يا مولانا لحوت
عن مطاوى لما ... لمامك فقال له الوزير صدقت ولكن دعهم على
عاداتهم ولا تعصم فى ذلك فقال السمع والطاعة ثم ... المصاب
كتب ... الخليفة يقول له انه قد وصل صحبة خادم السلطان فلان شاب فتى
قد جرى من ... كيت وكيت ... عن ... وتحسن الله
... فكتب الخليفة اليه يأمره أن لا يكنه من الوحدة معهم فعمل له
... وقام الفتى ... عليه فى كتابه لا سيما
... على ذلك مدة ... الوزارة وتمكن فى الدولة تمكنا ... تمكن
مثله ... الله ... وكان ... فى كل شئ حسن ... الله ...
... الصدقات

... ملوكه ... قال ... من ... حلاوة
... فقال فى ... يصحون ... فى ...
فقال ... هذه حلاوة ... يوم القيامة ...
يا مولانا وكيف يكون ذلك وهل ... قال ... فى هذه
الساعة ... عليهما السلام ... هذه لا ...
... يوم القيامة ... فقلت السمع
والطاعة ... فى المسجد ... لا ...
... لا ... ووصف ... ورحب

... على ... مرة ... للعامة ...
... المستنصر حتى قبض عليه المستنصر ... الخلافة ...
فرض وخرج مريضا فمات رحمه الله فى سنة سبع وعشرين وستمائة

انقضت أيام الناصر لدين الله ووزرائه

﴿ ثم ملك بعده ولده أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله ﴾

بويع في سنة اثنتين وعشرين وستمائة

لم تطل أيامه ولم يجر فيها ما يسطر سوى احتراق القبة الشريفة بمشهد موسى والجواد عليهما السلام . فشرع الظاهر في عمارتها . فمات ولم تفرغ فتممها المستنصر

وأيضاً فان الظاهر هو الذي عمل هذا الجسر الجديد الموجود الآن ببغداد . ولما فرغ عمل الشعراء فيه المدائح ووصفوا الجسر فيها . فمن نظم في ذلك شعراً موفق الدين القسم بن ابي الحديد كاتب الانشاء وهو قوله

(متقارب)

إمام يحرم ذل السؤال	ويعمل بالكرم الواجب
أقام طريقاً على دجلة	لذي القصد منه وللذاهب
فعارض جسراً على جانب	بجسر جديد على جانب
كسطرين في كاغد أبيض	أجادهما قلم الكاتب
كمختفي عنبر ضمنتا	بياض الترائب من كاعب
كصفين من إبل أصبحا	وقوفا على جدد لاحب

ومات الظاهر في سنة ثلاث وعشرين وستمائة

﴿ شرح حال الوزارة في أيامه ﴾

أقر القمي وزير أبيه على وزارته ولم يستوزر غيره

﴿ ثم ملك بعده ولده أبو جعفر المنصور المستنصر بالله ﴾

بويع بالخلافة في سنة ثلاث وعشرين وستمائة

كان المستنصر شهماً جواداً يبارى الريح كرماً وجوداً . وكانت هباته وعطاياه أشهر من أن يدل عليها وأعظم من أن تحصى . ولو قيل انه لم يكن في خلفاء بنى العباس مثله لصدق القائل . وله الآثار الجليلة منها وهى أعظمها المستنصريه وهى أعظم من أن توصف . وشهرتها تغنى عن وصفها . ومنها خان حربى وقنطرتها وخان بهر سابس بأعمال واسط . وخان الحربى وغير ذلك من المساجد والربط ودور الضيافات . وكان المستنصر يقول انى أخاف أن لا يثيبنى الله على ما أهبه وأعطيه لأن الله تعالى يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وأنا والله لا فرق عندى بين التراب والذهب

كانت أيامه طيبه . والدنيا فى زمانه ساكنه . والخزائن داره والاعمال عامره . وفى أيامه فتحت إربل . أرسل المستنصر اليها إقبالا الشرابى وصحبته عسكر الخيول . وذلك عند وفاة صاحبها مظفر الدين بن زين الدين على كوجك . ومات المستنصر فى سنة أربعين وستمائه

* شرح حال الوزاره فى أيامه *

لما بويع بالخلافه أقر القمى وزير أبيه وجده على وزارته سنوات . ثم قبض عليه وجرى له ما تقدم شرحه

* وزاره نصير الدين ابى الازهر أحمد بن محمد بن الناقد *

ثم استوزر المستنصر بعد القمى أبا الازهر أحمد بن الناقد . كان فى ابتداء أمره وكيلا للمستنصر فكتب مده فى الوكاله . ثم انتقل منها الى أستاذيه الدار ثم منها الى الوزاره فنهض بأعبائها نهوضاً حسناً . وقام بضبط المملكه قياما مرضياً . وكان عظيم الامانه قوى السياسه شديد الهيبة على المتصرفين حاسماً لمواد الأطماع والفساد . قيل انه مكث سنين فلما سمعها استحسنها وهيا

(بسيط)

ووربما زهد والناس قد زهدوا فيه فيكل عن نادب منكمش
تأمنه منال ستور الصوم حالته من المعاصي وفيها الجوع والعطش

وما الت السعادة بخدمه في آخر عمره فمن جملة سعادته وهو من
لاتفاقات العجيبة ما حدث عنه وهو انه قبل انقراض عمل في بعض الاعياد
سنبوسجا كثيرا وجعل بين يدي بعض صحابه فأمر ان يجمع في سفوف
سنبوسجة تحت قصر وتحاله ويعمل مفرده ويعمل سنبوسجا كبيرا كالارى
العادة وركب في دار الخلافة فطلب منه عمل شيء من السنبوسج فذكر ان
عنده شيئا مفروغا منه فرخاما له باحضار ما عنده من الت وسبح فمضى
الخادم عن عينه ممرحة بذلك لحشو تحت القصر ومرج الجميع ووضعه في
لأطباق لتحمله في دار الخلافة فجاء الجواري والخدم وقالوا أعطونا حصصنا
من هذا فأخذوا منه مائة سنبوسجة وحمل الخادم الاطباق بما فيها الى دار
الخلافة فلما حمل السنبوسج صار بدار الخلافة وجمع بن الناقد في داره سأل
عن السنبوسج لحشو تحت القطر فقالوا لهما عرفنا شيء من ذلك وفلان
الخادم جاء ومزج الجميع واخذه ومضى فلم يشك انه هالك وكادت نفسه
تزهق خوفا وحجلا فقال ما تخلف منه شيء فقط قالوا نعم قد طمع الجوارى
والخدم منه حدود مائة سنبوسجة فقال خصوها فأحضرت ونقب من
بدنه فوجد السفوف سنبوسجة لحشوه تحت القطر قد حصلت أيدى
الجوارى والخدم في جملة ما أخذوه لأنفسهم لم يشذ منها واحدة الى دار
الخلافة ومات نصير الدين في سنة ست وثلثين وستمائة في خلافة المستعصم
فعصت أيام المستنصر ووزر له

ثم ملك بعده ولده أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله

بويع له بالخلافة في سنة أربعين وستمائة وهو آخر الخلفاء

كان المستعصم رجلا خيرا متدينا لين الجانب سهل العريكة عفيف اللسان والفرج حمل كتاب الله تعالى وكتب خطا مليحا وكان سهل الأخلاق وكان خفيف الوطأة إلا أنه كان مستضعف الرأي ضعيف البطش قليل الخبرة بأمور المملكة مطموعا فيه غير مهيب في النفوس ولا مطلع على حقائق الأمور وكان زمانه ينقضي أكثره بسماع الأغاني والتفرج على المساخرة وفي بعض الأوقات يجلس بخزانة الكتب جلوسا ليس فيه كبير فائدة وكان أصحابه مستولين عليه وكلهم جهال من أراذل العوام إلا وزيره مؤيد الدين محمد بن العلقمي فإنه كان من أعيان الناس وعقلاء الرجال وكان مكفوف اليد مردود القول يترقب العزل والقبض صباح مساء

وكانت عادة الخلفاء أن يحجبوا أولادهم ولا يظهروهم وبذلك جرت سنتهم في آخر أيام المستعصم أطلق أولاده الثلاثة وهم أبو العباس أحمد ولكنه أبو الفضائل عبد الرحمن والعامة تسميه أبا بكر وليس بصحيح وإنما سمعته بالأمير لأنه لقب الكرخ حين الأمر في ذلك السنة وقيل له هو ليس سماه كذلك ولأمير الأوسط وهو أبو الفضائل عبد الرحمن كان سماه خرج في أيام السلطان هولاكو ووقع كلامه موقع الاستحسان في حضرة السلطانية والأمير الأصغر أبو المناقب

حدثني صفي الدين عبد المؤمن بن فاخر الأرموي وكان قد دخل في آخر أيام المستعصم مقربا عنده ومن خواصه وكان قد بنى في آخر أيامه خزانة كتب ونقل الناس نفائس الكتب ونقل معظمها إلى عبد المؤمن فصار

عند المؤمن يجلس بباب الخزانة ينسخ له ما يريد. وإذا خطر للخليفة الجلوس في خزانة الكتب جاء إليها وعدل عن الخزانة الأولى التي كانت مسلمة إلى الشيخ صدر الدين علي بن النيار. قال أبي عبد المؤمن كنت مرة جالساً في حجرة صغيرة وأنا أنسخ وهناك مرتبة برسم الخليفة إذا جاء إلى هناك جلس عليها وقد بسطت عليها ملحفة لترد عنها الغبار. فجاء خويدم صغير ونام فرساً من المرتبة المذكورة وشرق في النوم فعلت حتى لفق في تلك الملحفة المبسوطة على المرتبة ثم علت حتى صارت رجلاه على المسند قال وأنا مشغول بالنسخ فأحسست بوطأ في الدهليز. فنظرت فإذا هو الخليفة فهو يستدعي بالإشارة ويخفف وطأه فصعب الله مرتعباً وقبلت الأرض. فقال لي هذا خويدم لدي قد نام حتى لفق في هذه الملحفة وصارت رجلاه على المسند فنهضت عليه حتى سقط وقام إني قد شاهدته على هذه الحال سقطت مرتبة من الخوف فأنقطه نت برفق فإني سأخرج إلى البستان ثم أعود. قال وخرج الخليفة فدخلت إلى الخويدم وأنقطته فأنبه ثم أصلحنا المرتبة ثم دخل الخليفة

وحدثني بعض أهل بغداد قال حدثت أن الشيخ صدر الدين بن النيار شيخ الخليفة قال دخلت مرة إلى خزانة الكتب على عادتي وفي كمي منديل فيه رقاع كثيرة لجماعة من أرباب الحوائج فطرحت المنديل وفيه الرقاع في موضعي ثم قمت لبعض شأني فلما عدت إلى الخزانة بعد ساعة طلبت الرقاع من المنديل حتى أتأملها وأقدم منها المهم فرأيتها جميعها وعليها توقيع الخليفة بالاجابة إلى جميع ما فيها فعلمت أن الخليفة قد جاء إلى الخزانة عند مضيي فرأى المنديل وفيه الرقاع فتصفحها ووقع على جميعها. والمستعصم هو آخر خلفاء الدولة

العباسية ببغداد ، ولم يجر أمام المستعصم شيء من ذلك سوى نهب الكرخ ونحو ذلك

وفي آخر أيامه قويت الأراجيف بوصول عسكر المغول صحبة السلطان هولاكو فلم يحرك ذلك منه عزماً ولا نبه منه همة ولا أحدث عنده هما وكان كلما سمع عن السلطان من الاحتياط والاستعداد شيء ظهر من الخليفة نقيضه من التفريط والإهمال ولم يكن يتصور حقيقة الحال في ذلك ولا يعرف هذه الدولة يسر الله إحسانها وأعلى شأنها حق المعرفة . وكان وزيره مؤيد الدين بن العلقمي يعرف حقيقة الحال في ذلك ويكاتبه بالتحذير والتنبيه ويشير عليه بالتيقظ والاحتياط والاستعداد وهو لا يزداد إلا غفولا . وكان خواصه يوهمونه أنه ليس في هذا كبير خطر ولا هناك محذور وأن الوزير إنما يعظم هذا ليتفق سوقه ولتبرز إليه الأموال ليجند بها العساكر فيقتطع منها لنفسه

وما زالت غفلة الخليفة تنمي ويقظة الجانب الآخر تتضاعف حتى وصل العسكر السلطاني إلى همدان وأقام بها مدة ثم تواترت رسل السلطانية إلى الديوان المستعصمي فوقع التعيين من ديوان الخليفة على ولد أستاذ الدار وهو شرف الدين عبد الله بن الجوزي فنفذ رسولا إلى حضرة الدركاه السلطانية بهمدان فلما وصل وسمع جوابه علم أنه جواب مغالطة ومدافعة فحينئذ وقع الشروع في قصد بغداد من الجهات إليها فتوجه عسكر كثيف من المغول والمقدم عليهم باجو إلى تكريت ليعبروا من هناك إلى الجانب الغربي ويقصدون بغداد من غربيها ويقصدها العسكر السلطاني من شرقيها . فلما عبر عسكر باجو من تكريت وانحدر إلى أعمال بغداد أجفل الناس من دجيل والاسحاقي ونهر ملك ونهر عيسى . ودخلوا إلى المدينة بنسائهم وأولادهم حتى كان الرجل

أو المرء بعدى بنفسه فى الماء . وكان الملاح د عمر احدا فى سفينه من جانب
ى جانب بأخذ حزمة سور من ذهب أو طرا من زركش وعنده من
لدنانير فلما وصل العسكر السلطانى الى دخول وهو يريد على بلاد الف
فارس خرج اليه عسكر الخليفة صحبة مقدم جيوش مجاهد الدين ايبك
لا ويدر . كان عسكرى بانيه الله فالنمو باجاب الغرى من مقدم ور آ
من البلد فكان الملحق أول الامر عسكر الخليفة ثم كانت الكرة للعسكر
السلطانى فأبادوه قتلا وشنا وغيا هم على ذلك بر فجوه ى صول ا ال
فكه ب وجوى ى صرنق لمهرهن ثم سح منهم لا من رمى نفسه ى
الماء أو من دخل البه وعصى على وجهه ى الشأم . حالا وبد ى جمه
من عسكره ووصل ى مقد د ساوى جوخى دخل البلد من جانبه الغربى
. . . . عساكره مخاذى لباخ وحاسن كره خلال لا ر وقام مخاذى
الدج باه

وأ ما عسكر السلطان فانه . . خمسين ج محرم من سنه ست
وخمسين منانه با ب د ه ى مد د على درب قمو حسب حمس
اسل فا حج الناس من ذلك وسمحه ى بان لنصوح . لنار تسوهو.
فكانت عسكر الغى حساكر السلطان وجنود ه نه وكر ه وقد صق
وجه لا من بحار مقدم منهج د ه سو ى سماه سبات
حصار وسيع عسكر حاى فى المدينة ابتداءه ى يوم تاسع عشرى
محرم ثم سعر ساس لا ور ب لمس ده ه على سور مقدم من برج
سمى برج العجمى من ه باب من د ت مقدم قال له باب كلو ذى
مكان هذا الدج فعد ح السور وهجم العسكر السلطانى هجوما

ودخولا . تجرى من الفضل الدرج . والهبة العظيم . والتمسك البليغ ما تعظم سماعه حمله فيا الطى سماصله . وكان ما كان مما اسب أذكره . فطن صمّاً ولا يسأل عن خبر

وأمر السلطان بخروج الخلعه وولده وسائه اليه فخرجوا فحضر الخلعه بين يدى لدركاه . فقال له عوض ووقع ما . ماه سـه الحجر والمرض والعقول اليه . ثم أوصل الى الاسا وولده الاكبر والاوسط . وأما ... فأنه ... المستعصم فى ... وسمائه

... حال له ... تامه

لما ... الخلافه ... وهو ... الدين محمد بن ... على ... الى أن توفى . فلما توفى ... مؤيد الدين محمد بن العلقمى

وزيره مؤيد الدين ... محمد بن أحمد بن العلقمى

هو ... ومال لجده العلقمى لانه حفر النهر المسمى بالعلقمى ... هو الذى ... الامر ... السلطان ... القارى . ... بالادب ... . وكتب خطاً مليحاً . وترسل ترسلا ... وضبط ضبطاً صحيحاً . وكان رجلا فاضلا كاملا ... كريماً وقوراً محبا للرئاسه كثير التجمل رئيسا متمسكا بقوانين الرئاسه خبيراً بأدوات السياسه لبيق الاعطاف بآلات الوزاره . وكان يحب أهل الادب ويقرب أهل العلم ... كما كثيره ...

حدثني ولده شرف الدين أبو القسم على رحمه الله . قال اشتملت خزانه والدى على عشره الف مجلد من نفائس الكتب . وصنف الناس له الكتب فممن صنف له الصغانى اللغوى . صنف له العباب . وهو كتاب عظيم كبير ...

العرب . وصنف له عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد كتاب شرح نهج البلاغه يشتمل على عشرين مجلداً فأثابهما وأحسن جائزتهما وكان ممدحا مدحه الشعراء . وانتجعه الفضلاء . فمن مدحه كمال الدين بن البوقي قصيدة من جملتها (سريع)

مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمي الوزير

وهذا بيت حسن جمع فيه بين لقبه وكنيته واسمه واسم أبيه وصنعته

وكان مؤيد الدين الوزير عفيفاً عن أموال الديوان وأموال الرعية متنزهاً مترفعا

قيل ان بدر الدين صاحب الموصل أهدى اليه هدية تشتمل على كتب وثياب ولطائف قيمتها عشرة الف دينار . فلما وصلت الى الوزير حملها الى خدمة الخليفه . وقال ان صاحب الموصل قد أهدى لي هذا واستحييت منه أن أرده اليه . وقد حملته وأنا أسأل قبوله فقبل ثم انه أهدى الى بدر الدين عوض هديته شيئاً من لطائف بغداد قيمته اثنا عشر الف دينار . والتمس منه أن لا يهدي اليه شيئاً بعد ذلك

وكان خواص الخليفه جميعهم يكرهونه ويحسدونه . وكان الخليفة يعتقد فيه ويحبه . وكثروا عليه عنده فكف يده عن أكثر الامور . ونسبه الناس الى أنه خامر . وليس ذلك بصحيح . ومن أقوى الادلة على عدم مخامرته سلامته في هذه الدولة فان السلطان هولاكو لما فتح بغداد وقتل الخليفه سلم البلد الى الوزير وأحسن اليه وحكمه . فلو كان قد خامر على الخليفة لما وقع الوثوق اليه . . . . . .

. حدثني كمال الدين أحمد بن الضحاك وهو ابن أخت الوزير مؤيد الدين

ابن الطقطقى قال لما نزل السلطان هولاكو على بغداد أرسل يطلب أن يخرج الوزير اليه . قال فبعث الخليفة فطلب الوزير فحضر عنده وأنا معه . فقال له الخليفة قد أنفذ السلطان يطلبك . وينبغي أن تخرج اليه فخرج الوزير من ذلك . وقال يا مولانا اذا خرجت فمن يدبر البلد ومن يتولى المهام . فقال له الخليفة لابد من أن تخرج . قال فقال السمع والطاعة . ثم مضى الى داره وتهيأ للخروج ثم خرج . فلما حضر بين يدي السلطان وسمع كلامه وقع بموقع الاستحسان . وكان الذي تولى تربيته في الحضرة السلطانية الوزير السعيد نصير الدين محمد الطوسي قدّس الله روحه . فلما فتحت بغداد سلمت اليه والى عليّ بهادر الشحنة فمكث الوزير شهوراً . ثم مرض ومات رحمه الله في جمادى الاولى سنة ست وخمسين وستمائة

انقضت دولة بني العباس ووزرائهم . وبذلك انقضى الكتاب والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين وسلامه

فرغ من تأليفه واستنساخه مؤلفه في مدة أولها جمادى الآخرة من سنة إحدى وسبع مائة وآخرها خامس شوال من السنة المذكورة بالموصل الحدباء وهذا خط يده تجاوز الله عنه

يقول مصحح مطبعة الموسوعات البهية . الفقير محمد مكي أعانه رب البرية

حمداً لمن خلق الخلق وأسعد منهم نفره . وشرح صدره وجعل سيره عبرة . سبحانه دلت على ربوبيته آلاؤه . وشهدت بوحدانيته رحمته ونعماؤه . وصلاة وسلاماً على أولي الأنفس المطهرة خصوصاً سيدهم الأكمل . وعلى آله وصحبه الذين سجل لهم التاريخ بالقدر الأفخم . والفضل الأجزل

هذا وإن علم التاريخ من أجل العلوم قدراً . وأسمى المعارف فخراً ومن أحسن ما ألف فيه كتاب (الفخري) الذي تشهد سلاسته ومتانته وسهولة معانيه . بوفور علم مؤلفه . وقدرته في صناعة الكتابة . وتبريزه فيها على كل من أراد بحث فصول التاريخ وخطاباته . وكان الفراغ من طبعه بهذا الشكل الجميل على نفقة شركة طبع الكتب العربية في ٢ رمضان المعظم سنة ١٣١٧ ألف وثلثمائة وسبع عشرة من الهجرة النبوية وفي الله هذه خدمة لأمثال هذه الأعمال الشريفة التي تدل على حسن عواطفها ووجهتها بخدمة بلادها ومنافعها . ألا فإنها خدمت الأمة بطبع هذا الكتاب خدمة جليلة تستحق عليها جزيل الثناء (وكانت) طبعته بمطبعة الموسوعات البهية الكائن مركزها في مصر بباب الشعرية وهي مطبعة جليلة الطبع . فريدة في وضعه . لم يرد [illegible] عن المدح . حرسها الله بعنايته وكلأها برعايته